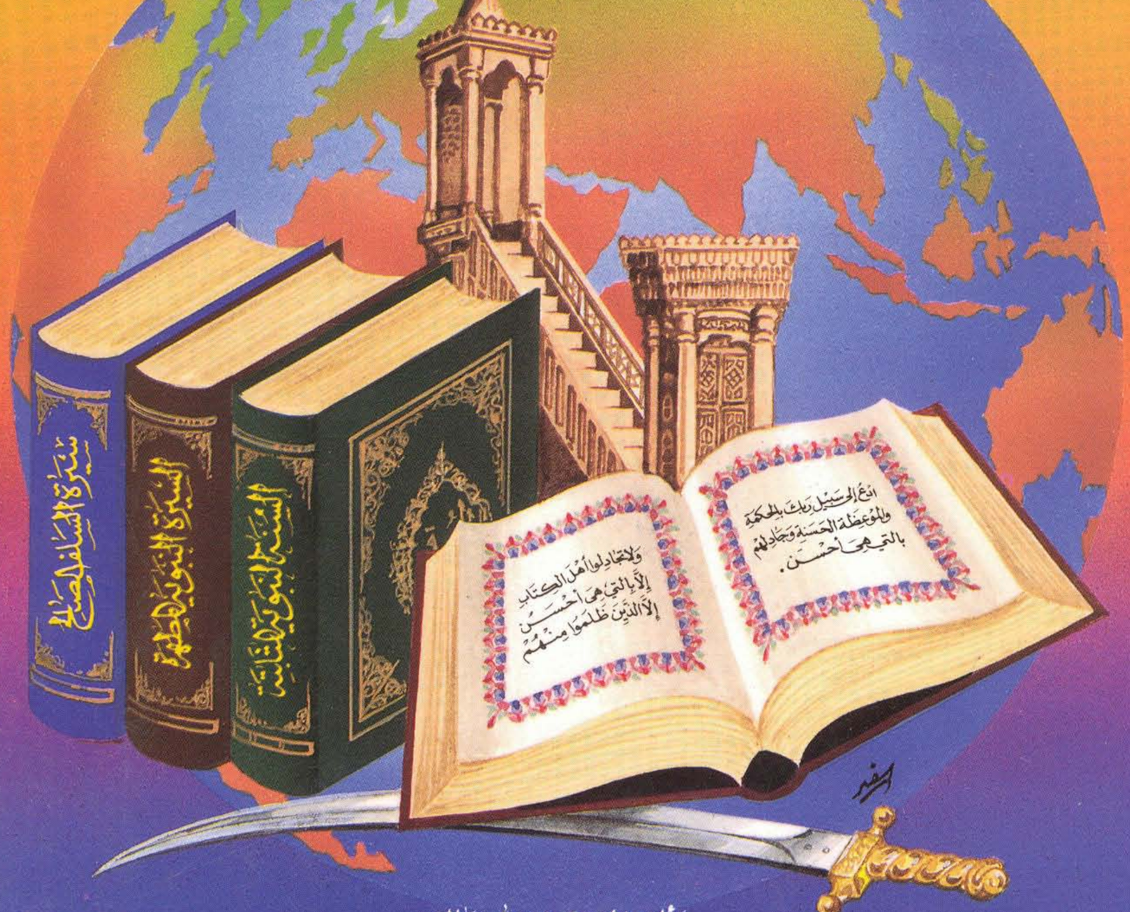
١٥ ر.س

الحِكمة

في الدّعوة إلى اللهِ تعالى



تأليف الفقير إلى الله تعالى
سعيد بن علي بن وهف القحطاني


الحكمة
في الدعوة إلى الله تعالى

أصل هذا الكتاب رسالة علمية «ماجستير»

قُدِّم مخططها لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، في شوال ١٤٠٨هـ، وقُبِلَ تسجيلها في ١٤٠٩/٥/٣هـ، وأُذِن بطبعها في ١٤١١/٥/٣هـ، وقُدِّمت مطبوعة في ١٤١١/٦/١٤هـ، ونُوقِشت في ١٤١٢/١/٢٤هـ، فأُجيزت بفضل الله تعالى بتقدير «ممتاز».

الطبعة الثانية

محرم ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

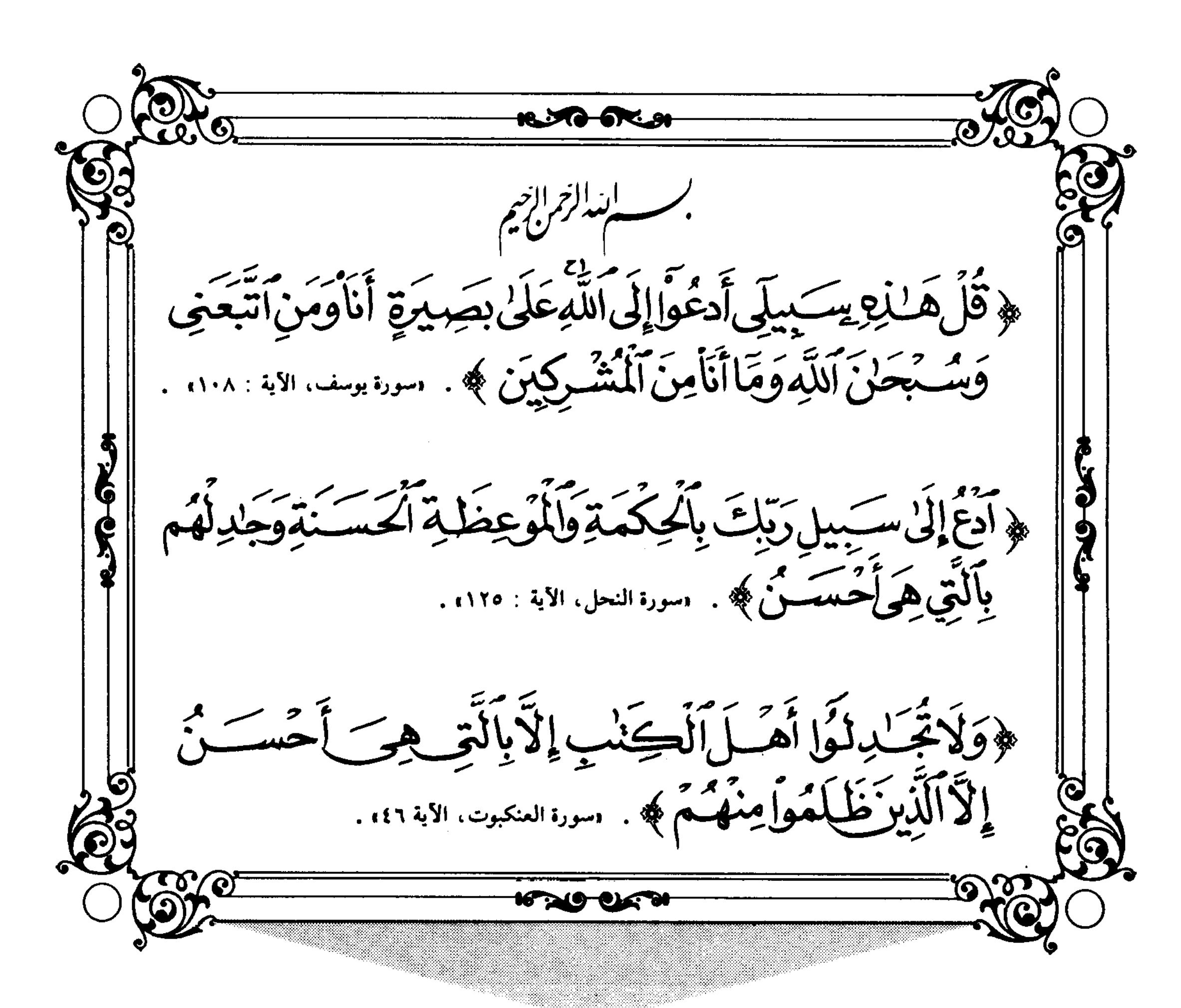
فسح وزارة الإعلام رقم ٤١٧٢/م وتاريخ ١٤١٢/٦/٩هـ

الحِكمةُ

في الدّعوة إلى اللهِ تعالى

تأليف الفقير إلى اللهِ تعالى
سعيد بن علي بن وهف القحطاني


بسم الله الرحمن الرحيم



الدعوة إلى الله تعالى
على بصيرة

الحكمة

القوة

الموعظة الحسنة

الجدال بالتي هي أحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰأَيُّهَـا ٱلَّـذِينَ ءَامنُـوا ٱتَّقُـوا ٱللهَ حَقَّ تُقَـاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]. ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ ٱتقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَحِدَةٍ وخَلَقَ منها زَوْجَهَا وبَثَّ مِنهُمَا رجَالاً كَثِيراً وَنِساءً واتَّقُوا ٱللهَ الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ ٱللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]. ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أمّا بعـد:

فما خلق الله الجن والإنس إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠ - ٧١.

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

ولما كانت العبادة لا يمكن أن تُعرف أحكامها على التفصيل أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليهم الكتب؛ لبيان الأمر الذي خلق من أجله الخلق؛ ولإيضاحه وتفصيله لهم حتى يعبدوا الله على بصيرة، فقاموا بواجبهم على الوجه الأكمل عليهم الصلاة والسلام.

ثم ختم الله تعالى الرسل بأفضلهم وإمامهم وسيدهم نبينا محمد بن عبدالله، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله على بصيرةٍ سرًّا وجهرًا. ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وهذه طريقته ومسلكه وسنته، يدعو إلى الله على بصيرة، ويقين، وبرهان عقلي وشرعي[2].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ - قد بيّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله - عز وجل - وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

٢ - من تتبع سيرة النبي ﷺ وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله عز وجل، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم ﷺ الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان أبو ذر يحدث أن

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٦.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.

رسـول الله ﷺ قال: «**فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفَرجَ صدري ثم غسله بماء زمـزم، ثم جاء بطست**[1] **من ذهب ممتلىءٍ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي . . .**» الحديث[2].

وهذا يُثبِتُ أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، حيث امتلأ بها صدر رسول الله ﷺ وهو صاحب الدعوة، مع الإيمان، وهو قضية الدعوة في لحظة واحدة، كما يؤكد قيمة وأهمية الحكمة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس، في طست من ذهب، وهو أغلى المعادن، في مكة المكرمة، وهي البقعة المباركة، ليمتلىء بها صدر محمد رسول الله ﷺ وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو أطهر الماء وأفضله.

كل هذا يؤكد أن **الحكمة** في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم وشأنها كبير، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً**﴾[3].

ثم سار أصحاب رسول الله ﷺ على طريقه وهديه في الدعوة إلى الله تعـالى بالحكمة، فانتشر الإسلام في عهدهم ـ رضي الله عنهم ـ انتشارًا عظيمًا، ودخـل في الإسلام خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وجاء التـابعـون، وكملوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله بالحكمة، وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، فأظهر الله الإسلام وأهله، وأذَلَّ الشرك وأهله وأعوانه.

---

(١) إنـاء كبير مستدير. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ٤٦٠، والمعجم الوسيط مادة (الطَّسْت) ٢/ ٥٥٧.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ ١/ ٤٥٨، ومسلم، واللفظ له، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمـوات وفرض الصلوات، ١/ ١٤٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

٣ ـ من الناس من يظن أو يعتقد أن **الحكمة** تقتصر على الكلام اللين، والرفق، والعفو، والحلم . . . فحسب. وهذا نقص وقصور ظاهر لمفهوم **الحكمة؛ فإن الحكمة قد تكون:**

- باستخدام الرفق واللين، والحلم والعفو، مع بيان الحق علمًا وعملاً واعتقادًا بالأدلة، **وهذه المرتبة تستخدم لجميع الأذكياء من البشر الذين يقبلون الحق ولا يعاندون.**
- وتارة تكون **الحكمة** باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، **وهذه المرتبة تستخدم مع القابل للحق المعترف به،** ولكن عنده غفلة وشهوات وأهواء تصده عن اتباع الحق.
- وتارة تكون **الحكمة** باستخدام الجدال بالتي هي أحسن، بِحُسن خلق، ولطف، ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل لا بدَّ أن يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، **وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند جاحد.**
- وتارة تكون **الحكمة** باستخدام القوة: بالكلام القوي، وبالضرب والتأديب وإقامة الحدود لمن كان له قوة وسلطة مشروعة، وبالجهاد في سبيل الله تعالى بالسيف والسنان تحت لواء ولي أمر المسلمين مع مراعاة الضوابط والشروط التي دلَّ عليها الكتاب والسنة. **وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند** جاحد ظلم وطغى، ولم يرجع للحق بل رده ووقف في طريقه[1].

وما أحسن ما قاله الشاعر:

دعا المصطفى دهراً بمكةَ لم يُجب وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦ و ٤/ ٣١٥، وفتاوى ابن تيمية ٢/ ٤٥ و ١٩/ ١٦٤.

فلما دعا والسيفُ صلتٌ بكفِّهِ له أسلموا واستسلموا وأنابوا[1]

وصدق هذا القائلِ فقد قال: قولاً صادقًا مطابقًا للحق[2]؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إن من الشعرِ حكمة»[3].

٤ ـ الحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور قدرها فلا يزهد في الدنيا والناس بحاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة.

٥ ـ الحكمة تجعل الداعية إلى الله يتأمل ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يُؤتَون من قبلها، والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعو إلى الله بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، ويُعلِّم العامة ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم ومستوياتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى الله بالحكمة التي هي الطريق الوحيد للنجاح.

---

(١) ذكر سماحة الشيخ العلّامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز في مجموع فتاواه ٣/ ١٨٤ و ٢٠٤ : أن هذا الشعر يُروى لحسّان بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) انظر : فتح الباري ١٠/ ٥٤٠، ٦/ ٥٣١، وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٣٣، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣/ ٣٥٤.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشِّعر والرَّجزِ والحداءِ وما يكره منه، ١٠/ ٥٣٧.

والمهم أن تكون أقوال الداعية إلى الله ـ تعالى ـ وأفعاله وتدبيراته وأفكاره نابعة من الحكمة، موافقة للصواب، غير متقدمة على أوانها ولا متأخرة، لا زيادة فيها عما ينبغي ولا نقص، مجتهدًا في معرفة نفعه وصلاحه، سالكًا أقرب طريق يوصل إلى ذلك.

وهذا يؤكد أن دراسة **الحكمة في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ** من أهم المهمات، ومن أعظم القربات، وأنها بحاجة إلى من يبرزها في صورة ميسرة؛ ليستفيد منها الدعاة في دعوتهم إلى الله ـ عز وجل ـ؛ ليقدموا للناس الإسلام بالطُّرق السليمة التي توصله إليهم بيسر وسهولة، وهذا يحتاج إلى معرفة أحوال المدعوين، سواء كانت اعتقادية أو نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ثم معرفة الشُّبَه لديهم؛ لإزالتها بالطرق المناسبة لأحوالهم، وهذا كله يحتاج إلى دراسة علمية دقيقة متكاملة متأنية، ولا سيما أن هذا الموضوع لم يتناوله أحد من الباحثين في دراسة مستقلة شاملة تستوعب جميع جوانبه المختلفة.

ولهذه الأهمية، وهذه الأسباب، وللعديد من غيرها، وحُبًّا في خدمة هذا الموضوع عقدت العزم، واستعنت بالله، وقررت بعد الاستخارة والاستشارة أن أجعل موضوع رسالتي « **الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى** ».

والله أسأل أن يلهمني رشدي، ويعيذني من شر نفسي، ويوفقني للهدى والسداد، وجميع المسلمين.

٢ ـ الدراسات السابقة :

بالنسبة للدراسات السابقة لهذا الموضوع فحاصل ما اطلعت عليه منها ما يأتي :

• لقمان الحكيم وحكمه : لمؤلفه محمد خير رمضان.

وقد حاول تعريف الحكمة لغةً واصطلاحًا، وترجم للقمان الحكيم، وسرد بعض الآثار في حِكَمِ لقمان، وربما يكون بعضها من الإسرائيليات، ولم يتعرض في كتابه للحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

• حكمة الدعوة : لرفاعي سرور.

وقد ذكر بعض الجوانب لتعريف الحكمة، ثم ذكر قيام الجماعة الواحدة، وأحكام الفكر الإسلامي، ولم يتعرض في كتابه إلى شيء من جوانب الخطة التي وضعتها.

• وما كتبه ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ حول الحكمة في كتابه: «**مدارج السالكين**»، فقد اقتصر على تعريفها، وأركانها، وأنواعها، ولم يتعرض ـ رحمه الله ـ إلى الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن موضوع كتابه عن: منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

• وما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، في كتابه: «**الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة**»، إذ خصص صفحتين فقط من الفصل السابع عشر من هذا الكتاب عن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

ولم تحظ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى بعدُ بمؤلَّف مستقل شامل يتطرق للموضوع من جميع جوانبه في دراسة علمية متخصصة شاملة، دقيقة متكاملة.

٣ ـ خطة الرسالة :

وقد كانت خطة الرسالة كما يلي :

المقدمة :

الفصل الأول : الحكمة مفهومها وضوابطها :

المبحث الأول : مفهوم الحكمة .

المبحث الثاني : أركانها .

المبحث الثالث : أنواعها .

المبحث الرابع : طرق اكتسابها .

الفصل الثاني : مواقف الحكمة :

المبحث الأول : مواقف النبي ﷺ .

المبحث الثاني : مواقف الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : مواقف التابعين رحمهم الله .

المبحث الرابع : مواقف تابعي التابعين رحمهم الله .

المبحث الخامس : نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور .

الفصل الثالث : حكمة القول مع المدعوين :

تمهيد : إنزال الناس منازلهم ومراعاة أحوالهم .

المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين .

المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين .

المبحث الثالث : حكمة القول مع أهل الكتاب .

المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين .

الفصل الرابع : حكمة القوة الفعلية مع المدعوين :

تمهيد : مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر.

المبحث الأول : حكمة القوة الفعلية مع الكفار .

المبحث الثاني : حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسلمين .

الخاتمة : وفيها :

- ملخص البحث .
- أهم النتائج .
- التوصيات .

الفهارس :

١ـ فهرس الآيات القرآنية .

٢ـ فهرس الأحاديث والآثار .

٣ـ فهرس الأبيات الشعرية .

٤ـ فهرس تراجم الأعلام .

٥ـ فهرس المراجع والمصادر .

٦ـ فهرس الموضوعات .

٤ . منهجي في الرسالة :

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستردادي التاريخي التحليلي، حيث تتبعت النصوص من القرآن والسنة، ومواقف النبي ﷺ في دعوته إلى الله بالحكمة، وأخذت مواقف الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم التي سلكوا فيها طريق الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى من أمهات الكتب.

كما استخدمت منهج الاستدلال؛ لأني احتجت إلى الاستدلال العقلي الذي ينبني على قواعد التأمل والتفكر في الوصول إلى الحقائق، واستخدمت هذا المنهج كثيراً في حكمة القول مع الملحدين، والوثنيين، وأهل الكتاب.

وقد راعيت الأمور التالية :

١ـ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وذكرت اسم السورة ورقم الآية منها.

٢ـ خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.

٣ـ حاولت الاقتصار على الأحاديث الصحيحة أو الحسنة.

٤ـ أشرت إلى من صحح الحديث أو حسنه من العلماء المحققين إذا كان في غير الصحيحين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٥ـ حرصت على جمع المعلومات من المصادر الأصلية مباشرة، ورجعت إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.

٦ـ بينت في الحاشية بعض الكلمات التي أرى أنها في حاجة إلى البيان.

٧ـ حرصت على رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني، اتباعًا لرسم المصحف الشريف، إلا بعض الأحرف؛ لعدم وجودها في الكمبيوتر.

٨ـ ترجمت لأصحاب المواقف الحكيمة ما عدا الصحابة رضي الله عنهم كما ترجمت لغير المشهورين من الأعلام.

٩ـ عملت فهارس تفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والآثار، وقد ميزت الآثار بذكر اسم صاحب الأثر أمامه، وفهرس الأبيات الشعرية، وفهرس الأعلام المترجم لهم، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

ولا أدَّعي الكمال، فالكمال من صفات الله تعالى، والنقص والتقصير واختلاف وجهات النظر من صفات الإنسان، ولكني قد بذلت قصارى جهدي؛ ليخرج هذا البحث المتواضع على الوجه المطلوب، فما كان من صواب وسداد فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله ﷺ، وأستغفر الله من ذنبي كله: هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، إنه سميع مجيب.

٥ ـ الشكر والتقدير:

هذا، والشكر والحمد لله الكريم الحكيم الذي أسبغ علي النعم الظاهرة والباطنة، ووفق عبده الفقير إليه وحده لمعالجة هذا الموضوع، وهو أهل الثناء والمجد.

وفي مقامي هذا أمتثل حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»(١).

فأشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة، فضيلة الأستاذ المشارك الدكتور/ فضل إلهي، رئيس قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الذي بذل الكثير من وقته وراحته، ولم يبخل علي بالرأي والمشورة والتوجيهات القيمة لرفع مستوى هذه الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة، فقد أفادني كثيراً فجزاه الله خيراً، وأجزل له الثواب، إنه قريب مجيب الدعوات.

كما أشكر الأستاذين الفاضلين: الدكتور/ محمد بن عبدالله الفهيد، الأستاذ بكلية أصول الدين، قسم السنة وعلومها، والدكتور/ أحمد بن محمد أبابطين، وكيل قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، على تفضلهما بقبول عضوية مناقشة الرسالة وإعطاء الكثير من وقتهما وراحتهما لقراءة الرسالة، فجزاهما الله خيراً.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، على ما تقوم به من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء. كما أتقدم بالشكر والتقدير للمسئولين في كلية الدعوة والإعلام، وعلى رأسهم فضيلة عميد الكلية الدكتور/ زيد بن عبدالكريم الزيد، والدكتور مسفر البشر، وكيل الدراسات العليا بالكلية على ما يبذلونه من جهود في خدمة العلم وطلابه، فجزاهم الله خير الجزاء، وضاعف مثوبتهم إنه سميع الدعاء.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ٤/ ٢٥٥، والترمذي بنحوه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٤/ ٣٣٩، وأحمد ٢/ ٢٩٥، ٥/ ٢١١، وانظر: صحيح أبي داود للشيخ الألباني ٣/ ٩١٣، وصحيح الترمذي للألباني ٢/ ١٨٥.

الفصل الأول

الحكمة مفهومها وضوابطها

المبحث الأول : مفهوم الحكمة .

المبحث الثاني : أنواع الحكمة ودرجاتها .

المبحث الثالث : أركان الحكمة .

المبحث الرابع : طرق اكتسابها .

المبحث الأول : مفهــوم الحكمـة

المطلب الأول : تعريفهـا في اللغـة .

المطلب الثاني : تعريفها في الاصطلاح الشرعي .

المطلب الثالث : العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي .

المطلب الأول : تعريف الحكمة في اللغة :

جاءت الحكمة في اللغة بعدة معان، منها :

١ ـ تستعمل بمعنى : العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.

وأحكم الأمر : أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد[(١)].

٢ ـ والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم[(٢)].

٣ ـ والحكيم : المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيمًا: قد أحكمته التجارب[(٣)].

٤ ـ والحَكَمُ والحكيم هما بمعنى: الحاكم والقاضي، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكِمُ الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى: مفعل[(٤)].

٥ ـ والحكمة : إصابة الحق بالعلم والعقل[(٥)].

---

(١) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفى ٨١٧هـ ، باب الميم، فصل الحاء، ص ١٤١٥ ، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء ١٢/ ١٤٣ ، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص ٦٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الكاف، مادة حكم ١/ ١١٩ ، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، ١٢/ ١٤٠ ، والمعجم الوسيط، مادة: حكم ١/ ١٩٠.

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، ١٢/ ١٤٣ ، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص ٦٢.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الكاف، مادة: حكم ١/ ٤١٩ .

(٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، كتاب الحاء، مادة: حكم ص ١٢٧ .

٦ ـ **والحكيم** : المانع من الفساد، ومنه سُمِّيت حَكَمة اللجام؛ لأنها تمنع الفرَس من الجري والذهاب في غير قصد، والسورة المحكمة: الممنوعة من التغيير وكل التبديل، وأن يلحق بها ما يخرج عنها، ويزاد عليها ما ليس منها.

والحكمة من هذا؛ لأنها تمنع صاحبها من الجهل، ويقال: أحكم الشيء إذا أتقنه ومنعه من الخروج عما يريد، فهو محكم وحكيم على التكثير(١).

٧ ـ **والحَكَمَةُ** : ما أحاط بحنكي الفرَس، سُمِّيت بذلك؛ لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتذلل الدابة لراكبها، حتى تمنعها من الجماح، ومن كثير من الجهل، ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل(٢).

٨ ـ **والحُكْمُ** : هو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة، لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلانًا تحكيمًا: منعته عما يريد(٣).

ومما تقدم يتضح ويتبين أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في عدة معان تتضمن معنى المنع :

فالعدل : يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم .

والحلم : يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب .

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٨٨ بتصرف يسير.

(٢) انظر: المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، المتوفى سنة ٧٧٠هـ، مادة: الحكم، ١/ ١٤٥، وتاج العروس ٨/ ٢٥٣.

(٣) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ٢/ ٩١، باب الحاء والكاف، مادة: حكم.

والعـلم : يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل .

والنّبُوّة، والقرآن، والإنجيل: فالنبي إنما بعث لمنع من بعث إليهم من عبادة غير الله، ومن الوقوع في المعاصي والآثام، والقرآن والإنجيل وجميع الكتب السماوية أنزلها الله تتضمن ما يمنع الناس من الوقوع في الشرك وكل منكر وقبيح .

ومن فسر الحكمة بالمعرفة فهو مبني على أن **المعرفة الصحيحة** فيها معنى المنع، والتحديد، والفصل بين الأشياء، وكذلك الإتقان، فيه منع للشيء المتقن من تطرق الخلل والفساد إليه، وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لا جميع معناه»[1] .

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية ٢/ ٧ .

المطلب الثاني : تعريف الحكمة في الاصطلاح الشرعي :

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية[1]، واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة: النبوة، وقيل: القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة[2].

---

(١) جاء لفظ : الحكمة في كتاب الله ـ تعالى ـ في أكثر من تسعة عشر موضعًا، انظر: سورة البقرة، الآيات: ١٢٩، ١٥١، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٩، وآل عمران: ٤٨، ٨١، ١٦٤، والنساء: ٥٤، ١١٣، والمائدة: ١١٠، والنحل: ١٢٥، والإسراء: ٣٩، ولقمان: ١٢، والأحزاب: ٣٤، وص: ٢٠، والزخرف: ٦٣، والقمر: ٥، والجمعة: ٢.
وجاء لفظ الحكمة في السنة النبوية في عدة مواضع، انظر معظمها: في البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ١/ ١٦٥، برقم ٧٣، وكتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ٧/ ١٠٠ برقم ٣٧٥٦، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، برقم ٧٢٧٠، وكتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ٨/ ٩٨، ٩٩ برقم ٤٣٨٨ و ٤٣٩٠، وكتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرَّجَز والحداءِ وما يكره منه، ١٠/ ٥٣٧ برقم ٦١٤٥، وباب الحياء، ١٠/ ٥٢١ برقم ٦١١٧. ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ١/ ٧١-٧٣ برقم ٥١، وباب عدد شعب الإيمان، ١/ ٦٤ برقم ٣٧، وكتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه وغيره فعمل بها وعلمها، ١/ ٥٥٩ برقم ٨١٦ والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة / ٥١ برقم ٢٦٨٧، وكتاب البر والصلة، باب ما جاء في التجارب، ٤/ ٣٧٩ برقم ٢٠٣٣، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحكمة، ٢/ ١٣٩٥ برقم ٤١٦٩، والدارمي، في المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط، ١/ ٧٥ برقم ٢٩٣، وباب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، ١/ ٩٠ برقم ٣٩٥، وباب فضل العلم والعالم، ١/ ٨٤، برقم ٣٥٧، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ٢/ ٣١٢ برقم ٣٣٣٠.

(٢) انظر: تفسير مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية في المصادر التالية: جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ١/ ٤٣٦، ٣/ ٦٠، ٦١، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري ١/ ٤١٣، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٦، ١/ ١١٦، وزاد =

وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولاً في تعريف الحكمة[1].

«وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه ﷺ حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه. فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح..»[2].

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعريف الحكمة هو: «**الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه**».

= المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ٣٢٤، ١/ ١٤٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٣١، ٣/ ٦٠، ٦١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٨٤، ١/ ٣٢٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١/ ٣٨٧، ٣/ ٤١، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٢٨٩، ١/ ١٤٤، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١/ ٤٧٢، ٢/ ٢٩، ٣/ ٧٥، ٣/ ٢٦٣، وتفسير المراغي ١/ ٢١٤، ٢/ ١٩، ٣/ ٤١، وتفسير السعدي ١/ ١٧٣، ١/ ٢٩٠، ٦/ ١٥٤، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣١٢، ١/ ١٣٩، ٣٩٩، ٢/ ٩٩٧، وصفوة المفاهيم والآثار لعبد الرحمن الدوسري ٢/ ٣٦٠، ٤١٦، ٣/ ٤٩٨، ٤٩٩، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦/ ٦٦، ٦٧، ٩/ ٢٢، ٢٣، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ١٧٠، ومدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٨، ٤٧٩، والتفسير القيم لابن القيم ص ٢٢٧، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١/ ٦٧، ٧٠، ٦/ ٥٣١، ٧/ ١٠٠، ١٠/ ٥٢٢، ٥٢٩، ٥٤٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٧، ٣٣، ٦/ ٩٨، ١٥/ ١٢، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ١٨٢، ٧/ ٥٨، ١٠/ ٣٢٧، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣/ ٣٥٤، ٣٥٥.

(١) انظر: تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي ٢/ ٣٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٣٣٠، وانظر: البحر المحيط ٢/ ٣٢٠، قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كلٌ من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك. قال أبو بكر بن دريد: «كل كلمة وعظتك وزجرتك أودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم»، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٣٣.

فجميع الأقوال تدخل في هذا التعريف؛ لأن الحكمة مأخوذة من الحكم وفصل القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال: إن فلاناً لحكيم بيِّن الحكمة، يعني: أنه لبين الإصابة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلة في هذا القول؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهم منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهمًا، خاشيًا لله، فقيهًا عالمًا، عاملاً بعلمه، ورعًا في دينه... والحكمة أعم من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها؛ لأن الأنبياء **عليهم الصلاة والسلام** مسددون، مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور[1].

والحكمة في كتاب الله نوعان[2]: مفردة، ومقرونة بالكتاب.

فالمفردة كقوله تعالى: **﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾**[3]. وقوله تعالى: **﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**[4]، وقوله سبحانه: **﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾**[5].

وهذه الحكمة فسرت بما تقدم من أقوال العلماء في تعريف الحكمة، وهذا النوع كثير في كتاب الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١/ ٤٣٦، ٣/ ٦١.

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم ٢/ ٤٧٨، والتفسير القيم لابن القيم، ص ٢٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٥) سورة لقمان، الآية ١٢.

أما الحكمة المقرونة بالكتاب، فهي السنة من: أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وسيرته، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]. ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3]. ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4]. وغير ذلك من الآيات.

وممن فسر الحكمة المقرونة بالكتاب بالسنة: الإمام الشافعي والإمام ابن القيم، وغيرهما من الأئمة[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

(٤) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٥) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٨، والتفسير القيم ص ٢٢٧.

المطلب الثالث: العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي:

عند التأمل والنظر نجد علاقةً قويةً بين المعنى اللغوي والشرعي، فكلاهما يجعل العلم النافع، والعمل الصالح الصواب المحكم المتقن أصلاً من أصول الحكمة، وعلى هذا فيكون التعريف الجامع المانع للحكمة هو: «**الإصابة في القول والعمل والاعتقاد ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان**». والله أعلم.

وبهذا التعريف يتبين ويتضح أن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين، أو الترغيب، أو الحلم، أو الرفق، أو العفو. . . بل هي إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، وتوضع الموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، كما قال عزّ وجلّ: ﴿**وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ**﴾[1]. ويوضع الزجر، والقوة، والغلظة، والشدة، والسيف في مواضعها، وهذا هو عين الحكمة. وقد قال أحكم الحاكمين لسيد الحكماء والناس أجمعين: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾[2].

كل ذلك بإحكام وإتقان ومراعاة لأحوال المدعوين، والأزمان، والأماكن في مختلف العصور والبلدان، وبإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان[3].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٣، وانظر: سورة التحريم، الآية ٩ .

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ١٩/ ١٦٤، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٤، والتفسير القيم ص ٣٤٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١٥.

ومن أراد البرهان العملي على ذلك فعليه أن ينظر إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ، ومعاملته لأصناف الناس، وهو الذي أعطاه الله من الحكمة ما لم يعطِ أحدًا من العالمين[1].

(١) انظر: التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤، الهامش.

المبحث الثاني : أنـواع الحكمة ودرجـاتها

المطلب الأول : أنـواع الحكمـة .

المطلب الثاني : درجـات الحـكمـة العملية .

المطلب الأول : أنواع الحكمة :

الحكمة نـوعـان :

النـوع الأول : حكمة علمية نظرية، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا.

النوع الثاني : حكمة عملية، وهي وضع الشيء في موضعه[1].

فالحكمة النظرية مرجعها إلى العلم والإدراك، والحكمة العملية مرجعها إلى فعل العدل والصواب، ولا يمكن خروج الحكمة عن هٰذين المعنيين؛ لأن كمال الإنسان في أمرين: أن يعرف الحق لذاته، وأن يعمل به، وهذا هو العلم النافع والعمل الصالح.

وقد أعطى الله عزّ وجلّ أنبياءه ورسله ومن شاء من عباده الصالحين هٰذين النوعين، قال تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾. وهو الحكمة النظرية، ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[2]. وهو الحكمة العملية.

وقال تعالى لموسى، ﷺ : ﴿إِنَّنِى أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا۠﴾، وهو الحكمة النظرية ﴿فَٱعْبُدْنِى﴾[3]، وهو الحكمة العملية.

وقال عن عيسى ﷺ : ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾. وهو الحكمة النظرية، ﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[4]. وهو الحكمة العملية.

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٨.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٨٣.

(٣) سورة طه، الآية ١٤.

(٤) سورة مريم، الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

وقال في شأن محمد ﷺ : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وهو الحكمة النظرية، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[1]، وهو الحكمة العملية.

وقال في جميع الأنبياء: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، وهو الحكمة النظرية، ثم قال: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾[2]، وهو الحكمة العملية[3].

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) سورة النحل، الآية ٢.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٧/ ٦٨.

المطلب الثاني: درجات الحكمة العملية:

الحكمة العملية لها ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: «أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعدِّيه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه».

لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ولها حدود ونهايات تصل إليها ولا تتعداها، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر، كانت الحكمة مراعاة هذه الجهات الثلاث بأن تعطي كل مرتبة حقها الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره، ولا تتعدى بها حدها فتكون متعديًا مخالفًا للحكمة، ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحكمة، ولا تؤخرها عنه فتفوتها، وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعًا وقدرًا، فإضاعتها تعطيل للحكمة بمنزلة إضاعة البذر وسقي الأرض، وتعدي الحق كسقيها فوق حاجتها، بحيث يغرق البذر والزرع ويفسد، وتعجيلها قبل وقتها كحصاده قبل إدراكه وكماله، وهذا يكون فعل ما ينبغي على الوجه الأكمل في الوقت المناسب[1].

الدرجة الثانية: معرفة عدل الله في وعيده، وإحسانه في وعده، وعدله في أحكامه الشرعية والكونية الجارية على الخلائق، فإنه لا ظلم فيها ولا جور، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[2]، وكذلك معرفة بره في منعه، فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق، ولا يغيض ما في يمينه سعة عطائه، فهو سبحانه لا يضع بره وفضله إلا في موضعه ووقته بقدر ما تقتضيه حكمته، فما أعطى إلا بحكمته ولا منع إلا بحكمته، ولا أضل إلا بحكمته.

---

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٤٧٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٠، وانظر: مدارج السالكين ٢/ ٤٨١.

الدرجة الثالثة : البصيرة، وهي قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة[1].

والبصيرة هي أعلى درجات العلم التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة ثم المخلصين من أتباع النبي ﷺ، وهي أعلى درجات العلماء[2]، قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْـمُشْرِكِينَ﴾[3]، فقد أمر الله رسوله ﷺ، أن يخبر الناس أن هذه طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك، ويقين، وبرهان، وعلم، وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، على بصيرة ويقين، وبرهان عقلي وشرعي[4]، والبصيرة في الدعوة إلى الله في ثلاثة أمور:

الأمر الأول : أن يدعو الداعية على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالمًا بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه؛ لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجبًا وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرمًا وهو في دين الله غير محرم، فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم.

الأمر الثاني : أن يكون على بصيرة في حال المدعو، فلا بد من معرفة حال المـدعو: الدينية، والاجتماعية، والاعتقادية، والنفسية، والعلمية، والاقتصادية حتى يقدم له ما يناسبه.

---

(1) المعجم الوسيط، مادة: بصر ١/ ٥٩.

(2) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٤٨٢.

(3) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

(4) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٦، وتفسير السعدي ٤/ ٦٣.

الأمر الثالث: أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة[1]، وقد رسم الله عز وجل طرق الدعوة ومسالكها في آيات كثيرة منها: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ. . .﴾[2]، وهذه الآية قاعدة قوية متينة في الدعوة إلى الله تعالى ثم تكون هذه القاعدة متفرعة إلى ثلاثة أبواب: وهي الدعوة إلى الله: بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن[3]، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4]. قلت: والباب الرابع: الدعوة إلى الله باستخدام القوة عند الحاجة إليها كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾[5]

ولا شك أن أحسن الطرق في دعوة الناس طريقة القرآن، ومخاطبته لهم ودعوته، ومجادلتهم[6].

(١) انظر: زاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٧.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٣) هذا التقسيم الجيد للقاعدة والثلاثة الأبواب، للشيخ عبدالقادر شيبة الحمد في محاضرة بعنوان: طرق الدعوة إلى الله، ألقيت بجامع الراجحي بالربوة، بالرياض، عام ١٤٠٨هـ.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٦) انظر: فتاوى ابن تيمية ١٩/١٥٨ - ١٧٣.

المبحث الثالث : أركان الحكمة

تـــوطئـــــة :

المطلب الأول : العـــلم .

المطلب الثاني : الحـــلم .

المطلب الثالث : الأنـــاة .

توطئــــة :

للحكمة أركان ودعائم تقوم عليها، وكل خللٍ في الداعية إلى الله فسببه الإخـلال بالحكمـة، فأكمـل النـاس: أوفـرهم منهـا نصيبًا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثًا.

وأركان الحكمة التي تقوم عليها، ثلاثة هي: العلم، والحلم، والأناة.

وآفاتها وأضدادها، ومعاول هدمها: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهلٍ، وطائشٍ، ولا عجولٍ[1].

وسأتحدث عن هذه الأركان بالتفصيل ـ إن شاء الله تعالى ـ في المطالب الآتية:

المطلب الأول : العــلم .

المطلب الثاني : الحــلم .

المطلب الثالث : الأنــاة .

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٨٠ .

المطلب الأول : العـلم :

العلم من أعظم أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمـل، فقـال تعـالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[1].

وقد بوَّب الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ لهذه الآية بقوله: «**باب: العلم قبل القول والعمل**»[2].

وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قولـه تعـالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، فدل ذلك على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل[3].

والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ، وقد يكـون علم من غير الرسـول، لكن في أمـور دنيوية، مثـل: الـطب، والحساب، والفلاحة، والتجارة[4].

ولا يكون الداعية إلى الله حكيمًا إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين.

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١/ ١٥٩ .

(٣) انظر: فتح الباري ١/ ١٦٠، وحاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب، جمع عبدالرحمن بن قاسم الحنبلي، ص ١٥ .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٣٦، ٦/ ٣٨٨ .

ولا شك أنه لا ينهى عن العلم إلا قُطَّاع الطريق، ونوَّاب إبليس وشرطه[1].

وقد قسم الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ العلم النافع ـ الذي هو أحد دعائم الحكمة وأسسها ـ إلى ثلاثة أقسام، فقال رحمه الله: «والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثه الأنبياء كما قال النبي ﷺ: **«إن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ»**[2].

وهذا العلم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علم بالله، وأسمائه، وصفاته، وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما.

القسم الثاني: علم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلة، وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص، والوعد، والوعيد، وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

القسم الثالث: العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها، وأقوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه: العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام، ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ويندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة، فإن ذلك جزءٌ من جزءٍ من علم الدين.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، للإمام ابن القيم ٢/ ٤٦٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ٣/ ٣١٧، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/ ٤٩، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٠، وانظر: صحيح ابن ماجه للألباني ١/ ٤٣.

والناس إنما يغلطون في هذه المسائل؛ لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرُبَّ رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترُجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»**[1].

فقد يكون الرجل حافظاً لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنًا، بل يكون منافقًا، فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه، وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان، وأما الذي أُوتي العلم والإيمان، فهو مؤمن حكيمٌ وعليمٌ، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته[2].

والعلم لابد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه، فإن العلم النافع ـ الذي هو أعظم أركان الحكمة التي من أُوتيها فقد أُوتيَ خيراً كثيراً ـ هو ما كان مقرونًا بالعمل، أما العلم بلا عمل، فهو حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر الله المؤمنين

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام ٩/ ٥٥٥، ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن ١/ ٥٤٩.

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية ١١/ ٣٩٦، ٣٩٧ بتصرف، والفتاوى أيضًا ٧/ ٢١ ـ ٢٥، وقال ابن تيمية رحمه الله: «العلوم خمسة: فعلم هو حياة الدين، وهو علم التوحيد، وعلم هو غذاء الدين، وهو علم التذكر بمعاني القرآن والحديث، وعلم هو دواء الدين، وهو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها كما قال ابن مسعود، وعلم هو داء الدين، وهو الكلام المحدث، وعلم هو هلاك الدين، وهو علم السحر ونحوه». انظر: فتاوى ابن تيمية ١٠/ ١٤٥.

من أن يقولوا ما لا يفعلون، رحمةً بهم، وفضلاً منه وإحسانًا، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وحذرهم عن كتمان العلم، وأمرهم بتبليغه للبشرية على حسب الطاقة والجهد، وعلى حسب العلم الذي أعطاهم الله ـ عز وجل ـ لا يُكلفّ الله نفسًا إلا وسعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾[2].

وهذه الآية، وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموه من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق، المظهرات له، والعلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، ومن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين: كَتْم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، لعنه الله، ولعنه جميع الخليقة؛ لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم عن رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطير في الهواء؛ لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم؛ ولأنه قربهم من رحمة الله، فَجُوزِيَ من جنس عمله[3].

---

(١) سورة الصف، الآيتان ٢، ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٩ .

(٣) انظر: تفسير عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١/ ١٨٦، وتفسير البغوي ١/ ١٣٤، وابن كثير ١/ ٢٠٠.

وقـد بين ﷺ أن **«من سُئِل عن علمٍ يَعْلمُهُ فَكتَمَهُ أُلجِمَ يوم القيامة بلجام من نار»**[1].

فتبين بذلك وغيره أن العلم النافع الذي هو أحد أركان الحكمة لا يكون إلا مع العمل به، ولهذا قال سفيان[2] في العمل بالعلم والحرص عليه: «أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله»[3].

وقال رحمه الله: «يُرادُ للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والإنصات، والنشر»[4].

وقال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: تعلموا، تعلموا فإذا علمتم فاعملوا[5].

وقال رضي الله عنه: إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه[6].

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقواماً يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقًا فيباهي بعضهم بعضا، حتى أن الرجل ليغضب

---

(١) الترمذي، في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم ٥/ ٢٩، وأبو داود في العلم، باب كراهية منع العلم ٣/ ٣٢١، وابن ماجه في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه ١/ ٩٨، وأحمد ٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٤٩، وصحيح الترمذي ٢/ ٣٣٦.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، الإمام الكبير شيخ الإسلام، ولد سنة ١٠٧هـ، في النصف من شعبان، وعاش (٩١) سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤ ـ ٤٧٤.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب في فضل العلم والعالم ١/ ٨١.

(٤) المصدر السابق ١/ ٨١.

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٩٥.

(٦) المرجع السابق ٢/ ٦.

على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله ـ عز وجل ـ»[1].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : لا تكون تقيًّا حتى تكون عالماً، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً[2].

ولهذا قال الشاعر :

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً   عليك ولم تعذر بما أنت جاهله
فإن كنت قد أوتيت علمًا فإنما   يصدق قولَ المرء ما هو فاعله[3]

وبهذا يتضح أن العلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا باقترانه بالعمل، وقد كان علم السلف الصالح ـ وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ ـ مقروناً بالعمل، ولهذا كانت أقوالهم، وأفعالهم، وسائر تصرفاتهم تزخر بالحكمة، ولهذا قال ﷺ : **«لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسُلِّطَ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»**[4].

وقـد دعا النبي ﷺ لعبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بالحكمة، والفقه في الدين، فقال ﷺ : **«اللهم علمه الحكمة»**، وفي لفظ : **«اللهم علمه الكتاب»** وفي لفظ : **«اللهم فقهه في الدين»**[5].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٧ .
(٢) المرجع السابق ٢/ ٧ .
(٣) المرجع السابق ٢/ ٧ .
(٤) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة ١/ ١٦٥، ومسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ١/ ٥٥٨ .
(٥) البخاري مع الفتح، في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ٧/ ١٠٠، ١٣/ ٢٤٥، ١/ ١٦٩، ١/ ٢٤٤، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل ابن عباس رضي الله عنهما ٤/ ١٩٢٧ .

فكان ـ رضي الله عنهما ـ حبرًا للأمة في علم الكتاب والسنة والعمل بهما استجابة لدعوة النبي ﷺ.

أسباب وطرق تحصيل العلم:

والعلم النافع له أسباب ينال بها، وطرق تُسلك في تحصيله وحفظه، من أهمها:

١ ـ **أن يسأل العبد ربه العلم النافع**، ويستعين به تعالى، ويفتقر إليه، وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بسؤاله أن يزيده علمًا إلى علمه[١]، فقال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[٢]، وقد كان ﷺ يقول: «**اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا**»[٣].

٢ ـ **ومنها: الاجتهاد في طلب العلم**، والشوق إليه، والرغبة الصادقة فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وبذل جميع الأسباب في طلب علم الكتاب والسنة[٤].

وقد جاء رجل إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ فقال: إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه، فقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «كفى بتركك له تضييعًا»[٥].

ولهذا قال بعض الحكماء عندما سُئلَ: ما السبب الذي ينال به العلم؟ قال: بالحرص عليه يتبع، وبالحب له يستمع، وبالفراغ له يجتمع، [عَلَّم

---

(١) انظر: تفسير الإمام البغوي ٣/ ٢٣٣، وتفسير العلامة السعدي ٥/ ١٩٤.
(٢) سورة طه، الآية ١١٤.
(٣) الترمذي، في الدعوات، باب في العفو والعافية ٥/ ٥٧٨، وابن ماجه، في العلم، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ١/ ٩٢، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٤٧.
(٤) انظر: تفسير السعدي ٥/ ١٩٤.
(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ١٠٤.

علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إن فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت][1].

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاءٌ، وحرصٌ، واجتهادٌ، وبلغةٌ وصحبةُ أستاذٍ وطول زمان[2]

٣ ـ ومنها: **اجتناب جميع المعاصي** بتقوى الله ـ تعالى ـ؛ فإن ذلك من أعظم الوسائل إلى حصول العلم، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[4].

وهذا واضح بين أن من اتقى الله جعل له علمًا يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل[5]، ولهذا قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد عَلِمَه بالذنب يعمله»[6].

وقال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: «خمسٌ إذا أخطأ القاضي منهن خطةً[7] كانت فيه وصمةً[8] أن يكون: فهمًا، حليمًا، عفيفًا، صليبًا[9]، عالمًا سئولاً عن العلم»[10].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، ١/ ١٠٢، ١٠٣.
(٢) ديوان الشافعي ص ١١٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.
(٤) سورة الأنفال، الآية ٢٩.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٣٨، وتفسير السعدي ١/ ٣٤٩.
(٦) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ١٩٦.
(٧) خطة: أي خصلة. انظر: فتح الباري ١٣/ ١٤٦.
(٨) وصمة: عيبًا. انظر: فتح الباري ١٣/ ١٤٦.
(٩) قويًا شديدًا، يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى. انظر: فتح الباري ١٣/ ١٤٦.
(١٠) البخاري مع الفتح، كتاب الأحكام، باب متى يستوجب الرجل القضاء ١٣/ ١٤٦.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

شكوت إلى وكيع[1] سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن علم الله نـور ونور الله لا يُهدى لعاصي[2]

وقال الإمام مالك للإمام الشافعي - رحمهما الله - تعالى - : «إني أرى الله قد جعل في قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية»[3].

٤ - ومنها : **عدم الكبر والحياء عن طلب العلم**، ولهذا قالت عائشة - رضي الله عنهـا - : «نِعْم النسـاء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[4].

وقالت أم سُليم - رضي الله عنها - : يارسول الله، إن الله لا يسْتَحْيِي من الحق، فهل على المرأة من غُسلٍ إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «**إذا رأت الماء**»[5].

وقال مجاهد: «لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر»[6].

٥ - ومنها، بل أعظمها ولُبُّها: الإخلاص في طلب العلم، قال ﷺ: «**من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله - عز وجل -، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرَفْ الجنة يوم القيامة**»[7] يعني ريحها.

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح، الإمام، الحافظ، محدث العراق، ولد سنة ١٢٩هـ، ومات سنة ١٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ١٤٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٠٩.

(٢) ديوان الشافعي، ص ٨٨، وانظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، ص ١٠٤.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٠٤.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الحياء في العلم ١/ ٢٢٨.

(٥) المرجع السابق ١/ ٢٢٨.

(٦) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الحياء في العلم ١/ ٢٢٨.

(٧) أبـو داود بلفظه في العلم، باب في طلب العلم لغير الله ٣/ ٣٢٣، وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم ١/ ٩٣، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٤٨.

٦ ـ العمل بالعلم[1]:

ومما تقدم يتضح أن العلم لا يكون ركنًا من أركان الحكمة ودعائمها إلا بالعمل، والإخلاص، والمتابعة.

(١) انظر: ص ٤٨، من هذا البحث.

المطلب الثاني : الحلم :

الحِلمُ : بالكسر: العقل[1]، وحلم حلمًا: تأنّى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة، وقوة، وصفح، وعقل[2]، ومن أسماء الله ـ تعالى ـ: (الحليم)، وهو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منته إليه[3].

والحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب[4].

والحلم : هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة. فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصر كان على رذيلة، وإن تبلد، وضيع حقه ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلى بالحلم مع القدرة، وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

وهناك ارتباط بين الحلم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم: وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس، وأصبح طبعاً من طبائعها كان ذلك هو الحلم، والله أعلم[5].

وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[6].

ونلاحظ أن الآيات التي وصفت الله بصفة الحلم قد قرنت صفة الحلم

---

(١) القاموس المحيط، باب الميم، فصل الحاء، ص ١٤١٦.
(٢) المعجم الوسيط، مادة: حلم ١/ ١٩٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الحاء مع اللام ١/ ٤٣٤.
(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة حلم، ص ١٢٩.
(٥) انظر: مفردات غريب القرآن، ص ١٢٩، وأخلاق القرآن للشرباصي ١/ ١٨٢، والأخلاق الإسلامية لعبدالرحمن الميداني ٢/ ٣٢٦.
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٥٥ .

ـ في أغلب هذه الآيات ـ بصفة المغفرة أو العفو، ويأتي هذا الاقتران في الغالب بعد إشارة سابقة إلى خطأ واقع، أو تفريط في أمر محمود، وهذا أمر يتفق مع الحلم؛ لأنه تأخير عقوبة، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1].

ونجد أيضًا أن عددًا من الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قرن فيها ذكر الحلم بالعلم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[2]، وهذا يفيد ـ والله أعلم بمراده ـ أن كمال الحلم يكون مع كمال العلم، وهذا من أعظم أركان الحكمة[3].

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ـ التي ينبغي للداعية أن يدعو بها إلى الله ـ تعالى ـ مدح النبي ﷺ للحلم، وتعظيمه لأمره، وأنه من الخصال التي يحبها الله ـ عز وجل ـ، قال ﷺ للأشج[4]: **«إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»**[5].

وفي رواية قال الأشج: يا رسول الله، أنا تخلقت بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: **«بل الله جبلك عليهما»**، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[6].

وسبب قول النبي ﷺ ذلك للأشج ما جاء في حديث الوفد أنهم لما

---

(١) سورة فاطر، الآية ٤٥.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٩.

(٣) انظر: أخلاق القرآن للشرباصي ١/ ١٨٥.

(٤) المنذر بن عائذ بن المنذر العصري، أشج عبدالقيس، كان سيد قومه، رجع بعد إسلامه إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة بعد ذلك ومات بها رضي الله عنه. انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦٧.

(٥) مسلم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ـ تعالى ـ ورسوله ١/ ٤٨.

(٦) أبو داود، في الأدب، باب في قبلة الجسد ٤/ ٣٥٧، وأحمد ٤/ ٢٠٦، ٣/ ٢٣.

وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ . وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها، وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ: «**تبايعونِ على أنفسكم وقومكم؟**» فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يا رسول الله، إنك لم تزاول الرجل على شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، قال: «**صدقت، إن فيك خصلتين. . .**». الحديث.

فالأناة: تربصه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، والحلم: هذا القول الذي قاله، الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب. .»[1].

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها العظام أنه خلق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله والصالحين في الأخلاق المحمودة كافة.

وقد واجه كل واحد منهم من قومه ما يثير الغضب، ويغضب منه عظماء الرجال، ولكن حلموا عليهم، ورفقوا بهم، ولانوا لهم حتى جاءهم نصر الله المؤزر، وعلى رأسهم إمامهم، وسيدهم، وخاتمهم محمد ﷺ ولم يكن غريباً أن يوجهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة حين يقول له: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ. وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[2]. ﴿**وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ**﴾[3]، ﴿**فَبِمَا**

---

(١) شرح النووي على مسلم ١/ ١٨٩، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٢.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٤.

﴿... رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

وقد بلغ ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله ـ تعالى ـ الغاية المثالية، والدلائل على ذلك كثيرة جدًّا، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لما كان يوم حنينٍ آثر النبي ﷺ أناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ. فأتيته فأخبرته، فقال: **«فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»**[2].

وهذا من أعظم مظاهر الحلم في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وقد اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يقسم تلك الغنائم بين هؤلاء المؤلفة قلوبهم، ويوكل من قلبه ممتلىء بالإيمان إلى إيمانه[3].

٢ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال بعث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة[4] في أديم مقروظ[5] لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلّفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ٦/ ٢٥١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٢/ ٧٣٩.

(٣) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري ٨/ ٤٩.

(٤) أي: ذهب. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

(٥) مدبوغ بالقرظ . انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

بدر[1]، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل[2]، والرابع إما علقمة[3] وإما عامر ابن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء؟**» قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمِّر الإزار، فقال: يا رسول الله! اتق الله، قال: «**ويلك، أولست أحقُّ أهل الأرض أن يتقي الله؟**» قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**». قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٍ، فقال: «**إنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[4].

وهذا من مظاهر حلم النبي ﷺ، فقد أخذ بالظاهر ولم يؤمر أن ينقب قلوب الناس، ولا أن يشق بطونهم، والرجل قد استحق القتل واستوجبه؛ ولكن النبي ﷺ لم يقتله، لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولا سيما من صلى[5].

---

(١) وهو عيينة بن حصن بن حذيفة، نسب لجده الأعلى. الفتح ٨/ ٦٨.

(٢) زيد الخيل بن مهلهل الطائي، وسماه النبي ﷺ زيد الخير، بالراء بدل اللام. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

(٣) ابن علاثة العامري، أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران، فمات بها في خلافته. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

(٤) البخاري، مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ إلى اليمن ٨/ ٦٧، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤١.

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ٦٩.

٣ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدة حتى نظرت صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، **فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء**[١].

وهذا من روائع حلمه ﷺ وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس، والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام؛ وليتأسى به الدعاة إلى الله، والولاة بعده في حلمه، وخلقه الجميل من الصفح، والإغضاء، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن[٢].

٤ ـ وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، وعلق بها سيفه، ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثاً)** ولم يعاقبه، وجلس»[٣].

وفي هذا دلالة واضحة على قوة يقينه، وصبره على الأذى، وحلمه على الجهال، وشدة رغبته في استئلاف الكفار؛ ليدخلوا في الإسلام، ولهذا ذُكِرَ أن هذا الأعرابي رجع إلى قومه وأسلم، واهتدى به خلق كثير[٤].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٦/ ٢٥١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٠٦، وشرح النووي على مسلم ٧/ ١٤٦، ١٤٧.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر بالسفر عند القائلة ٦/ ٩٦، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف ١/ ٥٧٦، ٤/ ١٧٨٦.

(٤) انظر: فتح الباري ٧/ ٤٢٧، ٤٢٨.

وهذا مما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها.

٥ ـ ومن عظيم حلمه عدم دعائه على من آذاه من قومه، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه ﷺ حليم حكيم يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم، ولهذا قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء، **صلوات الله وسلامه عليهم**، ضربه قومه فأدْمَوْهُ وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

ومما يدل على أن الحلم ركن من أركان الحكمة ملازمة صفة الحلم للأنبياء قبل النبي ﷺ في دعوتهم إلى الله تعالى.

فهذا إبراهيم أبو الأنبياء، **عليه وعليهم الصلاة والسلام**، قد بلغ من الحلم مبلغًا عظيمًا حتى وصفه الله بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ**﴾[2]، فقد كان إبراهيم كثير الدعاء، حليمًا عمن ظلمه، وأناله مكروهًا، ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله: ﴿**أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا. قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا**﴾[3].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان ٦/ ٥١٤، ومسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٤.

(٣) سورة مريم، الآيات ٤٦ ـ ٤٨.

فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له، واستغفر[1]، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[2].

وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين، كانوا من أعظم الناس حلمًا مع أقوامهم في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ[3].

ومن وراء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يأتي الدعاة إلى الله والصالحون من أتباعهم، وإذا كان الله عز وجل قد جعل محمدًا ﷺ مثلاً عاليًا في الحلم، فقد أراد لأتباعه أن يسيروا على نهجه وسنته، ولذلك يقول ـ تعالى ـ عن الأخيار من هؤلاء: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾[4].

فمن صفاتهم أنهم أصحاب حلم، فإذا سفه عليهم الجهال بالقول السيِّء لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله ﷺ لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا[5].

فعن النعمان بن مقرن المزني، قال: قال رسول الله ﷺ وسبّ رجل رجلاً عنده، فجعل المسبُوبُ يقول: عليك السلام، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إن ملكاً بينكما يذب عنك كلما يشتمك هذا، قال له: بل أنت وأنت أحق به، وإذا قال له: عليك السلام، قال: بل لك، أنت أحق به**»[6].

فهؤلاء الدعاة إلى الله والصالحون إذا خاطبهم الجاهلون قالوا صوابًا

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٦، والبغوي ٢/ ٣٣٢، والأخلاق الإسلامية للميداني ٢/ ٣٣٢.
(٢) سورة التوبة، الآية ١١٤.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١١٤، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ١/ ١٨٥.
(٤) سورة الفرقان، الآية ٦٣.
(٥) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣١٠، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٥٦، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٤٠.
(٦) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٤٥، وقال ابن كثير في تفسيره: إسناده حسن ٣/ ٣٢٦.

وسدادًا، ويردون المعروف من القول على من جهل عليهم[1]؛ لأن من أخلاقهم العفو والصفح عمن أساء إليهم، فقد تخلقوا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعةً، حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه. ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[2]، فترتب على هذا الحلم، والعفو، والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير[3]، كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[4].

ومما يبين حلم أصحاب النبي ﷺ من بعده وإن كانوا خلفاء وأمراء، ما رواه البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم عيينة بن حصن ابن حذيفة فنزل على أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله ـ تعالى ـ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[5]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله[6].

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٦.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١١٨، وتفسير العلامة السعدي ٦/ ٦٢١.

(٤) سورة فصلت، الآية ٣٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.

(٦) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، ٨/ ٣٠٤.

وهذا الرجل قد جفا عمر أمير المؤمنين بعدة أمور تثير الغضب، وتجعله عرضة للانتقام والتأديب.

أوّل هذه الأمور، قوله: هي يا ابن الخطاب، ولم يقل: يا أمير المؤمنين.

والثاني : قوله: والله ما تعطينا الجزل، يعني العطاء الكثير.

والثالث : وهو أقبح الأمور الثلاثة، قوله: ولا تحكم بيننا بالعدل.

ومع هذا كله حلم عنه عمر وعفا عنه، وصفح عندما سمع الآية، وسمع قول الحر: إن هذا من الجاهلين، ووقف عند الآية، ولم يعمل بغير ما دلت عليه، بل عمل بمقتضاها، رضي الله عنه وأرضاه[1]، وهذا يدل على كمال حلمه وحكمته التي استفادها من هدي رسول الله ﷺ فرسخت في ذهنه حتى كانت هيئة راسخة ثابتة في نفسه وخلقه.

وهذا يحتاج في بداية الأمر إلى جهاد وقوة، ولهذا قال ﷺ : «**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[2].

ولا شك أن الغضب يهدم الحلم وينافيه، وصاحب الغضب لا يكون حليمًا، ولهذا قال ﷺ لمن قال أوصني : «**لا تغضب**»[3].

والداعية إلى الله يستطيع أن يتصف بالحلم؛ ليكون حكيمًا، وذلك بعلاج الغضب إذا حل به ونزل، ولا يكون العلاج النافع إلا بما شرعه الله. وبينه رسوله ﷺ، فقد عمل على تربية المسلمين تربية قولية وفعلية عملية حتى يكونوا حلماء، حكماء.

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/ ٢٥٩، ٨/ ٣٠٥، ١٣/ ٢٥٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٨، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب ٤/ ٢٠١٤.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٨، والحديث فيه: فردد مرارا، قال: «لا تغضب».

علاج الغضب :

وعلاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقين :

الطريق الأول : الوقاية :

ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه باجتناب أسبابه، واستئصالها قبل وقوعها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يطهر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتيه، والحرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل وما شابه ذلك[1].

الطريق الثاني : العلاج إذا وقع الغضب :

وينحصر في أربعة أنواع كالتالي :

النوع الأول : الاستعاذة بالله من الشيطان ، قال الله تعالى: **﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[2]. وعن سليمان ابن صُرَدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسبّ صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ : **«إني لأعلمُ كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»**[3].

ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عيانًا، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يُرى، وهو شيطان الجن، جعل الله سبحانه المخرج من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شر

---

(١) انظر: الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية، للدكتور صبحي محمصاني، ص ٢٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠٠، وانظر: سورة المؤمنون، الآية ٩٧، وسورة فصلت، الآية ٣٦.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ١٠/٥١٨، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب ٤/ ٢٠١٥.

شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه[1]، وما أحسن ما قاله القائل:

فما هو إلا الاستعاذة ضارعًا ... أو الدفع بالحسنى هما خيرُ مطلوب
فهذا دواء الداء من شر ما يُرى ... وذاك دواءُ الداء من شر محجوب[2]

النوع الثاني: الوضوء، عن عطية السعدي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**»[3].

النوع الثالث: تغيير الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو الخروج، أو غير ذلك، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلّا فليضطجع**»[4].

النوع الرابع: استحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل، عن معاذ - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله - عز وجل - على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء**»[5].

---

(١) انظر: سورة الأعراف، الآية ٢٠٠، وسورة المؤمنون، الآية ٩٧، وسورة فصلت، الآية ٣٦.

(٢) انظر: زاد المعاد ٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣ بتصرف يسير. وأضواء البيان ٢/ ٣٤١ - ٣٤٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب ٤/ ٢٤٩، قال الشيخ عبدالعزيز ابن باز: وإسناده جيد، وانظر: تهذيب السنن ٧/ ١٦٥ - ١٦٨، وعون المعبود ١٣/ ١٤١.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٥٢، وأبو داود في الأدب، باب ما يقال عند الغضب ٤/ ٢٤٩، وابن حبان ص ٤٨٤ (موارد)، وشرح السنة للبغوي ١٣/ ١٦٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجال أحمد رجال الصحيح ٨/ ٧٠، وانظر صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩٠٨.

(٥) سنن أبي داود في الأدب، باب من كظم غيظاً ٤/ ٢٤٨، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا عبد بن حميد ٤/ ٦٥٦، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحلم ٢/ ١٤٠٠، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٥، وصحيح ابن ماجه ٢/ ٤٠٧، وصحيح الجامع ٥/ ٣٥٣، وصحيح أبي داود ٣/ ٩٠٧.

وهذه الأنواع أدلة ثبوتها واضحة من الكتاب والسنة.

وإذا أراد الداعية أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته، فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم، فليعمل بها، وهي عشرة:

١ـ الرحمة بالجهال، فإنها من أوكد أسباب الحلم.

٢ـ القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر، وحسن الثقة.

٣ـ الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

٤ـ الاستهانة بالمسيء:

إذا نطق السفيه فلا تجبه   فخير من إجابته السكوت

٥ـ الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.

٦ـ التفضل على السّاب، وهذا من الكرم وحب التألف.

٧ـ قطع السباب، وهذا من الحزم كما قال الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى   وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا

٨ـ الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا مما يقتضيه الحزم، فقد قيل: الحلم حجاب الآفات.

٩ـ الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد، قال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة   واللؤم مقرون بذي الإخلاف

١٠ـ المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء، وقد قيل: من ظهر غضبه قل كيده.

وقال بعض الشعراء:

وَلَلْكفُ عن شتم اللئيم تكرمًا   أضر له من شتمه حين يشتم(١)

(١) انظر: أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي، المتوفى سنة ٤٥٠هـ، ص ٢١٤.

فإذا راعى الداعية الوقاية من الغضب، والعلاج، وهذه الأسباب العشرة كان حليمًا بإذن الله ـ تعالى ـ وبهذا يحقق ركنًا من أركان الحكمة التي من أوتيها فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.

وينبغي أن يعلم أن الغضب لله يكون محمودًا، ولا يدخل في الغضب المذموم، فالغضب المحمود يكون من أجل الله عندما ترتكب حرمات الله، أو تترك أوامره ويستهان بها، وهذا من علامات قوة الإيمان، ولكن بشرط أن لا يخرج هذا الغضب عن حدود الحلم والحكمة، وقد كان رسول الله ﷺ يغضب لله إذا انتهكت محارمه، وكان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادمًا، ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وقد خدمه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عشر سنوات، فما قال له: أُفٍّ، قَطُّ، ولا قال له لشيء فعله: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم يفعله ألا فعلت كذا؟[1].

وهذا لا ينافي الحلم والحكمة، بل الغضب لله في حدود الحكمة من صميم الحلم والحكمة.

(١) انظر: عدة حالات غضب فيها النبي ﷺ لله تعالى، في البخاري مع الفتح، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ـ تعالى ـ ١٠/ ٥١٧، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٢٧، وفتح الباري ١٠/ ٥١٨.

المطلب الثالث : الأنـاة :

الأناة في اللغة : التثبت وعدم العجلة ، يقال : تَأَنَّى في الأمر: مكث ولم يعجل ، والاسم منه : أناة[1].

ويقال : تأنى في الأمر: ترفَّق ، وتنظَّر ، وتمهل ، واستأنى به : انتظر به وأمهله[2].

وتـأتي الأنـاة بمعنى التبيّن والتثبت في الأمور، يقال : تَبَيَّن في الأمر والرأي : تثبت ، وتأنى فيه ولم يعجل[3].

ويأتي التبين بمعنى : التبصر: التعرف والتأمل ، يقال : تبصر الشيء ، وتأمل في رأيه : تبين ما يأتيه من خيرٍ أو شرٍ[4].

وعلى ضوء ما تقدم تكون الأناة هي : التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ[5].

والأناة مظهر من مظاهر خُلق الصبر، وهي من صفات أصحاب العقل والـرزانة ، بخلاف العجلة فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش ، وهي تدل على أن صاحبها لا يملك الإرادة القوية القادرة على ضبط نفسه تجاه انفعالاته العجولة ، وبخلاف التباطؤ والتواني فهما من صفات أصحاب الكسل والتهاون بالأمور، ويدلان على أن صاحبهما لا يملك القدرة على دفع همته للقيام بالأعمال التي تحقق له ما يرجو، أو ليس لديه همة عالية تنشد الكمال ، فهو يرضى بالدنيات ، إيثارًا للراحة ، وكسلاً عن القيام بالواجب .

---

(١) المصباح المنير، مادة : انى ١/ ٢٨ .

(٢) انظر: مختار الصحاح ، مادة : أنى ، ص ١٣ ، والمعجم الوسيط ١/ ٣١ .

(٣) انظر: المعجم الوسيط ، مادة : أبان ١/ ٨٠ ، ومادة : ثبت ١/ ٩٣ .

(٤) انـظر: القـاموس المحيط ، باب الراء ، فصل الباء ، ص ٤٤٨ ، ومختار الصحاح ، مادة : «بصر» ص ٢٢ ، والمعجم الوسيط ١/ ٥٩ .

(٥) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن الميداني ٢/ ٣٥٢ .

والأناة عند الداعية إلى الله ـ تعالى ـ تسمح له بأن يُحكم أموره، ويضع الأشياء في مواضعها، فهي ركن من أركان الحكمة، بخلاف العجلة فإنها تعـرضه لكثير من الأخطاء، والإخفاق، والتعثر، والارتباك، ثم تعرضه للتخلف من حيث يريد السبق، ومن استعجـل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وبخلاف التباطؤ والكسل فهو أيضًا يعرضه للتخلف والحرمان من تحقق النتائج التي يرجوها(١).

والـداعية مطلوب منـه أن يتخلق بخلق الأناة، ولكن ما يتطلب من الأمـور عمـلاً سريعًـا فالحكمة السرعة إذن، وهي لا تخرج عن الأناة، فالقضية نسبية، وما يتطلب من الأمور عملاً بطيئًا فالحكمة البطء إذن، وهو لا يخرج عن الأناة؛ لأن الأمر نسبي، وليس للأناة مقادير زمنية ثابتة؛ ولكنهـا تختلف باختـلاف حاجـة الأشياء إلى مقدار السرعة الزمنية التي تحتاجها وتستدعيها النتائج المطلوبة، فالأشياء مربوطة بأوقاتها، والعجلة فيها مع معرفة أوقاتها المطلوبة خلقٌ مذموم يدل على ضعف خلق الصبر، ونقص الحكمة، والتباطؤ فيها خلق مذموم يدل على ضعف الهمة والإخلاد إلى الراحة والكسل، أما الأناة فليست تعجلاً ومسابقة لأوقات الأشياء، ولا تباطؤًا وكسلاً، وكل من العجلة والتباطؤ يضيعان على أصحابهما الجهد والـزمن، ومـا بذلـوه، والأنـاة هي الكفيلة ـ بإذن الله تعـالى ـ بتحقيق المطلوب، وتفادي الخسارة.

وقـد ذم الإسـلام الاستعجال ونهى عنه، وذم التباطؤ والكسل ونهى عنه، ومدح الأناة وأمر بها، وعمل على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال وتصريف الأمور(٢).

---

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن الميداني ٢/٣٥٣، وأخلاق القرآن الكريم ١٥/٣٠.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ٢/٣٥٣، ٣٥٤ بتصرف.

قال الله ـ تعالى ـ للنبي ﷺ تربية له وتعليماً: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[1] .

فأمر سبحانه نبيه بعدم العجلة ومسابقة الملَك في قراءته، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره[2] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3] .

وأمر سبحانه عباده المؤمنين والدعاة إلى الله ـ تعالى ـ بالتأني في الأمور والتثبت فيها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[4]، قرأ الجمهور: (فتبينوا) من التبين، وهو التأمل، وقرأ حمزة والكسائي: (فَتَثَبَّتُوا)، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر[5] .

والدعاة إلى الله أولى بامتثال أمر الله ـ تعالى ـ بالتأني والتثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها أو لها، وعليهم أن يتدبروا الأمور على مهلٍ، غير متعجلين؛ لتظهر لهم جلية واضحة، لا غموض فيها ولا التباس[6] .

---

(١) سورة القيامة، الآيات ١٦ ـ ١٩ .
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٠ .
(٣) سورة طه، الآية ١١٤ .
(٤) سورة الحجرات، الآية ٦ .
(٥) انظر: فتح القدير، للإمام الشوكاني ٤/ ٦٠ .
(٦) انظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٣٤، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ٣/ ١٥ .

والداعية إلى الله ـ تعالى ـ إذا أبصر العاقبة أمِنَ الندامة، ولا يكون ذلك إلا إذا تدبر جميع الأمور التي تعرض له، ويواجهها، فإذا كانت رشدًا، وحقًّا، وصوابًا فليمض، وإذا كانت غيًّا، وضلالاً، وظنًّا خاطئًا، فليقف وينته حتى يتضح له الحق.

والمشاهَد والواقع أن عدم التثبت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد، فقد يسمع الإنسان خبرًا، أو يقرأ نبأ في صحيفة، أو مجلة، فيسارع بتصديقه، ويعادي ويصادق، ويبني على ذلك التصرفات والأعمال التي يصدرها للمقاومة أو الموافقة، على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر أنه كان مكذوباً، أو محرفًا، أو مزورًا، أو مبالغًا فيه، أو مرادًا به غير ما فهمه الإنسان، ومن هنا يكتوي المتسرع بلهب الندم والحسرة بسبب استعجاله وعدم تثبته.

وقد يصاب الداعية أو غيره من المسلمين بأذى دون أن يعرف مصدره، فيستعجل ويسارع فيتهم هذا، أو يسب ذاك، فيندم ويحصد ثمرة عجلته وعدم تثبته، ولو أنه تأنى، وتبين، وتثبت؛ لأدرك مصدر الأذى على حقيقته، وحينئذ يصدر التصرف على أساس البينة والبرهان، فلا يفقد أصدقاء له، ولا يضيف إلى أعدائه عدوًا جديدًا منهم.

ويدخل في العجلة وعدم التثبت تعجل الإنسان في المدح أو الذم، دون دراية أو دون موجب لذلك، أو يتعجل بالكلام قبل أن يديره على عقله، أو بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمد عليه، وبنى عليه فتواه، وبعد ذلك يحصد الغم والأسف[1]، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾[2].

---

(١) انظر: موسوعة أخلاق القرآن الكريم ٣/ ٢٦، وفي ظلال القرآن ٦/ ٣٣٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١.

ولعظم أمر الأناة والتبين أمر الله بها حتى في جهاد الكفار في سبيل الله الذي هو من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[١].

ومن المعلوم أن الأمور قسمان: أمور واضحة، وأمور غير واضحة.

فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الداعية خاصة والمسلمين عامةً بحاجة إلى التثبت فيها والتبين، فإن ذلك يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة ما يجعل المسلم في سلامة عن الزلل، وبذلك يُعْرَف دين العبد وعقله ورزانته[٢].

ومما يزيد الآية السابقة وضوحًا ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - **(ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلـٰم لست مؤمنًا)** قال: كان رجل في غُنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غُنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تلك الغُنيمة، وقرأ ابن عباس: السلام[٣].

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٢/ ١٣٢.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة النساء، باب: ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا ٨/ ٢٥٨.

من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إلـه إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: «**يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إلـه إلا الله؟** قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذًا، قال: فقال: **أقتلته بعد ما قال لا إلـه إلا الله**، قال: فما زال يُكرّرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[1].

وفي رواية قال: قلت يا رسول الله: إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**»، فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[2].

وفي رواية: «**كيف تصنع بلا إلـه إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: يا رسول الله: استغفر لي، قال: «**وكيف تصنع بلا إلـه إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**». قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «**كيف تصنع بلا إلـه إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**»[3].

ولهذا كان النبي ﷺ أعظم الناس أناةً وتثبّتًا، فكان لا يقاتل أحدًا من الكفار إلا بعد التأكد بأنهم لا يقيمون شعائر الإسلام، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ «أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم..»[4].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة إلى الحرقات ٧/ ٥١٧، ١٢/ ١٩١، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إلـه إلا الله ١/ ٩٧.

(٢) مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إلـه إلا الله ١/ ٩٦.

(٣) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إلـه إلا الله ١/ ٩٧.

(٤) البخاري مع الفتح بلفظه مطولاً، في كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء ٢/ ٨٩، ومسلم، في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان ١/ ٢٨٨.

وكان ﷺ يعلم ويربي أصحابه على الأناة والتثبت في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ ومن ذلك أنه كان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إلى إحدى ثلاث خصال:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

(ب) فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

(جـ) فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم[1].

ومن تربيته لأصحابه ﷺ على الأناة وعدم العجلة قوله: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة فما أدركْتُمْ فصلّوا، وما فاتكم فأتموا**»[2].

وقوله: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني قد خرجت**»[3].

ولسُمُوِّ الأناة أحبها الله عز وجل، قال ﷺ للأشج: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[4].

والرسل عليهم الصلاة والسلام هم صفوة الخلق وقدوتهم، وهم أكمل الناس أناةً وحلمًا، وأعظمهم في ذلك وأوفرهم حظًّا محمد ﷺ.

ومن أمثلة ذلك قصة سليمان مع الهدهد وتثبته وعدم عجلته، قال سبحانه عن ذلك: ﴿**وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ**

---

(١) أخرج الحديث مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ٣/ ١٣٥٧، وانظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٠٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، وقوله: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ ٢/ ٣٩٠، ومسلم في المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعيًا ١/ ٤٢٠.

(٣) مسلم، في كتاب المساجد، باب متى يقوم الناس للصلاة ١/ ٤٢٢.

(٤) مسلم، في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ـ تعالى ـ ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ١/ ٤٨.

﴿ٱلْغَآئِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾[1].

فهذا الهدهد من جنود سليمان ﷺ كان غائباً بغير إذن سليمان، وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم والجد في تنظيم الجنود حتى لا تكون فوضى، فإن سليمان إذا لم يأخذ بذلك في تنظيم الجنود ومراقبتهم كان المتأخر منهم قدوة سيئة لبقية الجنود، ولهذا نجد سليمان النبي الملك الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف، ولكن سليمان ليس ملكًا جبارًا في الأرض، ولا متسرعًا عجولاً، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يترك الأناة والتثبت ويقضي في شأنه قضاءً نهائيًا قبل أن يسمع منه ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل المتثبت ﴿أو لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة قوية واضحة توضح عذره وتنفي المؤاخذة عنه[2].

فالأناة صفة جميلة، وتكون أجمل إذا جاءت من القادر على العقاب، ولهذا قال الشاعر ابن هانيء المغربي:

وكل أناة في المواطن سؤدد ... ولا كأناة من قديرٍ محكم
ومن يتبين أن للصفح موضعًا ... من السيف يصفح عن كثير ويحلم
وما الرأي إلا بعد طول تثبت ... ولا الحزم إلا بعد طول تلوم

وقال الشاعر يمدح عاقلاً حكيمًا:

بصير بأعقاب الأمور كأنما ... يخاطبه في كل أمر عواقبه[3]

والداعية إلى الله ـ عز وجل ـ إذا تثبت، وتأمل في جميع أموره اكتسب ركنًا من أركان الحكمة، وينبغي ألا يقتصر في منهجه المتكامل على التأني

---

(1) سورة النمل، الآيتان ٢٠، ٢١.

(2) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/ ٢٦٣٨، وفقه الدعوة في إنكار المنكر، لعبد الحميد البلالي، ص ١٧.

(3) انظر: موسوعة أخلاق القرآن، للدكتور الشرباصي ٣/ ٢٧.

والتثبت في الأفعال والأقوال فحسب، بل عليه أن يجري ذلك على القلب في خواطره، وتصوراته، وفي مشاعره وأحكامه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

فلا يقول اللسان كلمة، ولا يروي حادثة، ولا يحكم العقل حكمًا، ولا يبرم الداعية أمرًا إلا وقد تثبت من كل جزئية، ومن كل ملابسة، ومن كل نتيجة، حتى لا يبقى هنالك شك ولا شبهة في صحتها، وحينئذ يصل الداعية المسلم المتمسك بهذه الضوابط إلى أعلى درجات الأناة والحكمة والسداد ـ بإذن الله تعالى ـ[2].

أما العجلة فهي مذمومة، قال سبحانه عن فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[3]، استخفهم وحملهم على الضلالة والجهل، واستخف عقولهم، يقال: استخفه عن رأيه: إذا حمله على الجهل وأزاله عما كان عليه من الصواب[4].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[5]، ولا شك أن الإنسان قد خلق من عجل ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[6]؛ ولكنه ـ بحمد الله ـ إذا امتثل أمر الله وترك نهيه حسنت أخلاقه وطبائعه.

والعجلة لها أسباب ينبغي اجتنابها، منها: عدم النظر في العواقب، وسنن الله في الكون، ومنها الشيطان عدو الإنسان، فإن أساس العجلة من

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦ .
(٢) انظر: في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢٧ .
(٣) سورة الزخرف، الآية ٥٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٠، وشرح السنة للبغوي ١٣/ ١٧٥ .
(٥) سورة الروم، الآية ٦٠.
(٦) سورة الأنبياء، الآية ٣٧ .

الشيطان؛ لأنه الحامل عليها بوسوسته، فيمنع من التثبت والنظر في العواقب، فيقع المستعجل في المعاطب والفشل[1]، ولذلك قيل:

يا صاحبي تلوما لا تعجلا إن النجاح رهين أن لا تعجلا

وقال عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ : لا يزال الرجل يجني من ثمرة العجلة الندامة[2].

وينبغي أن يُعْلَم أن العجلة المذمومة ما كان في غير طاعة، ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت، ولهذا قيل لبعض السلف: لا تعجل، فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[3].

وقد قال بعض السلف: لا تعجل عجلة الأخرق وتحجم إحجام الواني.

والخلاصة: أنه يستثنى من العجلة ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[4].

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال الأعمش: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ: **«التُّؤَدَةُ[5] في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة»**[6].

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ١٣/ ١٧٦، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٣/ ١٨٤.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي شرح الترمذي ٦/ ١٥٣.

(٣) سورة طه، الآية ٨٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

(٥) التُّؤَدَةُ: التأني. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٣/ ٢٧٧، وعون المعبود ٣/ ١٦٥.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب الرفق ٤/ ٢٥٥، والحاكم بلفظه وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ١/ ٦٤، وانظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩١٣.
وذلك لأن الحزم بذل الجهد في عمل الآخرة؛ لتكثير القربات ورفع الدرجات لأن في تأخير الخيرات آفات. انظر فيض القدير ٣/ ٢٧٧، وعون المعبود ٣/ ١٦٥.

وعن عبـدالله بن سرجس المـزني، أن النبي ﷺ قال: «**السَّمْتُ**[1] **الحسن، والتُّؤَدَةُ، والاقتصاد**[2] **جزء من أربعةٍ وعشرين جزءًا من النبوة**»[3].

وبهذا يعلم أن الأناة في كل شيء محمودة وخير إلا ما كان من أمر الآخرة، بشرط مراعاة الضوابط التي شرعها الله حتى تكون المسارعة مما يحبه الله تعالى.[4].

---

(١) السمت الحسن: هو حسن الهيئة والمنظر. انظر فيض القدير للمناوي ٣/ ٢٧٧.

(٢) الاقتصاد: هو التوسط في الأمور والتحرز عن طرفي الإفراط والتفريط. انظر: المرجع السابق ٣/ ٢٧٧.

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة ٤/ ٣٦٦، وانظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩٥.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ١٣/ ١٧٧، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٣.

المبحث الرابع : طرق اكتساب الحكمة

تمهيد : أهمية اكتساب الحكمة .

المطلب الأول : السلوك الحكيم .

المطلب الثاني : العمل بالعلم المقرون بالصدق والإخلاص.

المطلب الثالث : الاستقامة .

المطلب الرابع : الخبرات والتجارب .

المطلب الخامس : السياسة الحكيمة .

المطلب السادس : فقه أركان الدعوة إلى الله تعالى .

تمهيـــد :

الحكمـة هبـة وفضـل من الله ـ عز وجـل ـ يهبها لمن يشاء من عباده وأوليائـه، والحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء له طرق تحصيلهـا، فالعبـد لا يكـون حكيمًا إلا إذا سلك طرق تحصيل الحكمة، ولا يمكن أن يحصل على الحكمة إلا إذا كانت طرقها مستقاة من الكتاب والسنة، وإذا وفق الداعية المسلم لطرق الحكمة فلا يخرجها ذلك عن كونها هبة من الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(1)، بل الله الذي وفقه وسدده، وأعطاه خيرًا كثيرًا، جليلاً قدره، عظيماً نفعه، ولهذا استنبط بعض المحققين من قوله: ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أن إيتاء الحكمة خير من الدنيا وما فيها كلها؛ لأن الله وصف الدنيا في قوله: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾(2)، فدل ذلك على أن ما يؤتيه الله من حكمته خير من الدنيا وما عليها؛ لأن من أوتيها خرج من ظلمة الجهل إلى نور الهدى، وحمق الانحراف في الأقوال والأفعال إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد والاعتدال، والبصيرة المستنيرة، وإتقان الأمور وإحكامها، وتنزيلها منازلها، وهذا كله من أفضل العطايا وأجل الهبات(3).

والحكمة لها طرق تكتسب بها بتوفيق الله تعالى، ومن أهم هذه الطرق التي إذا سلكها المسلم صار حكيمًا بإذن الله تعالى ما يأتي:

---

(1) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(2) سورة النساء، الآية ٧٧.

(3) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم للعلامة عبدالرحمن الدوسري ٤/ ١٣١، وتيسير الكريم الرحمن ١/ ٣٣٢، وفي ظلال القرآن ١/ ٣١٢، ولقمان الحكيم وحكمه ص ٣٠.

العلم النافع، والحلم، والأناة، والرفق واللين، والإخلاص والتقوى، والصبر والمصابرة، والسلوك الحكيم، والعمل بالعلم، والاستقامة، والخبرات والتجارب، وجهاد النفس والشيطان، وعلو الهمة، والعدل، والدعاء، والاستخارة والاستشارة[1]. وفقه وإتقان أركان الدعوة إلى الله تعالى.

وسأذكر في هذا المبحث بالتفصيل بعض هذه الطرق التي إذا سلكها الداعية المسلم ـ مع ما تقدم من الطرق ـ كان حكيمًا في أقواله وأفعاله، وتصرفاته، وأفكاره، موافقًا للصواب في جميع أموره بإذن الله تعالى، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول : السلوك الحكيم.

المطلب الثاني : العمل بالعلم والإخلاص.

المطلب الثالث : الاستقامة.

المطلب الرابع : الخبرات والتجارب.

المطلب الخامس : السياسة الحكيمة.

المطلب السادس : فقه أركان الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) انظر: هذه الطرق بالتفصيل في هذا الكتاب في الصفحات التالية: ٤٣، ٩٠، ٩٣ـ٩٧، ١٢٠ـ١٢٢ و ٥٤٢ـ٥٤٧.

المطلب الأول : السلوك الحكيم :

السلوك : مصدر سلك طريقًا، وسلك المكان يسلكه سلكًا وسلوكًا[1]، وسلكه غيره.

والسلوك : سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسن السلوك أو سيِّىء السلوك[2].

أما الخلق فهو : حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر ورَوِّية، وجمعه: أخلاق.

والأخلاق علم موضوعه أحكام قيمة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح[3]، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول : ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج لأدنى سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، كمن يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه.

القسم الثاني : ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروِّية والفكر ثم يستمر عليه حتى يصير ملكة وخلقًا[4].

والسلوك عمل إرادي، كقول: الصدق، والكذب، والبخل، والكرم، ونحو ذلك.

فاتضح أن الخلق حالة راسخة في النفس وليس شيئًا خارجًا مظهريًّا، فالأخلاق شيء يتصل بباطن الإنسان، ولا بد لنا من مظهر يدلنا على هذه

---

(١) لسان العرب لابن منظور، حرف الكاف فصل السين ١٠/ ٤٤٢.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (سلك) ١/ ٤٤٥ .

(٣) المعجم الوسيط، مادة (خلق) ١/ ٢٥٢.

(٤) انظر: مقدمة في علم الأخلاق، د/ محمود حمدي زقزوق ص ٣٩.

الصفة النفسية، وهذا المظهر هو السلوك، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فنحن نستدل من السلوك المستمر لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق، ورمز له، وعنوانه، فإذا كان السلوك حسنًا دل على خلق حسن، وإن كان سيئًا دل على خلق قبيح، كما أن الشجرة تعرف بالثمر، فكذلك الخلق الطيب يعرف بالأعمال الطيبة[1].

والحكمة تتفرع إلى فروع، وأحد هذه الفروع هو السلوك الحكيم، والتزام فضائل الأخلاق، واجتناب رذائلها ظاهرًا وباطنًا هو السلوك الأخلاقي الحكيم[2].

والداعية إذا التزم السلوك الأخلاقي الحكيم كان ذلك من أعظم طرق اكتساب الحكمة، ومن أسباب توفيق الله له في دعوته، وفي أموره كلها، واستقامته، وحسن سيرته، وأدعى لقبول دعوته، وإصلاح الأخلاق، ومحاربة المنكرات، إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي، سواء كان ذلك قبل قيامه بالدعوة أو بعده، وكثيرًا ما سمعنا أن أناسًا قاموا بدعوة الإصلاح، وخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إعراض الناس عنهم، وعن دعوتهم ما يذكرونه لهم من ماض ملوّث، وخلق غير مستقيم، بل إن هذا الماضي السيّىء مدعاة للشك في صدق مثل هؤلاء الدعاة، بحيث يتهمون بالتستر وراء دعوة الإصلاح؛ لأغراض خاصة، أو يتهمون بأنهم ما بدءوا بالدعوة إلى الإصلاح إلا بعد أن قضوا بعض أوقات أو مراحل أعمارهم، وأخذوا نصيبهم من ملذات الحياة وشهواتها، وأصبحوا في وضع أو عمر لا أمل لهم فيه بالاستمرار فيما كانوا يبلغون فيه من عرض أو مال، أو شهرة، أو جاه.

---

(١) انظر: مقدمة في علم الأخلاق ص ٤٣.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ١/ ١٣.

أما الداعية المستقيم في شبابه وحياته كلها، فإنه يظل أبدًا بفضل الله رافع الرأس، ناصع الجبين، ولا يجد أعداء الدعوة سبيلاً إلى غمزه بماضٍ قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف وسيلة إلى التشهير به، أو دعوة الناس إلى الاستخفاف به وبشأنه.

ولا شك أن الله - عز وجل - يقبل توبة التائب المقبل عليه بصدق وإخلاص، ويمحو بحسناته الحاضرة سيئاته المنصرمة. والداعية إذا استقامت سيرته، وحسنت سمعته الطيبة الحميدة، وسلوكه الحكيم[1] نجح في دعوته بإذن الله تعالى.

وإذا سلك الداعية المسالك الحكيمة في سلوكه فقد سلك أعظم الطرق في اكتساب الحكمة، ومن هذه المسالك على سبيل المثال: ما يأتي:

المسلك الأول : قدوة الداعية في سلوكه.
المسلك الثاني : أصول السلوك الحكيم.
المسلك الثالث : وصايا الحكماء باكتساب الحكمة.

المسلك الأول: قدوة الداعية في سلوكه

ينبغي للداعية أن يتخذ في سلوكه وأعماله كلها قدوة حكيمًا، وإمامًا نبيلاً، وهو محمد بن عبدالله ﷺ فقد كان حسن السيرة والسلوك، بل كان أعظم خلق الله في حسن خلقه الذي دل عليه سلوكه الحكيم، ولا غرابة فقد مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وعرف قومه ذلك منه، ولكن صد بعضهم عن تصديقه الكبر والجحود ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[3]، ولهذا عندما قال

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي ص ٣٩ .
(٢) سورة القلم، الآية ٤ .
(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٣ .

ﷺ لقومه: «**أرأيتَكم لو أخبرتُكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟**»، قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[1].

وفي حديث أبي سفيان مع هرقل حينما سأله عن أحوال النبي ﷺ وسلوكه، قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: قلت: لا... ثم قال: ماذا يأمركم به؟ قال أبو سفيان: قلت: يقول: «**اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة..**» ثم قال هرقل لأبي سفيان في نهاية الحديث: فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»[2].

فهذا الرسول الكريم هو قدوة الداعية، وإمامه الذي يسير على هديه، ويلتزم أخلاقه، وسلوكه، فقد كان ﷺ حسن السيرة والسلوك الحكيم في حياته كلها، ولم يتهم بشيء مما كان يعمله قومه، فقد نشأ ﷺ في مجتمع كثرت فيه المفاسد، وعمت فيه الرذائل: فالبغاء، والاستبضاع، والزنى الجماعي، والأفرادي، ونكاح أسبق الرجال ممن مات زوجها، والاعتداء على الأعراض والأموال والدماء، كل ذلك كان شائعًا في قومه قبل الإسلام، لا ينكره أحد، ولا تحاربه جماعة، هذا بالإضافة إلى وَأْدِ البنات، وقتل الأولاد خشية الفقر أو العار، ولعب الميسر، وشرب الخمر، أمور تعد في الجاهلية من المفاخر والتباهي، وليس من شرط أن يكون المجتمع كله

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة تبت، باب حدثنا يوسف ٨/ ٧٣٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، ١/ ١٩٤.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان، ١/ ٣٢.

يرتكب هذه الجرائم، وإنما عدم إنكارها هو دليل على الرضى بها، وهذا ما يدعو إلى انتشارها إلى جانب الأفكار الأخرى.

والنبي ﷺ لم يعمل أي عمل أو يباشر أي خلق من هذه الأخلاق الرذيلة، بل قد اتصف بجميع مكارم الأخلاق بين قومه، فكان صادقًا لا يعرف الكذب، أمينًا لا يعرف الخيانة، وفيًا لا يعرف الغدر، حتى كان معروفًا في مجتمعه بهذه الصفات، مميزًا بها عن غيره، ولا يجهل ذلك أحد ممن عرفه، ولا يساويه في ذلك أحد من خلق الله، ولا ينكر ذلك أحد، سواء كان عدوًّا أو غيره، ولا يمكن أن يتهمه خصم، فقد بعث ﷺ وناصَبَهُ قومه العداء، ولكن لم يستطع واحد منهم أن يتهمه بصفة غير لائقة أو خلق يعيبه به، ولو عرفوا شيئًا من ذلك ـ وقد عاش بينهم أربعين عامًا ـ لأراحهم من التنقيب عن خصلة غير حميدة يتهمونه بها عندما يحل الموسم، ويلتقي بالناس في الحج حتى يبعدوه عنهم فعجزوا عن ذلك، ووجدوا أن كلمة «ساحر» هي أنسب الصفات التي يطلقونها عليه حيث يفرق بدعوته إلى الله بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والرجل وزوجته، واتهموه بالجنون؛ لأنه خالف شركهم ودعا إلى عبادة الله وحده، ولم يستطيعوا أن يأتوا بأي خلق رذيل فينسبوه إليه ﷺ، وعندما سألهم ﷺ عن صدقه قالوا: «**ما جربنا عليك كذبًا**»[1]، ولهذا لُقِّبَ بين قومه بـ «محمد الأمين»[2].

فالصدق والأمانة من أولى الأخلاق وأحكم السلوك التي يجب على

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب حدثنا يوسف بن موسى ٨/ ٧٣٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ١/ ١٩٤، وتقدم تخريجه.

(٢) أحمد في المسند من حديث السائب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ، بإسناد حسن ٣/ ٤٢٥، قال الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي وله شاهد من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ رواه الطيالسي بترتيب الشيخ عبدالرحمن البنا ٢/ ٨٦.

الدعاة إلى الله الاتصاف والتخلق بها، والصدق يكون في: القول، والنية، والعزم، والعمل.

فالصدق في القول هو أشهر أنواع الصدق، ويكون بالأخبار، فإن نقل الداعية أو غيره من المسلمين خلاف الواقع وما هو عليه فهو كاذب ومفتر، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾[1].

وقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[2].

والصدق في النية: الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى.

والصدق في العزم على العمل، كأن يقول المسلم: لئن عافاني الله لأتصدقن في سبيله بكذا، فإذا عوفي دخل الصدق بالوفاء فيما نذر به.

وقد ذم الله ـ عز وجل ـ عدم الصدق بالوفاء بالعهد: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ. فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ. فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[3].

والصدق في العمل: يكون بأن لا يختلف ظاهر الداعية المسلم عن باطنه[4]، فما أجمل، وما أحسن، وما أحكم، وما أكرم من سار على هديه

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٥.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق ١/ ٨٩، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ١/ ٨٧.

(٣) سورة التوبة، الآيات ٧٥ ـ ٧٧.

(٤) انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ١/ ٣٣.

ﷺ واتبع سلوكه الحكيم، وكل سلوكه حكيم ﷺ وكيف لا يكون كذلك وهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين، متممًا لمكارم الأخلاق، قال ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1].

وسُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلقه، فقالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[2].

ولنا فيه خير أسوة، ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[3]، فحريٌّ بالداعية أن يلتزم سلوكه، وبذلك يكون حكيمًا في دعوته، موافقاً للصواب بإذن الله تعالى.

المسلك الثاني: أصول السلوك الحكيم

لقد جعل الله ـ عز وجل ـ للسلوك الحكيم قواعد عظيمة، إذا التزمها الداعية إلى الله ـ عز وجل ـ كان ذلك من أسباب توفيق الله له، واكتسابه الحكمة، ومن أجمع الآيات في هذا الشأن، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[4].

وهذه الآية من أعظم قواعد السلوك الحكيم وأصوله العظيمة، فهي جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، وهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي قربى، فهي مما أمر الله به.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى بلفظه ١٠/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٣٨١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦١٣، وانظر: صحيح الجامع الصغير ٣/ ٨، برقم ٢٨٣٠، والأحاديث الصحيحة ١/ ٧٥، برقم ٤٥.

(٢) مسلم، في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ١/ ٥١٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤) سورة النحل، الآية ٩٠.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء، أو منكر أو بغي، فهي مما نهى الله عنه.

وبهذا يُعْلَم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال[1].

فهذه الأوامر والنواهي جمعت فضائل الأخلاق والآداب، وأنواع التكاليف التي رسمها الله وحث عليها، لما فيها من إصلاح النفوس، وصلاح حال الأمم والشعوب[2]، ولهذا قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «أجمع آية في كتاب الله للخير والشر الآية التي في النحل»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ . . .﴾ الآية[3].

والداعية المسلم من أولى الناس بتطبيق هذا السلوك الحكيم، فيكون عدلاً محسناً، واصلاً لأقربائه، مبتعدًا عن الفحشاء، والمنكر، والبغي.

والعدل: ضد الجور[4]، وهو إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه[5]، وأنواعه ثلاثة:

(أ) العدل بين العبد وربه، وهو: إيثار حق الله على حظ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والامتثال للأوامر، والاجتناب للزواجر.

(ب) العدل بين العبد وبين نفسه: منعها عما فيه هلاكها ودمارها، وإلزامها بتقوى الله في السر والعلن.

---

(١) انظر: تفسير السعدي ٤/ ٢٣٣، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٤/ ٢١٨٩ ـ ٢١٩١، وتفسير المراغي ١٤/ ١٣٠.

(٢) انظر: تفسير المراغي ١٤/ ١٣٠.

(٣) أخرجه الإمام الطبري بسنده في تفسيره ٤/ ١٠٩.

(٤) انظر: القاموس المحيط ١٣٣١.

(٥) انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٥٨٨.

(جـ) العدل بين العبد وبين الخلق: ببذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من النفس بكل وجه، ولا يكون من الداعية إلى أحد مساءة بقول أو فعل، والصبر على ما يحصل منهم من البلوى، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل ما عليه[1].

والإحسان: مصدر أحسن يحسن إحسانًا، وهو على معنيين[2]:

(أ) أحدهما متعد بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، أي: حسّنته وكمّلته، وهو منقول بالهمزة، من: حسن الشيء، وهذا المعنى يدل عليه حديث جبريل: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

وهذا المعنى راجع إلى إحسان العبادة وتكميلها وتحسينها، والقيام بها كما يحب الله ـ تعالى ـ على الوجه الأكمل، ومراقبة الله فيها واستحضار عظمته وجلاله: حالة الشروع فيها، وحالة الاستمرار.

(ب) والمعنى الثاني: متعد بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى فلان، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به، وهذا إيصال المنافع بأنواعها إلى الخلق، ويدخل في ذلك حتى الإحسان إلى الحيوانات[4].

ومن قواعد السلوك الحكيم التي تشتمل على عدة من أمهات الحكم العالية[5] قوله تعالى: **﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾**.

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١٧٢، وأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١٦٦، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢١٩٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١٦٧، وتفسير السعدي ٤/ ٢٣٢.

(٣) مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/ ٣٧.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١٦٧.

(٥) انظر: تفسير السعدي ٤/ ٢٧٩، وتفسير النسفي ٤/ ١٣٠، والرياض الناضرة للسعدي ص ٨٧.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ . . . الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[1].

فبين الله ـ عز وجل ـ في هذه الوصايا الحكيمة قواعد السلوك الحكيم، وبـدأه بقاعدة التوحيد؛ ليقيم على هذه القاعدة البناء الاجتماعي كله، وآداب العمل والسلوك فيه، كما تربط بهذه العروة الوثقى جميع الروابط؛ فإن جميع ما في الحياة لا يقوم بناؤه إلا بالتوحيد، وكل سلوك لا يقوم ولا يستند إلى توحيد الله لا تقوم له قائمة، ولا يطلق عليه سلوكًا حكيمًا، بل سلوكًا جاهليًّا[2].

وهذه الوصايا في سورة الإسراء من أعظم ما تكتسب به الحكمة، قال الإمام الشوكاني: «وترتقي إلى خمسة وعشرين تكليفًا»[3].

فاشتملت هذه الوصايا على خمس وعشرين حكمة، الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة[4].

ويختم الله ـ عز وجل ـ الأوامر والنواهي في الوصايا كما بدأها بربطها بالله وعقيدة التـوحيد والتحذير من الشرك، وبيان أن هذه المذكورات بعض الحكمة التي يهدي إليها القرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، وهـو ختام يشبه الابتداء، فتجيء محبوكة الطرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام الحياة، قاعدة: توحيد الله وعبادته وحده دون ما سواه[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآيات ٢٢ ـ ٣٩.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٠٩، ٢٢٢٠.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٢٩.

(٤) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢/ ٥٩٩.

(٥) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٤/ ٢٢٢٨.

وبهذا يعلم أن من عمل بهذه القواعد، والتزم هذا السلوك الحكيم قد سلك أعظم طرق اكتساب الحكمة؛ لأن الحكمة معرفة الحق والصواب والعمل به، ولهذا قال تعالى بعد أن ذكر الوصايا العشر في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

المسلك الثالث: وصايا الحكماء باكتساب الحكمة

الحكماء الذين آتاهم الله الحكمة يوصون باكتساب أصول الحكم التي من التزمها وعمل بها بإخلاص وصدق وفقه الله لاكتساب الحكمة، ومن ذلك ما أخبر الله به عن لقمان الحكيم ووصاياه الحكيمة التي آتاه الله إياها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ. وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾... الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2].

هذه وصية حكيم لابنه، فهي نصيحة مبرأة من العيب، وصاحبها قد أوتي الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وهي تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية من وصايا هذا الحكيم لابنه يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمرًا، وإلى تركها إن كانت نهيًا، وهذا يدل على أن الحكمة هي: العلم بالأحكام، وحكمها، ومناسباتها، ووضع الأشياء مواضعها.

---

(١) الوصايا العشر في سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ - ١٥٣.

(٢) سورة لقمان، الآيات ١٢ - ١٩.

ومن فضل الله على عباده ومنته أن قص عليهم هذه الحكم حتى يعملوا بها ويكتسبوها بفضله تعالى، وهذا الحكيم أمر ابنه بأصل الدين وهو التوحيد ونهاه عن الشرك بالله، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكر الله وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما بل يحسن إليهما، وأن لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك، وأمره بمراقبة الله - عز وجل - وخوفه القدوم عليه، وأنه تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلا أتى بها، فصور له عظمة علم الله، ودقة شموله، وإحاطته تصويرًا يرتعش له الوجدان البشري، وأوصاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ما أمره بتكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، حتى يحصل الكمال لغيره بعد كمال نفسه، ولما علم هذا الحكيم أنه لا بد أن يُبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس أمره بالصبر على ما يحصل له من المشقة والأذى؛ فإنه لا بد وأن يواجه المتاعب التي يواجهها صاحب العقيدة الصحيحة، وبين له أن ذلك من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يقف لها إلا أهل العزائم؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصبر يسهل الله بذلك كل أمر عسير، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1].

ومع ذلك كله من الأمر بجميع الحكم السابقة لم يغفل هذا الحكيم عن وصية ابنه بالآداب السامية، فنهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك حتى لا يتطاول على الناس فيفسد بالقدوة ما يصلح بالكلام.

فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، وهذا السلوك الحكيم أن يكون

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٥، وانظر: أيضاً: سورة البقرة، الآية ١٥٣.

مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا بها، وحقيق بمن التزم هذه الوصايا ـ بصدق وإخلاص ورغبة فيما عند الله ـ أن يؤتيه الله الحكمة، ويوفقه للصواب في القول والعمل(١).

ومما يبين أن الإنسان يكتسب الحكمة بتوفيق الله ثم بالتزامه للسلوك الحكيم ـ رغبة فيما عند الله وطلبًا لرضاه ـ ما ذُكِرَ من الأسباب التي اكتسب بها لقمان الحكمة بعد توفيق الله له وتسديده، ومن ذلك: أنه وقف رجل على لقمان، فقال له: أنت لقمان، أنت عبد بني النحاس؟ قال: نعم. قال: فأنت راعي الغنم الأسود؟ قال: أما سوادي فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك. قال: يا ابن أخي إن أنت صنعت ما أقول لك كنت كذلك، قال: وما هو؟ قال لقمان: «غَضِّي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، وقيامي بعدتي، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني كما ترى»(٢).

وسأله آخر عن السبب الذي بلغ به الحكمة، فقال: «قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني»(٣).

وسأله آخر، فقال: «صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني»(٤).

وهـذه الأخلاق الكريمة، والسلوك الحكيم يزخر بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليست من قول لقمان وحده، فاتضح بذلك أن الداعية إلى الله وغيره من المسلمين إذا سلك هذه المسالك اكتسب الحكمة بعون الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٤، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨١، ٢٧٩٠، ٢٧٨٢، وتفسير السعدي ٦/ ١٥٩، ١٦١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٢٤، وعزاه بسنده إلى ابن وهب.

(٣) البداية والنهاية ٢/ ٢٢٤، وعزاه لابن أبي حاتم بسنده.

(٤) أخرجه ابن جرير بإسناده في تفسيره ٢١/ ٤٤، وانظر: البداية والنهاية ٢/ ١٢٤.

المطلب الثاني: العمل بالعلم المقرون بالصدق والإخلاص:

العمل بالعلم بإخلاص، وصدق، ورغبة في رضى الله - عز وجل - من أعظم المطالب التي تكتسب بها الحكمة بتوفيق الله وتسديده وفضله وإحسانه.

والعلم هو ما قام عليه الدليل، وهو النقل المصدق والبحث المحقق، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ: علم الكتاب والسنة، والمطلوب من الإنسان هو فهم معانيهما، والعمل بما فيهما، فإن لم تكن هذه همة حافظ القرآن وطالب السنة لم يكن من أهل العلم والدين(١).

ولهذا كانت الحكمة عند العرب هي العلم النافع والعمل الصالح(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «قال غير واحد من السلف: الحكمة معرفة الدين والعمل به»(٣).

والعلم بلا عمل حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر الله المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون، فقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٤).

ومثل من يتعلم العلم ويزداد منه ولا يعمل به مثل رجل احتطب حطبًا فحزم حزمة، ثم ذهب يحملها فعجز عنها، فضم إليها أخرى(٥).

والداعية لا يكون حكيمًا في دعوته ما لم يعمل بعلمه، ولهذا ينفر الناس عنه، وتزل موعظته من القلوب كما يزل القطر من الصفا؛ لأن الكلام - في

---

(١) انظر: مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٣٦، ٦/ ٣٣٨، ٢٣/ ٥٤.
(٢) المرجع السابق ١٩/ ١٧٠، وتفسير العلامة السعدي ٦/ ١٥٤.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٢٢، ٢٣، وانظر: تفسير الطبري ١/ ٨٧.
(٤) سورة الصف، الآيتان ٢، ٣.
(٥) انظر: الزهد للإمام أحمد ص ٨٥.

الغـالب ـ إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان[1]، قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره | هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها | فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى | بالعلم منك وينفع التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا | كيما يصح به وأنت سقيم
أراك تلقح بالرشاد عقولنا | نصحاً وأنت من الرشاد عديم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله | عار عليك إذا فعلت عظيم[2]

والعمل بالعلم لا بد فيه من الإخلاص، والإخلاص لا بد أن يقصد به وجه الله، ومحبته، ورضاه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : «حُكيَ أن أبا حامد بلغه أن من أخلص لله أربعين يومًا تفجرت ينـابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يومًا، فلم يتفجـر شيء ، فذكـرت ذلـك لبعض العارفين فقال لي: إنك أخلصت للحكمة، لم تُخْلِصْ للهِ»[3].

وذلـك أن الإنسـان قد يكـون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه، أو غير ذلك من المطالب.

وقد عرف أن ذلك لم يحصل بالإخلاص لله، وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله وإرادة وجهه كان متناقضًا؛ لأن من أراد شيئًا لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ٢/ ٨.
(٢) انظر: المرجع السابق ١/ ١٩٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٩/ ٢٢، ٢٣.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٦٦.

قصد أن يخلص؛ ليصير عالمًا، أو عارفًا، أو ذا حكمة، أو متشرفًا بالنسبة إليه، أو صاحب مكاشفات وتصرفات، ونحو ذلك، فهو هنا لم يرد الله، بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى، وإنما يريد الله ابتداء من ذاق حلاوة محبته وذكره[1].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وقد روي: إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله ـ سبحانه ـ بقلبه ملكًا يغرس فيه آثار الحكمة كما يغرس أكار[2] أحدكم الفسيل في بستانه»[3].

أما من لم يعمل بالعلم، أو عمل به ولكنه لم يخلص في ذلك فهذا بعيد عن إيتاء الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا؛ ولهذا قال الشاعر:

وكيف يصح أن تُدعى حكيمًا وأنت لكل ما تهوى ركوب[4]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٦٦، ٦٧ بتصرف.

(٢) الأكار: الزراع. انظر: لسان العرب، حرف الراء، فصل الهمزة، مادة: أكر.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٥١٨.

(٤) انظر: المرجع السابق ٩/ ٢٢، ٢٣.

المطلب الثالث : الاستقامة :

الاستقامة : كلمة جامعة تشمل الدين كله، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى للنبي ﷺ : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

وعن سفيان بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك! قال: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[4].

والمطلوب من العبد المسلم وخاصة الدعاة إلى الله: الاستقامة، وهي السداد؛ فإن لم يقدر فالمقاربة، فإن نزل عن المقاربة، فلم يبق إلا التفريط والضياع.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»[5].

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٠ .
(٢) سورة الأحقاف، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٣) سورة هود، الآية ١١٢ .
(٤) مسلم، في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام ١/ ٦٥ .
(٥) مسلم، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله ٤/ ٢١٧٠

فجمع هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة، وهي: السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال، وعلم النبي ﷺ أنهم لا يطيقون الاستقامة، فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقرب الإنسان من الاستقامة بحسب طاقته، كالذي يرمي إلى الهدف، فإن لم يصبه يقاربه، ومع هذا أخبرهم ﷺ أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يعتمد أحد على عمله، ولا يعجب به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة الله، وعفوه، وفضله، فالاستقامة كلمة آخذة بمجامع الدين كله، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات.

والداعية إلى الله يجب أن يكون من أعظم الناس استقامة، وبهذا ـ بإذن الله تعالى ـ لا يُخيِّب الله سعيه، ويجعل الحكمة على لسانه، وفي أفعاله، وتصرفاته، وهو تعالى ذو الفضل والإحسان[1].

وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وبذلك يقبل قول الداعية، ويقتدى بأفعاله، فيعطى بذلك خيراً كثيراً، وثوابًا جزيلاً، لإخلاصه وصدق نيته، ورغبته فيما عند الله ـ عز وجل ـ، ويحصل على أحسن قول وعمل على الاطلاق، كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْـمُسْلِمِينَ﴾[2].

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الدعوة، ومع الاستسلام الكامل لله وحده، والاعتزاز بالإسلام.

وبهذا يعلم أن هذه الآية اشتملت على ثلاثة شروط حتى يكون الداعية

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ١٠٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٣٥٧.
(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.

لا أحد أحكم ولا أحسن قولاً منه في الدنيا أبدًا :

الشرط الأول : دعوته إلى الله ـ تعالى ـ بأن يعبد وحده، فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

الشرط الثاني : عمل الداعية الصالحات بأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والقيام بالمستحبات، والابتعاد عن المكروهات، فهو مع دعوته الخلق إلى الله يبادر هو بنفسه إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

الشرط الثالث : اعتزاز الداعية بالإسلام وانقياده لأمره شكرًا لربه؛ ولأنه على الحق الواضح المبين، فإذا قام الداعية بهذه الشروط الثلاثة، فلا أحد أحسن قولاً منه[1].

ولكن قد يحصل للداعية ما يصده عن دعوته من شياطين الإنس، وشياطين الجن، فبين الله ـ عز وجل ـ أن المخرج من شياطين الإنس بالإحسان إليهم، ومعاملتهم باللين، والعفو عنهم، والإعراض عن جهلهم وإساءتهم.

أما شياطين الجن فلا منجى منهم إلا بالاستعاذة منهم بالله وحده[2]، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ. وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

ولا شك أن الداعية إذا سلك هذه المسالك الحكيمة اكتسب الحكمة بتوفيق الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير العلامة السعدي ٦/ ٥٧٥، وتفسير الجزائري ٤/ ١٢٠.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٣٤١، ٣٤٢، وتفسير السعدي ٦/ ٥٢٧، وزاد المعاد ٢/ ٤٦٢.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان ١٩٩، ٢٠٠، وانظر: سورة المؤمنون، الآيات ٩٦ ـ ٩٨، وسورة فصلت، الآيات ٣٤ ـ ٣٦.

المطلب الرابع : الخبرات والتجارب :

التجربة لها الأثر العظيم في اكتساب المهارات والخبرات، وهي من أعظم طرق اكتساب الحكمة، والتجربة لا تخرج الحكمة عن كونها فضل الله يؤتيه من يشاء؛ فإنه المعطي الوهاب **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾**[1]، ولكنه سبحانه جعل لكل شيء سببًا يوصل إليه.

والتجربة في العلم اختبار منظم لظاهرة أو ظواهر يراد ملاحظتها ملاحظة دقيقة منهجية؛ للكشف عن نتيجة ما، أو تحقيق غرض معين، وما يعمل أولاً لتلافي النقص في شيء وإصلاحه[2]، ويقال: جربه تجربة: اختبره، ورجل مجرب، كمعظم: بُلِيَ ما كان عنده، ومجرب: عرف الأمور[3]، تقول، جربت الشيء تجريباً: اختبرته مرة بعد أخرى، والاسم التجربة، والجمع التجارب[4].

وعن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال: «لا حكيم إلا ذو تجربة»[5].

ومن المعلوم أن الحكيم لا بد له من تجارب قد أحكمته، ولهذا قيل: **«لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»**[6].

والمعنى : لا حليم إلا صاحب زلة قدم، أو لغزة قلم في تقريره أو تحريره. وقيل: لا حليم كاملاً إلا من وقع في زلة وحصل منه الخطأ والتخجل فعفي عنه فعرف به رتبة العفو فيحلم عند عثرة غيره؛ لأنه عند

---

(١) سورة النحل، الآية ٥٣ .

(٢) المعجم الوسيط، مادة: جرب ١/ ١١٤ .

(٣) القاموس المحيط، باب الباء، فصل الجيم ص ٨٥.

(٤) المصباح المنير، مادة جرب ص ٩٥.

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، موقوفاً على معاوية مجزوماً به ١٠/ ٥٢٩.

(٦) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التجارب ٤/ ٣٧٩، وأحمد في المسند ٣/ ٨.

ذلك يصير ثابت القدم، ولا حكيم كاملاً إلا من جرب الأمور، وعلم المصالح والمفاسد؛ فإنه لا يفعل فعلاً إلا عن حكمة، إذ الحكمة إحكام الشيء وإصلاحه عن الخلل[1]، والحكيم هو المتيقظ المنتبه، أو المتقن للحكمة الحافظ لها[2].

والحكمة من أثمن نتائج التمييز والتفكير، وهي زبدة العلم والاختبار، فالعلم يخطط الأسس النظرية، ثم يكتمل ويصقل بالخبرة العملية المبنية على المران والتجارب، ولهذا كان العلماء الأحداث بسبب قلة تجاربهم أنقص حكمة، وأقل رسوخًا في العلم من كبار العلماء الراسخين في العلم[3].

وبهذا يعلم أن الداعية إلى الله إذا خالط الناس، وعرف عاداتهم وتقاليدهم، وأخلاقهم الاجتماعية، ومواطن الضعف والقوة، سيركز على ما ينفع الناس، ويضع الأشياء في مواضعها؛ لأنه قد جربهم، فالتجارب تنمي المواهب والقدرات، وتزيد البصير بصرًا، والحليم حلمًا، وتجعل العاقل حكيمًا، وقد تشجع الجبان، وتسخي البخيل، وقد تُليّن قلب القاسي، وتقوّي قلب الضعيف، ومن زادته التجارب عمى إلى عماه فهو من الحمقى الذين قد طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون[4].

وأعظم الناس تجربة، وأكملهم حكمةً: الأنبياء، **عليهم الصلاة والسلام**؛ لأنهم صفوة البشر اصطفاهم الله ورباهم، ثم أرسلهم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومع هذا ما بعث الله من نبي إلا رعى

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٣٠، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ١٨٢.
(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/ ٤٢٤.
(٣) انظر: الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية للدكتور/ صبحي محمصاني ص ١٤٠.
(٤) انظر: هكذا علمتني الحياة، القسم الأول، للدكتور مصطفى السباعي ص ٤٧ .

الغنم، كما قال ﷺ: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم**»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[1].

وفي رواية: قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «**وهل من نبي إلا وقد رعاها؟**»[2].

والحكمة من ذلك ـ والله أعلم ـ أن الله ـ عز وجل ـ يلهم الأنبياء قبل النبوة رعي الغنم؛ ليحصل لهم التمرين والتجربة برعيها على ما يُكلَّفُونه من القيام بأمر أمتهم؛ ولأن في مخالطتها ما يُحصِّل لهم الحلم والشفقة، كما قال، ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدةً وألين قلوبًا. الإيمانُ يَمانٍ، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم**»[3]، ولأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طبائعها، وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طبائعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك؛ لكونها أضعف من غيرها؛ ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر، لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها[4].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط ٤/ ٤٤١.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب يعكفون على أصنام لهم ٦/ ٤٣٨، وكتاب الأطعمة، باب الكباث ٩/ ٥٧٥، ومسلم في الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث ٣/ ١٦٢١، وهو النضيج من ثمر الأراك، انظر: شرح النووي ١٤/ ٦.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ٨/ ٩٨، ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان ١/ ٧١.

(٤) انظر: فتح الباري ٤/ ٤٤١، وشرح النووي على مسلم ١٤/ ٦.

ثم بعد رعيهم الغنم جربوا الناس، وعرفوا طبائعهم، فازدادوا تجارب إلى تجاربهم، ولهذا قال موسى ﷺ لمحمد ﷺ عندما فرضت عليه الصلاة خمسون صلاة في كل يوم ليلة الإسراء والمعراج: «**إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك**..» فما زال النبي يراجع ربه ويضع عنه حتى أُمِرَ بخمس صلوات كل يوم[1].

فموسى ﷺ قد جرب الناس، وعلم أن أمة محمد ﷺ أضعف من بني إسرائيل أجسادًا، وأقل منهم قوةً، والعادة أن ما يعجز عنه القوي فالضعيف من باب أولى[2].

فالداعية بتجاربه بالسفر، ومعاشرته الجماهير، وتعرفه على عوائد الناس وعقائدهم، وأوضاعهم، ومشكلاتهم، واختلاف طبائعهم وقدراتهم، سيكون له الأثر الكبير في نجاح دعوته وابتعاده عن الوقوع في الخطأ؛ لأنه إذا وقع في خطأ في منهجه في الدعوة إلى الله، أو أموره الأخرى لا يقع فيه مرة أخرى، وإذا خُدعَ مرة لم يخدع مرة أخرى، بل يستفيد من تجاربه وخبراته، ولهذا قال ﷺ: «**لا يُلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين**»[3]، وقال: «**كلكم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[4].

وإذا أراد الداعية أن يكتسب الحكمة من التجارب، فلا بد له - لإصلاح المتدينين وتوجيههم - أن يعيش معهم في مساجدهم،

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج ٧/ ٢٠٢.
(٢) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي ١/ ٢٢٠، وفتح الباري ١/ ٤٦٣.
(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ١٠/ ٥٢٩، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٤/ ٢٢٩٥.
(٤) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا هناد ٤/ ٦٥٩، وابن ماجه في الزهد باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠، والدارمي في الرقاق، باب التوبة، ٢/ ٢١٣، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٥.

ومجتمعاتهم، ومجالسهم، وإذا أراد إصلاح الفلاحين والعمال عاش معهم في قراهم ومصانعهم، وإذا أراد أن يصلح المعاملات التجارية بين الناس، فعليه أن يختلط بهم في أسواقهم، ومتاجرهم، وأنديتهم، ومجالسهم، وإذا أراد أن يصلح الأوضاع السياسية، فعليه أن يختلط بالسياسيين، ويتعرف إلى تنظيماتهم، ويستمع لخطبهم، ويقرأ لهم برامجهم، ثم يتعرف إلى البيئة التي يعيشون فيها، والثقافة التي حصلوا عليها، والاتجاه الذي يندفعون نحوه؛ ليعرف كيف يخاطبهم بما لا تنفر منه نفوسهم، وكيف يسلك في إصلاحهم بما لا يدعوهم إلى محاربته عن كره نفس واندفاع عاطفي، فيحرم نفسه من الدعوة إلى الله، ويحرم الناس من علمه[1]، وهذا يؤهله إلى أن يُحَدِّثَ الناس بما يعرفون، ولا يحدثهم حديثاً لا تبلغه عقولهم، قال علي - رضي الله عنه - : «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله»[2].

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : «ما أنت بِمُحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[3].

وهكذا ينبغي أن يكوِّن الداعية من تجاربه في الحياة، ومعرفته بشؤون الناس ما يمكنه من اكتساب الحكمة، وتحقيق قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4].

---

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي، ص ٤١، والرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، لعبدالرحمن السعدي، ص ٨٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/ ٢٢٥.

(٣) مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١١١.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

المطلب الخامس: السياسة الحكيمة:

إذا سلك الداعية إلى الله مسلك السياسة الحكيمة في دعوته إلى الله تعالى، فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته واكتسابه الحكمة، والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله تعالى.

والنبي ﷺ هو أُسوتنا وقدوتنا، وإمام الدعاة إلى الله، قد سلك هذا المسلك، فنفع الله به العباد، وأنقذهم به من الشرك إلى التوحيد، وكان لسياسته الحكيمة عظيم النفع والأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوة سلطانه، ورفعة مقامه، ولم يعرف في تاريخ السياسات البشرية أن رجلاً من الساسة المصلحين في أي أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم، ومَن مِن المصلحين المبرزين - سواء كان قائدًا محنكًا، أو مربيًا حكيمًا - اجتمع لديه من رجاحة العقل، وأصالة الرأي، وقوة العزم، وصدق الفراسة، ما اجتمع في رسول الله ﷺ؟ ولقد برهن على وجود ذلك فيه: صحة رأيه، وصواب تدبيره، وحسن تأليفه، ومكارم أخلاقه، ﷺ[1].

فإذا قام الداعية بسلوك هذا المسلك بإخلاص، وصدق وعزيمة، اكتسب من الحكمة في الدعوة إلى الله مكتسبًا عظيمًا.

وطرق السياسة الحكيمة في الدعوة إلى الله - عز وجل - كثيرة، منها ما يأتي:

١ - **تحري أوقات الفراغ، والنشاط**، والحاجة عند المدعوين حتى لا يملوا عن الاستماع ويفوتهم من الإرشاد والتعليم النافع، والنصائح الغالية الشيء الكثير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهة السآمة عليهم، فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال:

---

(١) انظر: هداية المرشدين، للشيخ علي بن محفوظ ص ٢٤ و ٣١.

«**كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا**»[1].

ولهذا طبق الصحابة هذه السياسة، فقد كان عبدالله بن مسعود يذكّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما **كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا**[2].

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»[3].

٢ ـ **ترك الأمر الذي لا ضرر في تركه ولا إثم**، اتقاء للفتنة، فقد يجد الداعية قوماً استقر مجتمعهم وعاداتهم على أشياء لا تخالف الشريعة؛ ولكن فعل غيرها أفضل، فإذا علم الداعية أنه سيحصل فتنة إذا دعا إلى ترك هذا الأمر أو فعله فلا حرج ألا يدعو، فقد ترك النبي ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم ﷺ اجتناباً لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال لها: «**يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: بابا شرقيًا، وبابًا غربيًا، فبلغت به أساس إبراهيم**»[4].

وفي رواية: «**إن قومك قصرت بهم النفقة**»، قلت: فما شأن بابه

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٢، وباب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة ١/ ١٦٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة ١/ ١٦٣.

(٣) البخاري مع الفتح كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة ١/ ١٦٢، ومسلم، كتاب الجهاد، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها ٣/ ٤٣٩، ومسلم، في الحج، باب نقض الكعبة وبنائها ٢/ ٩٦٩.

مرتفعًا؟ قال: «**فعل ذلك قومك لِيُدخِلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض**»[1].

وهذا يدل الداعية على أن المصالح إذا تعارضت، أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدىء بالأهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهو خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيمًا، فتركها ﷺ لدفع هذه المفسدة»[2].

٣ ـ **تأليف القلوب بالمال والجاه** أحيانًا، فالداعية كالطبيب الذي يشخص المرض أولاً، ثم يعطي العلاج على حسب نوع المرض، فإذا علم الداعية أن المدعو لم يرسخ الإيمان في قلبه رسوخًا لا تزلزله الفتن، فله أن يعطيه من المال ما يستطيعه، للاحتفاظ بالبقاء على الهداية بالإسلام، وقد شرع الله للمؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة، وقد كان رسول الله ﷺ يسلك هذا المسلك، فيؤثر حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال، إذا ظهر له أن الإيمان لم يرسخ؛ ولذلك أشار بقوله: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يُكبّ في النار على وجهه**»[3].

وقد كان يعطي ﷺ أشراف قريش وغيرهم من المؤلفة قلوبهم، لتلافي أحقادهم؛ ولأن الهدايا تجمع القلوب، وتجعل القلوب متهيئة للنظر في

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها ٣/ ٤٣٩، ومسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة ٢/ ٩٧٢.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ٩/ ٨٩.

(٣) البخاري مع الفتح بنحوه، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١/ ٧٩، ومسلم في الإيمان، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ١/ ١٣٢.

صدق الدعوة، وصحة العقيدة، والاستفادة من الآيات البينات، والبراهين الواضحة[1].

وصدق ﷺ حيث قال: «**تهادوا تحابوا**»[2].

وللتأليف بالمال أمثلته كثيرة من هديه ﷺ[3].

والتأليف بالجاه من السياسة الحكيمة، ولهذا قال ﷺ للأنصار حينما آثر عليهم غيرهم في العطاء: «**أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**»، فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا[4].

وفي رواية: «**لو سلك الناس واديًا أو شعبًا، وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار**»[5].

فإذا سلك الداعية هذه السياسة وفق للصواب والحكمة ـ بإذن الله تعالى ـ.

٤ ـ التأليف بالعفو في موضع الانتقام، والإحسان في مكان الإساءة، وباللين في موضع المؤاخذة، وبالصبر على الأذى، فكان يقابل الأذى بالصبر الجميل، ويقابل الحمق بالحلم والرفق، ويقابل العجلة والطيش بالأناة والتثبت.

---

(١) انظر: هداية المرشدين، ص ٣٥.

(٢) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ١٦٩، والبخاري في الأدب المُفْرَد، ص ٢٠٨، برقم ٥٩٤، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير: إسناده حسن ٣/ ٧٠، وانظر: ارواء الغليل برقم ١٦٠١.

(٣) انظر: صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٣ ـ ١٨٠٦، وانظر: مواقف الكرم للنبي ﷺ في فصل (المواقف) من هذه الرسالة، وانظر أيضًا: البخاري مع الفتح ٣/ ١٣٥، ٦/ ٢٥٠، ١١/ ٢٥٨.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ٦/ ٢٥١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه ٢/ ٧٣٤، ٧٣٥.

(٥) مسلم، في كتاب الزكاة، الباب السابق ٢/ ٧٣٥.

وهذا من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الإسلام والاستقامة والثبات، وبمثل هذه المعاملة الحسنة جمع النبي ﷺ قلوب أصحابه حوله، فتفانوا في محبته والدفاع عنه، وعن دعوته بمؤازرته ومناصرته.

وقد مدح الله رسوله، وأمره بالعفو والصفح والاستغفار لمن تبعه من المؤمنين ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

٥ ـ **عدم مواجهة الداعية أحدًا بعينه** عندما يريد أن يؤدبه أو يزجره ما دام يجد في الموعظة العامة كفاية، وهذا من السياسة البالغة في منتهى الحكمة، ولهذا كان النبي ﷺ يسلك هذا الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله ﷺ: «**ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه، فيتنخع أمامه، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليفعل هكذا**»، ووصف القاسم فتفل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعض[3].

وفقد ﷺ ناسًا في بعض الصلوات، فقال: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلًا**

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.
(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد ١/ ٣٨٩.

يؤم الناس، ثم أخالف إلى رجالٍ [يتخلفون عنها] فأحرق عليهم بيوتهم»[1].

وقال ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة»، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»[2].

وصنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب، فحمد الله، ثم قال: «ما بال اقوام يتنزهون عن شيءٍ أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[3].

وقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[4].

وبلغه شرط أهل بريرة - رضي الله عنها - أن الولاء لهم بعد بيعها، ثم خطب الناس فقال: «ما بال أناس يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله فليس له، وإن شرط مائة مرة، شرط الله أحق وأوثق»[5].

وهذا يدل الداعية على أن من الحكمة عدم مواجهة الناس بالعتاب سترًا عليهم ورفقًا بهم، وتلطفًا.

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة ٢/ ١٢٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة ١/ ٤٥١. وما بين المعكوفين من رواية مسلم.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ٢/ ٢٣٣.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ١٠/ ٥١٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ٤/ ١٨٢٩.

(٤) مسلم، في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٢/ ١٠٢٠.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب المكاتب، باب ما يجوز من شروط المكاتب ٥/ ١٨٧، ومسلم، كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق ٢/ ١١٤٢.

والداعية يستطيع أن يوجه العتاب عن طريق مخاطبة الجمهور إذا كان المدعو المقصود بينهم ومن جملتهم، وهذا من أحكم الأساليب[1].

٦ - **إعطاء الوسائل صورة ما تصل إليه**، كقوله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[2].

فقد صور ﷺ الدلالة على فعل الخير في صورة الفعل نفسه.

وكقوله ﷺ: «**من جهز غازيًا فقد غزا**»[3].

وقال ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[4].

وهذا أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل وإن لم يقصد إلى ما يحرم[5]، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[6]، فقد أعطى النبي ﷺ من يسب أبا الغير وأمه صورة من يسب والديه؛ لأنه تسبب في سبهما.

٧ - **أن يجيب الداعية على السؤال الخاص** بما يتناوله وغيره حتى يكون ما أجاب به قاعدة عامة للسائل وغيره، قال عمرو بن العاص: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «**مالك يا عمرو؟**»

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥١٣.
(٢) مسلم، في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٦.
(٣) مسلم، في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٧.
(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه ١٠/ ٤٠٣.
(٥) انظر: فتح الباري ١٠/ ٤٠٤.
(٦) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «**تشترط بماذا؟**» قلت: أن يغفر لي، قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله..**»[1].

فأجاب ﷺ بما يفيد عدم المؤاخذة عن كل من اعتنق الإسلام، وعن كل من هاجر، وعن كل من حج حجًّا مبرورًا، وقد كان يكفيه في الجواب أن يقول: غُفِرَ لك، أو نحوها[2].

وقال ﷺ لمن سأله عن ماء البحر: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**»[3].

فأجاب ﷺ السائل عن الحكم الذي سأل عنه، وزاده حكمًا لم يسأل عنه، وهو حل ميتة البحر، فعندما عرف ﷺ اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته، وقد يُبْتَلَى بها راكب البحر، فعقّب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة، وذلك من محاسن الفتوى أن يُجاء في الجواب بأكثر مما سُئِلَ عنه تتميمًا للفائدة، وإفادة لعلم غير المسئول عنه، ويتأكد عند ظهور الحاجة إلى الحكم كما هنا؛ لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم بحل ميتته مع تقدم تحريم الميتة أشد توقفًا[4].

٨ ـ ضرب الأمثال، قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه**»[5].

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١/ ١١٢.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ٢/ ١٣٨، وانظر: هداية المرشدين ص ٣٢.

(٣) أبو داود، في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر ١/ ٢١، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور ١/ ١٠١، والنسائي في الطهارة، باب ماء البحر ١/ ٥٠، وابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر ١/ ١٣٦، وانظر: صحيح النسائي ١/ ١٤.

(٤) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام، للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني ١/ ١٨.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ١/ ٥٦٥، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/ ١٩٩٩.

وقد مثل النبي ﷺ المؤمنين في تبادل الرحمة والمودة والعطف، بالجسد في روابطه العضوية، إذا مرض عضو مرضت باقي الأعضاء، فقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[1].

ومثلهم النبي ﷺ في الحديث الذي قبل هذا في التعاون على البر والتقوى والتكاتف بالبنيان يشد بعضهم بعضًا كشد البنيان[2].

ومن المعلوم يقينًا أن الداعية إذا سلك هذه المسالك اكتسب الحكمة بعون الله ـ تعالى ـ ووفق لهدي النبي ﷺ في دعوته، وسدد في قوله وفعله، بتوفيق الله سبحانه.

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨، ومسلم في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/ ١٩٩٩.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/ ٤٥٠، وشرح النووي ١٦/ ١٣٩.

المطلب السادس : فقه أركان الدعوة إلى الله تعالى :

لا يكون الداعية حكيمًا في دعوته إلى الله - تعالى - إلا بفقه وإتقان ركائز الدعوة وأسسها التي تقوم عليها، حتى يسير في دعوته على بصيرة، ولا شك أن فهم هذه الأركان يدخل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْـمُشْرِكِينَ﴾[1]، فلا بد من معرفة الداعية لما يدعو إليه، ومن هو الداعي، وما هي الصفات والآداب التي ينبغي أن تتوفر في الداعية؟ ومن هو المدعو، وما هي الوسائل والأساليب التي تستخدم في نشر الدعوة وتبليغها؟ هذه هي أركان الدعوة: الموضوع، والداعي، والمدعو، والأساليب والوسائل.

المسلك الأول : موضوع الدعوة «ما يدعو إليه الداعية» :

موضوع الدعوة: هو دين الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[2].
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[3].

وهـذا ما فَصَّله حديث جبريل في ذكر أركان الإسلام: **«الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»**. وأركان الإيمان: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**. والإحسان: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[4].

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩ .
(٣) سورة آل عمران، الآية ٨٥ .
(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ١/ ٣٩ .

ولا شك أن الإسلام اختص بخصائص عظيمة منها:

١ ـ الإسلام من عند الله تعالى:

٢ ـ شامل لجميع نظم الحياة وسلوك الإنسان، ومن هذه النظم: نظام الأخلاق، ونظام المجتمع، والإفتاء، والحسبة، والحكم، والاقتصاد، والجهاد، ونظام الجريمة والعقاب، وذلك كله قائم على الرحمة، والعدل، والإحسان.

٣ ـ عام لجميع البشرية في كل زمان ومكان: ﴿قُلْ يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1].

٤ ـ وهو من حيث الجزاء: ـ الثواب والعقاب الذي يصيب مُتَّبِعَهُ أو مخالفه ـ ذو جزاء أُخرويّ بالإضافة إلى جزائه الدنيوي إلا ما خصه الدليل.

٥ ـ والإسلام يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني: وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام.

٦ ـ الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

كما يلزم الداعية فهم مقاصد الإسلام التي دلت عليها الشريعة الإسلامية: وهي تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد والأضرار عنهم في العاجل والآجل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها)[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية، ١/ ١٤٧.

وبالجملة فإن الشريعة الإسلامية مدارها على ثلاث مصالح :

المصلحة الأولى : درء المفاسد عن ستة أشياء : الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية : جلب المصالح : فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين وسد كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

المصلحة الثالثة : الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فالقرآن حل جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر ولم يترك جانبًا من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها[1].

فالداعية الحكيم هو الذي يدعو إلى ما تقدم من أركان الإسلام، وأصول الإيمان، والإحسان، ويبين للناس جميع ما جاء في القرآن والسنة: من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، بالتفصيل والشرح والتوضيح[2].

المسلك الثاني : الداعي :

لا بُدّ للداعية من معرفة هذا الأصل بشروطه، وما هي عدة الداعية وسلاحه، وما هي وظيفته، وأخلاقه. وفهم ذلك من أهم المهمات للداعية. وإليك التفصيل بإيجاز:

١ ـ وظيفة الداعية :

وظيفة الداعية إلى الله ـ تعالى ـ هي وظيفة الرسل **عليهم الصلاة**

---

(١) انظر : أضواء البيان للشنقيطي ، ٣/ ٤٠٩ ـ ٤٥٧ .

(٢) انظر : فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ١/ ٣٤٢، وأصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ص ٧ ـ ٢٩٣ ، والدعوة إلى الله، للدكتور توفيق الواعي، ص ٨١.

والسلام، والرسل هم قدوة الدعاة إلى الله، وأعظمهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1]. ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾[4].

والأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله، فالآيات التي تأمره ﷺ بالدعوة إلى الله يدخل فيها المسلمون جميعاً؛ لأن الأصل في خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ دخول أمته فيه إلا ما استُثْني، وليس من هذا المستثنى أمر الله تعالى بالدعوة إليه. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[5]. وقد جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أوصاف المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[6]. وبهذا يتضح أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة على قدر الطاقة، وعلى قدر العلم، ولا يختص العلماء بأصل هذا الواجب؛ لأنه واجب على الجميع كل بحسبه، وإنما يختص أهل العلم بتبليغ تفاصيل الإسلام، وأحكامه، ومعانيه الدقيقة، ومسائل الاجتهاد، نظرًا لسعة علمهم، ومعرفتهم بالمسائل، والجزئيات، والأصول، والفروع.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٥ - ٤٧.
(٢) سورة الحج، الآية ٦٧.
(٣) سورة القصص، الآية ٨٧.
(٤) سورة الرعد، الآية ٣٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
(٦) سورة التوبة، الآية ٧١.

ومما يزيد الأمر وضوحًا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]. فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر كما كان رسول الله ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة وعلم ويقين[2].

والدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة كلٌ بحسبه، وهي تؤدى على صورتين:

الصورة الأولى: فردية، يقوم بها المسلم على صفة فردية بحسب طاقته، وقدرته، وعلمه، كما قال ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[3].

الصورة الثانية: بصفة جماعية، فتكون فرقة متصدية لهذا الشأن، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

٢ ـ عدة الداعية وسلاحه:

يحتاج الداعية إلى الله ـ تعالى ـ في أداء مهمته ووظيفته إلى عُدة وسلاح قوي، منها:

١ ـ الفهم الدقيق المبني على العلم قبل العمل، والقائم على تدبر معاني وأحكام القرآن الكريم، وفهم السنة النبوية الشريفة، ويرتكز هذا الفهم على عدة أمور من أهمها:

أ ـ فهم الداعية العقيدة الإسلامية فهمًا صحيحًا متقنًا بالأدلة من

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.
(٢) انظر: أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان، ص ٢٩٥ ـ ٣٥٦.
(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

الكتاب، والسنة وإجماع علماء أهل السنة والجماعة.

ب ـ فهم الداعي غايته في الحياة ومركزه بين البشر.

ج ـ تعلقه بالآخرة، وتجافيه عن دار الغرور.

٢ ـ الإيمان العميق المثمر: لمحبة الله، وخوفه، ورجائه، واتباع رسوله ﷺ في كل أموره.

٣ ـ اتصال الداعية بالله ـ تعالى ـ في جميع أموره، وتعلقه به، وتوكله عليه، واستغاثته به، وإخلاصه له، والصدق معه في الأقوال والأفعال.

٣ ـ أخلاق الداعية وصفاته :

يحتاج الداعية إلى الأخلاق الحسنة والصفات الكريمة: وهي أخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه وبينها رسوله ﷺ في سنته.

ومن أهم هذه الأخلاق والصفات التي ينبغي للداعية أن يلتزمها: الصدق، والإخلاص، والدعوة إلى الله على بصيرة، والحلم، والرفق، واللين، والصبر، والرحمة، والعفو، والصفح، والتواضع، والوفاء، والإيثار، والشجاعة، والذكاء، والأمانة، والحياء المحمود، والكرم، والتقوى، والإرادة القوية التي تشمل قوة العزيمة، والهمة العالية، والتفاؤل، والنظام والدقة والمحافظة على الوقت، والاعتزاز بالإسلام، والعمل بما يدعو إليه؛ ليكون قدوةً صالحةً، والزهد، والورع، والاستقامة، وإدراك الداعية لما حوله، والقصد والاعتدال، والشعور بمعية الله، والثقة بالله تعالى، والتدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم كما فعل النبي ﷺ وأمر بذلك معاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن.

كما ينبغي للداعية أن يبتعد عن كل ما يضاد هذه الأخلاق من الأخلاق القبيحة.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي للداعية أن يعتني بها، معرفة القواعد، والضوابط التي يجب مراعاتها والسير على ضوئها، حتى يكون الداعية مسددًا في دعوته. ومن ذلك: قول سفيان الثوري[1]: (لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به عالم بما ينهى عنه)[2].

وقال الإمام محمد المقدسي: قال بعض السلف: (لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحبًا في هذه الأحوال)[4].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : (فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى : أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية : أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه.

---

(١) هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ المجتهد: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد سنة ٩٧هـ، ومات سنة ١٦١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٧٩.

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر الخلال، ص ٥٠.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص ١٢٩، ونسب هذا القول إلى بعض السلف ابن تيمية أيضًا في الحسبة في الإسلام، ص ٨٤.

(٤) الحسبة في الإسلام، ص ٨٤.

فالدرجتان الأُولَيان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة)[1].

فإذا طبق الداعية ما تقدم من الصفات والأخلاق والقواعد والضوابط كان من أعظم الناس حكمة ـ بإذن الله تعالى ـ .

المسلك الثالث : المدعو :

ينبغي للداعية أن يعلم أن الدعوة إلى الإسلام عامة لجميع البشر، بل للجن والإنس جميعاً، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وليست خاصة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة،أو فئة دون فئة، أو زمان دون زمان، أو مكان دون مكان. ومن حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى، ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه، فقد كان النبي ﷺ يأتي إلى الناس ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في المواسم، ويذهب إلى مقابلة وملاقاة الوفود ومن يقدم.

ولا يجوز للداعية أن يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به؛ لأن من حق كل إنسان أن يُدعى.

وإذا كان من حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى ولا يستهان به، ولا يستصغر شأنه فعليه أن يستجيب.

وينبغي للداعية أن يعلم أن المدعوين أصناف وأقسام:

فمنهم الملحد، ومنهم المشرك الوثني، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم المنافق، ومنهم المسلم الذي يحتاج إلى التربية والتعليم، ومنهم المسلم العاصي. ثم هم أيضًا يختلفون في قدراتهم العقلية، والعلمية، والصحية، ومراكزهم الاجتماعية: فهذا مثقف، وهذا أمّيٌ،

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم رحمه الله تعالى، ٣/ ١٦ .

وهـذا رئيس وهـذا مرؤوس، وهذا غني وهذا فقير، وهذا صحيح وهذا مريض، وهـذا عربي وهـذا أعجمي . . . فينبغي للداعية أن يكـون كالطبيب الحاذق الحكيم الذي يشخص المرض، ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه، مراعيًا في ذلك قوة المريض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو يقطع شيئًا من أعضائه من أجل استئصال المرض طلبًا لصحة المريض[1].

والداعية ينبغي له أن يبدأ مع المدعوِّين بخطوات محسوسة[2] منها ما يأتي:

١ - يبدأ بنفسه فيصلحها حتى يكون القدوة الصالحة.

٢ - ثم يمضي إلى تكوين بيته وإصلاح أسرته، ليُكوِّن البيت المسلم، واللبنة المؤمنة.

٣ - ثم يتوجه إلى المجتمع وينشر دعوة الخير فيه، ويحارب الرذائل والمنكرات بالحكمة، ويشجع الفضائل ومكارم الأخلاق.

٤ - ثم دعوة غير المسلمين إلى منهج الحق وإلى شريعة الإسلام «حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»[3].

المسلك الرابع: أساليب الدعوة ووسائل تبليغها:

الداعية يحتاج إلى فهم أساليب الدعوة ووسائل تبليغها، حتى يكون على قدر من الكفاءة لتبليغ الدعوة إلى الله تعالى بإحكام وإتقان وبصيرة. وذلك كالتالي:

---

(١) انظر: أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان، ص ٣٦٥ - ٣٩٤.

(٢) وقد أوضحت كيفية دعوة المدعوين على اختلاف أصنافهم في الفصل الثالث والفصل الرابع من هذا الكتاب، انظر: صفحة ٣٣٣ و ٥١٣.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله، للدكتور توفيق الواعي، ص ٨٤.

أولًا: أساليب الدعوة:

الأسلوب: الطريق والفن: يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة[1].

وأساليب الدعوة: هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه.

والمصادر الأساسية التي يستمد الداعية ويتعلم أساليب دعوته الحكيمة منها هي: كتاب الله ـ تعالى ـ، وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح: من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان من أهل العلم والإيمان.

وتقوم أساليب الدعوة الحكيمة الناجحة المؤثرة على الأساليب الآتية:

١ ـ تشخيص وتحديد الداء في المدعوين، ومعرفة الدواء: فإن طبيب الأبدان الحاذق الحكيم يشخص ويعرف الداء أولًا، ثم يصف ويعين العلاج ثانيًا على حسب الداء. والداعية إلى الله ـ تعالى ـ هو طبيب الأرواح والقلوب فعليه أن يسلك هذا الأسلوب في معالجة الأرواح. والداء عند الناس قد يكون كفرًا، وقد يكون معصية، فعلى الداعية أن يعطي الدواء على حسب الداء؛ فإن دواء الكفر الإيمان بالله، وبما جاء عنه وعن رسوله ﷺ. ودواء المعاصي كبائرها وصغائرها التوبة إلى الله ـ تعالى ـ، والاقبال إليه، والإكثار من الطاعات المكفرة للسيئات، وهكذا لكل داء دواء.

---

(١) انظر: القاموس المحيط، فصل السين، باب الباء، ص ١٢٥، والمصباح المنير، مادة «سلب»، ١/ ٢٤٨، والمعجم الوسيط، مادة «سلب»، ١/ ٤٤١.

٢ - إزالة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والإحساس به : ولا شك أن الشبهات : هي ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعية وحقيقة ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له، أو تأخير هذه الاستجابة.

٣ - ترغيب المدعوين وتشويقهم : إلى استعمال الدواء، والاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه. وترهيبهم من ترك الدواء بكل ما يخوف ويحذر من عدم الاستجابة، أو عدم الثبات على الحق بعد قبوله.

٤ - تعهد المستجيبين من المدعوين : بالتربية والتعليم، والتوجيه؛ لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم. ومن أعظم وسائل التربية المؤثرة : الاتصال بكتاب الله - تعالى - تلاوة، وتدبرًا، وفهمًا، والاتصال الدائم بالسنة النبوية، وسيرة السلف الصحابة - رضي الله عنهم - . فعلى الداعية أن يعين المستجيبين على هذه الأمور العظيمة.

٥ - تقوم جميع الأساليب على : أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ثم استخدام القوة للمعاندين الظالمين.

ثانياً : وسائل تبليغ الدعوة إلى الله تعالى :

الوسيلة في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء[1]، ووسائل الدعوة : هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور.

ولا شك أن وسائل الدعوة على نوعين :

النوع الأول : وسائل خارجية تتعلق باتخاذ الأسباب لتهيئة المجال المناسب. ومنها على سبيل المثال ما يأتي :

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع السين، ٥/ ١٨٥ .

أ ـ الحـذر المبني على التوكل على الله ـ تعالى ـ مع الأخذ بالأسباب . ومعلوم أن الحذر أنواع من جهة ما يحذره الداعي المسلم، فهناك: حذره من الوقوع في المعاصي، والحذر من الأهل والولد، والحذر من اتباع الهوى، والحذر من المنافقين والكفار.

ب ـ الاستعـانـة بعد الله ـ تعالى ـ بالغير في تبليغ الدعوة، فالداعية يحرص على إيصـال الـدعـوة إلى الناس؛ فيستعين بكل وسيلة مشروعة لتحقيق ما يحرص عليه.

جـ ـ المحافظة على النظام المشروع: كحفظ الداعية تنظيم وقته وعدم إضاعته، وإذا كان الدعاة جماعة فعليهم أن يراعوا قواعد النظام التي أمر بها الإسلام، حتى تثمر جهودهم ولا تضيع؛ فإن القليل من العمل بنظام والدوام عليه خير من الكثير مع الفوضى والانقطاع.

النوع الثاني : وسائل تبليغ الدعوة بصورة مباشرة.

وهذه الوسائل تكون: بالقول، وبالعمل، وبسيرة الداعية التي تجعله قدوة حسنة لغيره فتجذبهم إلى الإسلام. ومن هذه الوسائل ما يأتي:

أ ـ التبليغ بالقـول :

القـول في مجال التبليغ أنـواع متعـددة منهـا: الخـطبـة، والـدرس، والمحـاضرة، والنـدوة، والمنـاقشـة والجدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلمة الوعظية، والدعوة الفردية، والنصيحة الأخوية، والفتوى الشرعية، والكتابة: كالرسالة، والمقال، والكتاب، والكُتيِّب، والنشرة.

والداعية يستعين في تبليغ دعوته بجميع الوسائل المختلفة، المشروعة، المفيدة، وقد تكون بعض الوسائل نافعة في زمن دون زمن، وفي مجتمع دون آخر، والداعية الحكيم هو الذي يختار الوسائل المناسبة لكل عصر ومصر.

ووسيلة التبليغ بالقول تُبلَّغ عن طريق الوسائل الآتية:

١ ـ اللقاءات العامة : كإقامة المحاضرات، والندوات، والمناقشات، والدروس في المساجد، والجامعات، والمعاهد، والمدارس، والمؤتمرات، وفي المناسبات التي يحضرها الناس بصورة جماعية كبيرة.

٢ ـ اللقاءات الخاصة: كالدروس الخاصة بطلاب العلم، ولا يمنع حضور غيرهم.

٣ ـ الدعوة الفردية : بالنصيحة الأخوية، والهدية الرمزية.

٤ ـ الكتابة : الرسالة، والمقال، والكتاب، والكُتيِّب، والنشرة.

٥ ـ وسائل الإعلام الحديثة: المسموعة، والمرئية، والمقروءة، والشخصية.

٦ ـ الوسائل الشخصية كالمسجلات، وشرائط التسجيل، والهاتف...

فينبغي للداعية الحكيم أن يستغل هذه الوسائل ويشغلها بالحق؛ لأنه بذلك يخاطب ملايين البشر في مشارق الأرض ومغاربها، وعن طريقها تصل الدعوة إلى أقطار بعيدة وتعم أماكن كثيرة.

وينبغي أن يكون قول الداعية واضحًا بيِّنًا، خاليًا من الألفاظ التي تحمل حقًا وباطلاً وخطأً وصوابًا، وأن يستعمل الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين.

كما ينبغي للداعية أن يتأنى في كلامه حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه، وأن يبتعد عن التفاصح والتعاظم، والتكلف في النطق، ويبتعد عن روح الاستعلاء على المدعو واحتقاره وإظهار فضله عليه، وأن يتلطف بالقول للمدعوين، ويكون موضع الثقة بين الناس[1].

---

(١) انظر : أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان، ص ٤٥٣ و ٤٥٤، والدعوة إلى الله تعالى للدكتور/ توفيق الواعي، ص ٢٦٢ و ٢٦٤ .

ب ـ التبليـغ بالعمـل :

والتبليغ بالعمـــل هو كل فعـــل يؤدي إلى إزالـة المنكـر ونصرة الحق وإظهاره، والأصل في ذلك قوله ﷺ : «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[1]، والتبليغ بالعمـل كما يكـون بإزالـة المنكـر يكـون بإقامة المعروف: كبناء المساجد، وبناء الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية، وإقامة المكتبات فيها وتزويدها بالكتب النافعة، وبناء المستشفيات الإسلامية، ودور الرعاية الإجتماعية، وطبع الكتب الإسلامية وتوزيعها، واختيار الرجل الصالح للعمل في هذه المجالات وفي المجالات المهمة. وهذا ـ كله ـ في الحقيقة دعوة صامتة إلى الله تعالى .

ج ـ التبليغ بالسيرة الحسـنة :

من وسـائل التبليغ المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسـلام التبليغ بالسـيرة الـطيبـة للداعي، وأفعـالـه الحميدة، وصفاته العالية، وأخلاقه الكريمة والتزامه بالإسلام ظاهراً وباطناً مما يجعله قدوةً طيبـةً وأُسـوةً حسنةً لغيره؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ من التأثير بالكلام وحده.

وأصول السيرة الحسنة التي يكون بها الداعية قدوةً طيبةً لغيره ترجع إلى أصلين عظيمين: **حسن الخلق، وموافقة العمل للقول.**

• فحسن الخلق كلمـة ينـدرج تحتهـا كثير من الصفات: كالتواضع، والوفاء بالعهد، والأمانة، وقوة العزيمة، والشجاعة، والصبر، والشكر، والحلم، والـرفق، والتقوى، والحياء، والعفو والصفح، والجود والكرم، والصدق والعدل، وحفظ اللسان، والرحمة.

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩ .

• ومـوافقـة القول للعمل هي أن يكون فعل الداعية موافقاً للطريق المستقيم، وسيرته تطبيقًا عمليًا لقوله، ولا يخالف ظاهره باطنه، فإن أمر بشيء التزمه، وإن نهى عن شيء كان أول تاركٍ له؛ ليفيد وعظه، وينفع إرشاده، ويثمر، ويقتدى به، فإن كان يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر وهو واقع فيه فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى[1].

---

(١) انظر أساليب الدعوة ووسائل تبليغها بالتفصيل في : أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان، ص ٣٩٥-٤٦٩ والدعوة إلى الله لتوفيق الواعي، ص ٢٤١ - ٣٧٢.

الفصل الثاني
مواقف الحكمة

تـوطئـة :

المبحث الأول : مواقف النبي ﷺ .

المبحث الثاني : مواقف الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : مواقف التابعين رحمهم الله .

المبحث الرابع : مواقف أتباع التابعين رحمهم الله .

المبحث الخامس: نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور.

توطئـة :

لا يشـك مسلم أن الدعوة بالمواقف المشرفة لها الأثر الكبير في قلوب المدعوين، والمواقف المشرفة تدفع المدعو إلى التفكر، والتأمل كثيراً، وربما تكون نقطة التحول في حياته.

وقد كان للنبي ﷺ مواقف حكيمة مشرفة في دعوته إلى الله، وكم كان له من المواقف المشرفة التي دخل كثير من الناس الإسلام بفضل الله ثم بسببها !

والصحابة ـ وهم أفضل البشر بعد الأنبياء **عليهم الصلاة والسلام** لهم مواقف حكيمـة يتشرف ويعتز بها كل من دخـل في الإسـلام، وكـذا التابعون، وتابعو التابعين.

والأئمة الأعلام لهم مواقف في دعوتهم إلى الله، سأذكر نماذج منها إن شاء الله ـ تعالى ـ في المباحث التالية :

المبحث الأول : مواقف النبي ﷺ .

المبحث الثاني : مواقف الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : مواقف التابعين رحمهم الله .

المبحث الرابع : مواقف أتباع التابعين رحمهم الله .

المبحث الخامس : نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور.

المبحث الأول : مواقف النبي ﷺ

تــوطئـــة :

المطلب الأول : مواقف النبي ﷺ قبل الهجـرة .

المطلب الثاني : مواقف النبي ﷺ بعد الهجـرة .

توطئــة :

للنبي ﷺ مواقف حكيمة مشرفة، والداعية إلى الله حينما يقف ويتأمل المواقف التي وقفها النبي ﷺ في دعوته إلى الله يزداد حكمة، ويستفيد من هذه المـواقف في دعـوته، ويطبق الحكم التي يقتبسها من مواقفه ﷺ في دعوته، فالنبي ﷺ هو الأسوة التي ينبغي لكل مسلم أن يلتزمها ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً**﴾[1].

وسأذكر بعون الله ـ تعالى ـ في هذا المبحث نماذج من مواقف النبي ﷺ التي وقفها في دعوته إلى الله، ومواقفه في هذا الشأن كثيرة جدًّا لا يستطيع أحـد أن يستغرقها، ولكني سأذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر في المطالب التالية:

المطلب الأول : مواقف النبي ﷺ قبل الهجرة.

المطلب الثاني : مواقف النبي ﷺ بعد الهجرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

المطلب الأول : مواقف النبي ﷺ قبل الهجرة:

المسلك الأول : مواقفه ﷺ في مرحلة الدعوة السرية :

من المعلوم أن مكة كانت مركز دين العرب، وكان بها سدنة الكعبة، والقوَّام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عُسرًا وشدة عما لو كان بعيدًا عنها، فالأمر يحتاج إلى عزيمة قوية لاتزلزلها المصائب والكوارث، ويحتاج إلى موقف حكيم يحل الوضع الراهن، وتنجح الدعوة من خلاله، ولا شك أن الفضل والمنة لأحكم الحاكمين الذي ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، فإنه سبحانه قد أعطى محمداً ﷺ الحكمة ووفقه، وسدده، وأعانه.

ولهذا بدأ ﷺ بالدعوة السرية بعد أن أمره ربه ـ تبارك وتعالى ـ بإنذار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ. وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[2].

ومن هنا بدأ رسول الله ﷺ يسلك طريق الحكمة في حل الحالة الراهنة في قريش، فوقف المواقف العظيمة التي يعجز عنها عظماء الرجال بل البشر جميعًا.

بدأ ﷺ يعرض دعوته على ألصق الناس به، وأهل بيته، وأصدقائه، ومن توسم فيهم خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الخير والحق، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء جمع عُرِفُوا في

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٢) سورة المدثر، الآيات ١ ـ ٧.

التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، فكان أول من أسلم زوج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ ، ثم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، ثم مولاه زيد بن حارثه الكلبي ـ رضي الله عنه ـ ، ثم أبوبكر الصديق رضي الله عنه .

ونشط أبوبكر في دعوة رجال كان لهم أثر عظيم في الإسلام، أمثال: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، فهؤلاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بالإضافة إلى علي، وزيد، وأبي بكر، يصبحون ثمانية، هم الذين سبقوا الناس، وهم الرعيل الأول وطليعة الإسلام.

ودخل الناس في دين الله واحدًا بعد واحد، حتى فشا الإسلام في مكة، وتُحِدِّثَ به، وقد كان النبي ﷺ يجتمع بهم ويعلمهم ويرشدهم مختفيًا؛ لأن الدعوة لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع، وحمي نزوله بعد نزول أوائل المدثر، ولم يكن ﷺ يظهر الدعوة في مجامع قريش العامة، ولم يكن المسلمون الأوائل يتمكنون من إظهار دينهم وعبادتهم، حذرًا من تعصب قريش لجاهليتها وأوثانها، وإنما كانوا يخفون ذلك[1].

ولقد بلغ المسلمون عددًا يقرب الأربعين رجلاً، وما زالت الدعوة سرًّا لم يجهر بها بين صفوف قريش؛ لأن الرسول الحكيم ﷺ يعلم أن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقع من أذى يصيب به قريش المسلمين، وكان من الضروري أن يجتمع بهم رسول الله ﷺ على شكل جماعات يرشدهم، ويعلمهم؛ ليكوِّن منهم القاعدة الصلبة التي يمكن أن يواجه بها أولئك

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي ـ قسم السيرة ـ ص ١٢٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٤-٣٧، وزاد المعاد ٣/ ١٩، ومختصر سيرته ـ ﷺ ـ للإمام محمد بن عبدالوهاب ص ٥٩، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٥٧، وهذا الحبيب يا محب ص ٩١.

الذين يقفون في وجه دعوة التوحيد، وقد اختيرت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فكان يلتقي بهم على شكل أُسَر يعلمهم أمور دينهم، وكان إلى جانب دار الأرقم - المركز الرئيسي - دور أخرى تكون مراكز فرعية حيث يذهب إليهم رسول الله ﷺ أحياناً دون انتظام، أو ينتظم فيها الصحابة الذين يختارهم رسول الله ﷺ، مثل دار سعيد بن زيد، ولكن الأرقم ابن أبي الأرقم قد فاز بمنقبة عظيمة، وهي اتخاذ داره مركزًا رئيسيًا للدعوة أيام ضعفها واستخفائها، وهي أحرج أوقات مرت بها الدعوة[1].

وهكذا مرت ثلاث سنين، والدعوة لم تزل سرية وفردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة، والتعاون، وتبليغ الرسالة، وتمكينها من مقامها.

وبعد أن أسلم عم النبي ﷺ حمزة بن عبدالمطلب وبعض وجهاء قريش الذين لهم شأن عظيم، وقويت بهم الجماعة الإسلامية كعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ . ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[2].

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الله - عز وجل - قد أعطى نبيه الكريم الحكمة؛ ولهذا قام بهذه المواقف الحكيمة المشرفة التي تكون نبراسًا للداعية إلى الله يسير على مقتضاها، وخاصة في دعوة المجتمعات الوثنية الكافرة، أما المجتمعات الإسلامية فلا دليل لمن يرى سرية الدعوة في بلاد المسلمين.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٣١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٦٢، وهذا الحبيب يا محب ص ٩٧.

(٢) سورة الحجر، الآيات ٩٤ - ٩٦.

أما سرية الدعوة في عهد النبي ﷺ في أول البعثة؛ فلأن الرسول ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ كان لا يسمح لهم أن يقولوا: لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله، ولا أن يؤذنوا، أو يصلوا، ولما قويت شوكتهم أمر الله رسوله بالجهر بالدعوة فجهروا بها، ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين[1].

المسلك الثاني: مواقفه ﷺ في مرحلة الدعوة الجهرية بمكة:

أمر الله نبيه بإنذار عشيرته الأقربين، فقال عز وجل: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ. وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[2].

فقام رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر ربه بالجهر بالدعوة والصدع بها، وإنذار عشيرته، فوقف مواقف حكيمة أظهر الله بها الدعوة الإسلامية، وبين بها حكمة النبي ﷺ وشجاعته، وإخلاصه لله رب العالمين، وقمع بها الشرك وأهله، وأذلهم إلى يوم الدين، ومن هذه المواقف الحكيمة ما يأتي:

(أ) موقفه الحكيم في صعوده على الصفا، ونداؤه العام:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ**﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: **يا بني فهر، يا بني عدي** ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟** قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صِدْقاً. قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب**

(١) انظر: الرحيق المختوم ص ٧٥، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٢/٦٢، وهذا الحبيب يا محب ص ٩٩.

(٢) سورة الشعراء، الآيات ٢١٤ ـ ٢١٦.

شديد. فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: **﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ. مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾**(1).

وفي رواية لأبي هريرة - رضي الله عنه - أنه ﷺ ناداهم بطنًا بطنًا، ويقول لكل بطن: «**أنقذوا أنفسكم من النار...**»، ثم قال: «**يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها**»(2).

وهذه الصيحة العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند الله تعالى، فقد دعا ﷺ قومه - في هذا الموقف العظيم - إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، ورغبهم في الجنة، وحذرهم من النار، وقد ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يضرب لصرخاتهم حسابًا؛ لأنه مرسل من الله - عز وجل -، ولا بد أن يبلغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو خالفه أو رد دعوته جميع العالمين، وقد فعل ﷺ(3).

استمر ﷺ يدعو إلى الله - تعالى - ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهارًا، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، استمر

---

(1) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ٨/ ٥٠١، ٧٣٧، ٦/ ٥٥١، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب قوله: وأنذر عشيرتك الأقربين ١/ ١٩٤، والآيتان من سورة المسد: ١ - ٢.

(2) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ٨/ ٥٠١، ٥/ ٣٨٢، ومسلم كتاب الإيمان، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين ١/ ١٩٢.

(3) انظر: الرحيق المختوم ص ٧٨، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٠١، ١٠٢، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص ٤٧.

يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من: حر وعبد، وقوي وضعيف، وغني وفقير، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.

وقد تسلط عليه وعلى من اتبعه الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب لأنها لا تريد أن تفارق عبادة الأصنام والأوثان[1]، ومع ذلك لم يفتر محمد ﷺ في دعوته، ولم يترك العناية والتربية الخاصة لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، فقد كان يجتمع بالمسلمين في بيوتهم على شكل أسر بعيدة عن أعين قريش، وتتكون هذه الأسر من الأبطال الذين عقد عليهم رسول الله ﷺ الأمل بعد الله - تعالى - في حمل العبء والمهام الجسيمة لنشر الإسلام، وبذلك تكونت طبقة خاصة من المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها، منقادة لأمر ربها، طائعة لقائدها، مطبقة لكل أمر يصدر عنه برغبة وشوق واندفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.

وبهذه المواقف الحكيمة، والتربية الصالحة المتينة استطاع محمد ﷺ أن يؤدي الأمانة، ويبلغ الرسالة، وينصح الأمة، ويجاهد في الله حق جهاده، ويرسم لنا طريقاً نسير عليه في دعوتنا وعملنا وسلوكنا، فهو قدوتنا وإمامنا الذي نسير على هديه، ونستنير بحِكَمِهِ ﷺ.

فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها ورباها، فلبت الدعوة، وآمنت به، وكانت دعوته عامة للناس، وأثناء هذه الدعوة يركز على من يجد عندهم الإمكانات أو يتوقع منهم ذلك، وقد تكوَّن من هذه العناصر نواة القاعدة الصلبة التي ثبتت عليها أركان الدعوة[2].

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٤٠.

(٢) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٢/ ٦٥.

ومـع هذا الجهـد المبارك العظيم لم يلجأ رسول الله ﷺ إلى الاغتيال السياسي، ولم يتخلص بالاغتيال من أفـراد بأعينهم، وكان بإمكانه ذلك وبكل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلف أحد الصحابة بقتل بعض قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة المخزومي، أو العاص بن وائل السهمي، أو أبي جهل عمرو بن هشام، أو أبي لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب، أو النضر بن الحارث، أو عقبة بن أبي معيط، أو أُبيّ بن خلف، أو أُمية بن خلف . . ، وهؤلاء هم من أشد الناس أذية لرسول الله ﷺ، فلم يأمر أحدًا من أصحابه باغتيال أحد منهم أو غيرهم من أعداء الإسلام؛ فإن مثل هذا الفعل قد يُوْدي بالجماعة الإسلامية كاملة، أو يعرقل مسيرتها مدة ليست باليسيرة، كرد فعل من أعداء الإسلام الذين يتكالبون على حربه، والنبي ﷺ لم يؤمر في هذه المرحلة باغتيالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

وعـلى هذا يجب أن يسـير الدعاة إلى الله فوق كل أرض، وتحت كل سماء، وفي كل وقت، يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها، فطريق الدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمه وتصرفاته على حسب ما أرادها ﷺ[1].

(ب) صموده وثباته أمام ممثلي قريش واضطهادهما :

رأت قريش أن تجرب أسلوبًا آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد ﷺ تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذره مغبة هذا التأييد والنصرة لمحمد ﷺ، وتطلب منه أن يكف عنها محمدًا ودينه[2].

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٦٥ .

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٤١، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١١٢ .

وكانت أساليبهم كالتالي:

١ ـ **جاءت سادات قريش إلى أبي طالب**، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، مِنْ: شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى نكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، وعظم عليه فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فثبت النبي ﷺ على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبات ويئس من موافقة النبي ﷺ لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسَّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضةٌ وأبشر وقر بذاك منك عيونا[1]

٢ ـ **بعد أن أسلم حمزة بن عبدالمطلب**، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تتقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم وزادهم هولاً وفزعًا تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٨، وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٤٢، وفقه السيرة للغزالي ص ١١٤، والرحيق المختوم ص ٩٤.

رسول الله ﷺ، فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله ﷺ أموراً لعله يقبل بعضها فيُعطَى من أمور الدنيا ما يريد.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرَّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ: «**قل يا أبا الوليد أسمع**»، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه... حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم، قال: «**فاستمع مني**»، قال: افعل، فقال: ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ . حمٓ . تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ . كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ..**﴾[2]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم

---

(١) يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة «سطا»، ص ٢٧٦، والقاموس المحيط، باب الواو، فصل السين، ص ١٦٧٠.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ١ - ٥.

قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»[1].

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[2]، فقام مذعورًا، فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول: أنشدك الله والرحم، وطلب منه أن يكف عنه، فرجع إلى قومه مسرعًا كأن الصواعق ستلاحقه، واقترح على قريش أن تترك محمدًا وشأنه، وأخذ يرغبهم في ذلك[3].

لقد تخير رسول الله ﷺ بفضل الله ـ تعالى ـ، ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي، ليعرف عتبة حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمدًا ﷺ يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه، يهديهم من الضلال، وينقذهم من الخبال، ومحمد ﷺ قبل غيره مكلف بتصديقه والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فإذا كان الله ـ عز وجل ـ يأمر الناس بالاستقامة على أمره، فمحمد ﷺ أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكًا ولا مالاً ولا جاهاً، لقد مكنه الله من هذا كله، فعف عنه وترفع أن يمد يديه إلى هذا الحطام الفاني؛ لأنه صادق في دعوته، مخلص لربه، ﷺ[4].

وهذا موقف من أعظم مواقف الحكمة التي أوتيها النبي ﷺ، فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالاً، ولا جاهًا، ولا ملكًا، ولا نكاحًا، من أجل أن يتخلى عن دعوته، وقد اختار الكلام المناسب في الموضع المناسب، وهذا هو عين الحكمة.

---

(١) اخرج هذه القصة ابن إسحاق في المغازي ١/٣١٣ من سيرة ابن هشام، قال الألباني: وإسناده حسن إن شاء الله. انظر: فقه السيرة للغزالي ص ١١٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ٦١، والبداية والنهاية ٣/ ٦٢، والرحيق المختوم ص ١٠٣.

(٢) سورة فصلت، الآية ١٣.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٦٢، وتفسير ابن كثير ٤/ ٦٢، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة ص ١٥٨، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١١٤، وهذا الحبيب يا محبّ ص ١٠٢.

(٤) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١١٣.

٣ ـ قرر المشركون ألا يألوا جهدًا في محاربة الإسلام وإيذاء النبي ﷺ ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام.

ومنذ جهر النبي ﷺ بدعوته إلى الله، وبين أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عامًا، ويعبدون الله عامًا! إلى غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!

واتهموا النبي ﷺ بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي ﷺ ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره[1].

لقد نال المشركون من النبي ﷺ ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا أبو جهل يعتدي على النبي ﷺ ليعفر وجهه في التراب، ولكن الله حماه منه، ورد كيده في نحره، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم[2] منه إلا وهو ينكص على عقبيه[3]، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار، وهولًا، وأجنحة، فقال

(١) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٠٦، والرحيق المختوم ص ٨٠، ٨٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٨٥، ٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٤، وهذا الحبيب يا محب ص ١١٠.

(٢) ويقال أيضًا: فجأهم، أي: بغتهم. انظر: شرح النووي ١٧/ ١٤٠.

(٣) يرجع يمشي إلى ورائه. انظر: المرجع السابق ٧/ ١٤٠.

رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**». قال: فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿**كَلَّا إِنَّ الإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰ** . . . ﴾ إلى آخر السورة[1].

وقد عصم الله النبي ﷺ من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر على هذا الأذى العظيم ابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ، فضحى بنفسه وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

٤ ـ **ومما أُصيبَ به محمد** ﷺ من الأذى بتحريض هذا الطاغية ما رواه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا[2] جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم[3] فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بين ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدًا ﷺ

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب قوله تعالى: ﴿كلَّا إن الإنسَنَ ليطغَىٰ. أن رءاهُ استغنَىٰ﴾ ٤/ ٢١٥٤، وانظر: شرح النووي ١٧/ ١٤٠.

(٢) السّلا، هو: اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدميّة: المشيمة. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٥١.

(٣) هو عقبة بن أبي مُعيط، كما صرح به في رواية لمسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٩.

بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر»[1].

٥ ـ ومن أشد ما صنع به المشركون ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾[2].

وقد اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، [وقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد [مادون عظامه من لحم أو عصب]، فما**

---

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا أُلقيَ على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ١/ ٣٤٩، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٢/١٤١٨.

(٢) سورة غافر، الآية ٢٨.
والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٥، وكتاب التفسير، سورة المؤمن ٨/ ٥٥٣، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ٧/ ٢٢.
واللفظ ملفقٌ من كتاب المناقب وكتاب التفسير.

يصده ذلك عن دينه، والله ليُتَمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(١).

وهكذا اشتد أذى قريش على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة الله، والصدع بالحق، والثبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ عادات الجاهلية وخرافاتها ووثنيتها.

٦ ـ **لقي النبي ﷺ أشد الأذى،** ووصل الأمر إلى تغيير اسمه ﷺ احتقارًا له ولـدينه، وحسدًا وبغضًا له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراهتهم للنبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلى غيره بحمد الله تعالى(٢).

قال ﷺ: **«ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟! يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد»**(٣).

والنبي ﷺ له خمسة أسماء ليس منها مُذَممًا(٤).

جاءت أم جميل زوجـة أبي لهب ـ حين سمعت ما أنزل الله فيها وفي زوجها من القرآن ـ إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة،

---

(١) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦١٩، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٤، وفي كتاب الإكراه، باب من اختـار الضرب والقتـل والهـوان على الكفر ١٢/ ٣١٥، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعكوفين من مناقب الأنصار.

(٢) انظر: فتح الباري ٦/ ٥٥٨.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٦/ ٥٥٤.

(٤) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٦/ ٥٥٤.

ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ملء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّمًا عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا[1].

استمر المشركون في إلحاق الأذى برسول الله ﷺ وبأصحابه الذين أسلموا، وبعد أن زاد عدد المسلمين وكثر عددهم ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولما رأى رسول الله ﷺ ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أبي طالب، وهو لا يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب ـ فقد مات منهم من مات، وعذب من عذب حتى عمي وهو تحت العذاب ـ فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلاً، وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم ـ، ذهبوا فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان ذلك في رجب، في السنة الخامسة من البعثة، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحدًا، ثم بلغ هؤلاء المهاجرين أن قريشًا قد كفوا عن النبي ﷺ فرجعوا إلى مكة من الحبشة، وقبل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهم أن الخبر كذب، وأن قريشًا أشد ما كانوا عداوة لرسول الله ﷺ فدخل من دخل مكة بجوار، وكان من الداخلين ابن مسعود، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ـ كابن مسعود ـ أو مستخفيًا، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذًى شديدًا،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٨، ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٣.

فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسع عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله ﷺ عام خيبر[1].

٧ ـ **ولما رأت قريش انتشار الإسلام**، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من: إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائبًا، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبدالمطلب، وبني عبدمناف، وأن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، فانحاز بنو هاشم، وبنو عبدالمطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظاهراً لقريش على رسول الله ﷺ وعلى بني هاشم، وبني عبدالمطلب.

وحُبِسَ رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين محبوسين، مضيقًا عليهم جدًا، مقطوعًا عليهم الطعام والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله ـ عز وجل ـ، فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن

---

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٣، ٣٦، ٣٨، والرحيق المختوم ص ٨٩، وهذا الحبيب يا محب ص ١٢٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٣، والبداية والنهاية ٣/ ٦٦، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٩٨، ١٠٩، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص ١٨٣.

محمدًا قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفرًا إلى كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة، ومات أبوطالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك[1].

ولما نُقِضَت الصحيفة وافق موت أبي طالب وموت خديجة وبينهما زمن يسير، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى، فازدادوا غماً على غم حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه[2].

المسلك الثالث: مواقف النبي ﷺ بعد خروجه إلى الطائف:

في شوال، من السنة العاشرة من النبوة، خرج النبي ﷺ إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مر على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم تُجِبْه واحدة منها.

١ ـ موقفه الحكيم في دعوته لأهل الطائف:

عندما وصل الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه ردًّا قبيحًا، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٧١، البداية والنهاية ٣/ ٦٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٠٩، ١٢٧، ١٢٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ـ قسم السيرة ص ١٢٦، ١٣٧، والرحيق المختوم ص ١١٢.

(٢) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣١، والرحيق المختوم ص ١١٣.

بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صَفَّيْن يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة محزونًا، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبَيْن على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما(١).

٢ ـ حكمته العظيمة في جوابه لملك الجبال:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: **«لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال(٢)، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أَسْتَفِق إلا بقرن الثعالب(٣)، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله ـ عز وجل ـ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت(٤)؟ إن شئت أن أُطْبِق عليهم**

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣١، والرحيق المختوم ص ١٢٢، وهذا الحبيب ص ١٣٢، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٥.

(٢) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح ٦/ ٣١٥.

(٣) وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح ٦/ ١١٥.

(٤) استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري ٦/ ٣١٦.

الأخشبَيْنْ. فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي أمده الله به.

وفي ذلك بيان شفقته على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[3]، فصلوات الله وسلامه عليه[4].

وأقام ﷺ بنخلة أيامًا، وصمم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة، بنشاط جديد، وجد وحماس، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فَرُوِيَ عنه[5] أنه قال: «يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه».

٣ ـ حكمته في دخوله إلى مكة في جوار المطعم بن عدي:

ثم سار حتى وصل مكة فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول

---

(١) البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٦/ ٣١٢، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ـ ﷺ ـ من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢٠.
وما بين المعكوفين من البخاري دون مسلم.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٤) انظر: البخاري مع الفتح ٦/ ٣١٦، والرحيق المختوم ص ١٢٤.

(٥) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣/ ٣٣.

الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المُطْعمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدًا فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن، فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته[1].

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي ﷺ في رحلته إلى الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته وعدم اليأس من استجابة الناس لها، وبَحَثَ عن ميدان جديد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في ميدانها الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي ﷺ كان أستاذًا في الحكمة، وذلك لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة ثقيف في الطائف وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.

وفي سيل الدماء من قدمي النبي ﷺ - وهو النبي الكريم - أكبر مثل لما يتحمله الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد.

وفي عدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة ملك الجبال في إطباق الأَخْشَبَيْنْ على أهل مكة أكبر مثل لما يتحمله الداعية في صبره على من رد دعوته، وعدم اليأس من هدايتهم، فربما يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا.

ومن حكمته ﷺ أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار المُطْعم ابن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عمن يحميه من كيد أعدائه؛ ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب[2].

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣٣، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٨، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٧، والرحيق المختوم ص ١٢٥.

(٢) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص ٥٨، وهذا الحبيب يا محب ص ١٣٤.

٤ ـ من مواقفه الحكيمة في الأسواق والمواسم :

باشر النبي ﷺ دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فبدأ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله ـ تعالى ـ، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

ولم يكتف رسول الله ﷺ بعرض الإسلام على القبائل فحسب، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً.

وكان ﷺ يرغب جميع الناس بالفلاح، فعن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الديل، وكان جاهليًا، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابىء كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عمه أبو لهب[1].

وقد كانت الأوس والخزرج يحجون كما كانت تحج العرب دون اليهود، فلما رأى الأنصار أحواله ﷺ ودعوته، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود، فأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي ﷺ في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة[2].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٤١، ٣/ ٤٩٢، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان برقم ١٦٨٣ (موارد) من حديث طارق بن عبدالله المحاربي، والحاكم في المستدرك بإسنادين، وقال عن الإسناد الأول: صحيح على شرط الشيخين، رواته كلهم ثقات أثبات، ١/ ١٥.

(٢) انظر: زاد المعاد ٣/ ٤٣، ٤٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٣٦، والرحيق المختوم ص ١٢٩، والبداية والنهاية ٣/ ١٤٩، وابن هشام ٢/ ٣١.

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه، مر بعقبة مِنى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ[1].

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة ١٢ من النبوة، وكان بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، وأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء[2].

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: **«تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروفٍ، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه»** فبايعناه على ذلك[3].

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ ليعلم المسلمين شرائع الإسلام؛ وليقوم

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٣٧، وهذا الحبيب يا محب ٢/ ١٤٥، والرحيق المختوم ص ١٣٢، وزاد المعاد ٣/ ٤٥، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٨، والبداية والنهاية ٣/ ١٤٩.

(٢) انظر: زاد المعاد ٣/ ٤٦، والرحيق المختوم ص ١٣٩، والتاريخ الإسلامي ٢/ ١٣٩، وهذا الحبيب ص ١٤٥، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٨.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ في مكة ٧/ ٢١٩، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان ١/ ٦٤.

بنشر الإسلام، وقد قام بذلك ـ رضي الله عنه ـ أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي ﷺ عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله ﷺ، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: **«تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة»**(١)، فقاموا إليه فبايعوه .

وبعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله ﷺ اثني عشر زعيماً، يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى(٢).

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي ﷺ في تأسيس وطن للإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيراً، وثبت لقريش أن النبي ﷺ قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة، فأمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ، فأوحى الله إلى النبي ﷺ بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر عليًّا أن يبيت في فراشه تلك الليلة،

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ٣٢٢، والبيهقي ٩/ ٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦٢٤، وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٧/ ١١٧.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩، والبداية والنهاية ٣/ ١٥٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٤٢، والرحيق المختوم ص ١٤٣.

فبقي المشركون ينظرون إلى عليّ من صِير الباب[1]، وخرج رسول الله ﷺ، ومر بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة[2].

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله ﷺ دليل واضح على حكمة النبي ﷺ، وعلى صبره، وشجاعته، وأنه ﷺ حينما علم بأن قريشًا قد طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرة الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تآمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جبنًا، ولا فرارًا من الموت؛ ولكن يعتبر أخذًا بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي ﷺ هو قدوتهم وإمامهم[3].

---

(1) صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة: صار ١/ ٥٣١.

(2) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٩٥، والبداية والنهاية ٣/ ١٧٥، وزاد المعاد ٣/ ٥٤، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص ٦١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٤٨، وهذا الحبيب يا محبّ ص ١٥٦.

(3) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر ص ٦٨.

المطلب الثاني : مواقف النبي ﷺ بعد الهجرة :

المسلك الأول : مواقف الحكمة في الإصلاح والتأسيس :

عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها، مختلفة في أهدافها، متفرقة في اجتماعاتها، وكانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث، وبعضها حديث موجود، وقد كانت هذه المجموعات على ثلاثة أصناف:

١ـ المسلمون، من : الأوس، والخزرج، والمهاجرين.

٢ـ المشركون، من : الأوس، والخزرج، الذين لم يدخلوا في الإسلام.

٣ـ اليهود، وهم عدة قبائل : بنو قينقاع، وقد كانوا حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قُريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس.

وقد كان هناك خلاف مستحكم بين الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، وآخرها يوم بُعَاثٍ ولا يزال في النفوس شيء منها[1].

لقد قام النبي ﷺ بحل هذه المشكلات كلها، بحكمته العظيمة، وحسن سياسته، وكان حله وإصلاحه لهذه الأوضاع، وجمعه لشمل المسلمين كالتالي:

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢١٤، وسيرة ابن هشام ٢/ ١١٤، وزاد المعاد ٣/ ٦٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٥٩، والرحيق المختوم ص ١٧١، وهذا الحبيب يا محبّ ص ١٧٤، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٨٨، البخاري مع الفتح، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٤، ومسلم، كتاب المساجد، باب بناء مسجد النبي ﷺ ١/ ٣٧٣، ٣٧٤.

١ ـ بناء المسجد والاجتماع فيه أول عمل وحد بين القلوب :

كان أول عمل قام به ﷺ في الإصلاح والتأسيس بناء المسجد النبوي، واشترك المسلمون جميعًا في البناء، وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ، وكان أول عمل تعاوني عام، وحد بين القلوب، وأظهر الهدف العام للعمل، وقد كان لكل حي في المدينة ـ قبل قدوم النبي ﷺ ـ مكان يلتقون فيه، فيسمرون ويسهرون، وينشدون الأشعار، فكانت هذه الحال تدل على التفرقة والاختلاف، فعندما بُنِيَ المسجد كان مركز المسلمين جميعًا، ومكان تجمعهم، يلتقون به في كل وقت، ويسألون رسول الله ﷺ فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم[1].

وبهذا تجمعت الأندية، والتفَّت الأحياء، واقتربت القبائل، وتحابَّت البطون، وانقلبت التفرقة إلى وحدة، ولم تعد في المدينة جماعات، بل جماعة واحدة، ولم تعد زعامات، بل قائد واحد، هو رسول الله ﷺ، يتلقى من ربه الأوامر والنواهي، ويعلم أمته، فأصبح المسلمون صفاً واحداً، وامتزجت النفوس والعقليات، وتقوت الوحدة، وتآلفت الأرواح، وتعاونت الأجسام[2].

ولم يكن المسجد موضعًا لأداء الصلوات الخمس فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويجتمعون فيه، وتلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها وقاعدة لإدارة جميع الشئون، وبثّ الانطلاقات، وموضعًا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ٧/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٦١، ١٦٢، والرحيق المختوم ص ١٧٩.

ولهذا ما أقام رسول الله ﷺ بمكان في المدينة إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون، فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف، بين قباء والمدينة، في بطن وادي (رانوناء) فلما أن وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد فيها(١).

٢ ـ دعوة اليهود إلى الإسلام بالقول الحكيم:

ومن قواعد الإصلاح والتأسيس التي قام بها النبي ﷺ ـ بعد أن دخل المدينة ـ الاتصال باليهود بواسطة عبدالله بن سلام رضي الله عنه، ودعوتهم إلى الإسلام.

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**خبرني بهن آنفًا جبريل**»، قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**» [قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأنك رسول الله]، قال: يا رسول الله، إن اليهـود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، [فـأرسـل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إلـه إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا**»، قالوا: ما نعلمه، قالوا

---

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص ٧٤، وفقه السيرة ص ١٨٩، وهذا الحبيب يا محب ص ١٨٠.

للنبي ﷺ ـ قالها ثلاث مرات ـ فقال رسول الله ﷺ: **فأي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟** قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: **أفرأيتم إن أسلم؟** قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، **قال أفرأيتم إن أسلم؟** قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: **أفرأيتم إن أسلم؟** قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: **يا ابن سلام اخرج عليهم**، فخرج، فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، [شرنا، وابن شرنا]، ووقعوا فيه(1).

وهذه أول تجربة تلقاها رسول الله ﷺ من اليهود عند دخول المدينة(2).

ومن حسن سياسته ﷺ أنه وافق على إخفاء عبدالله بن سلام حتى يسأل اليهود عن مكانته بينهم، وعندما أثنوا عليه، ورفعوا من قدره أمره بالخروج فخرج وأعلن شهادته، وأظهر ما كان يكتمه اليهود من صدق النبي ﷺ.

ثم ضبطهم ﷺ بالمعاهدة التي ستأتي.

٣ ـ المؤخاة بين المهاجرين والأنصار:

كما قام النبي ﷺ بالبدء ببناء المسجد ودعوة اليهود إلى الإسلام، قام ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا من الرشد، والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية(3).

آخى بينهم ﷺ في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم

---

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب أحاديث الأنبياء ٦/ ٣٦٢، وفي كتاب مناقب الأنصار ٧/ ٢٥٠، ٧/ ٢٧٢، والألفاظ من المواضع الثلاثة، وانظر أيضًا: البخاري مع الفتح ٨/ ١٦٥، والبداية والنهاية ٣/ ٢١٠.

(٢) انظر: الرحيق المختوم ص ١٧٥، وهذا الحبيب يا محب ص ١٧٥، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٩٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٧٣.

(٣) انظر: هذا الحبيب يا محبّ، لأبي بكر الجزائري ص ١٧٨.

من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[1]، ردّ التّوارث إلى الرّحم دون عقد الأخوة[2].

ذابت عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار؛ والمواساة، والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية[3].

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دونت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، لا كلامًا يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأملاك، في العسر واليسر[4].

ومن أروع الأمثلة لذلك ما رواه البخاري في صحيحه «آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، فسأقسم مالي بيني وبينك نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٥ .
(٢) انظر: زاد المعاد ٣/ ٦٣، والرحيق المختوم ص ١٨٠ .
(٣) انظر: فقه السيرة ٣/ ٦٣، والرحيق المختوم ص ١٨٠ .
(٤) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٦٥، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١٩٢

تابع الغدوة ثم جاء يومًا وبه أثر صُفرة، فقال النبي ﷺ: «**مَهْيَم؟**»[1]، قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: «**ما سقت فيها؟**» قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: «**أولم ولو بشاة**»[2].

وهذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة، وحلًا رائعًا لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون.

٤ ـ التربية الحكيمة:

وقد كان ﷺ يتعهدهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة[3].

فقد كان يقول ﷺ: «**يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[4].

ويقول: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»[5]، «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[6].

---

(١) مَهْيَم: كلمة استفهام، أي: ما حالك، وما شأنك؟ انظر: القاموس المحيط، باب الميم، فصل الميم، ص ١٤٩٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار، ٧/ ١١٢ حديث رقم ٣٧٨٠، ٣٧٨١، واللفظ من الموضعين، وانظر: باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، في الكتاب السابق نفسه.

(٣) انظر: الرحيق المختوم ص ١٧٩، ١٨١، ٢٠٨، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٢/ ١٦٥.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار ٤/ ٦٥٢، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام ٢/ ١٠٨٣، والدارمي ١/ ١٥٦، وأحمد ١/ ١٦٥، ٢/ ٣٩١، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/ ٣٠٣.

(٥) مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، ١/ ٦٨.

(٦) البخاري مع الفتح، في كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل ١/ ٥٤، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ١/ ٦٥، واللفظ له.

ويقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١).

ويقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه»(٢).

ويقول: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»(٣).

وقال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»(٤).

وقال: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنظِروا هٰذين حتى يصطلحا، أنظروا هٰذين حتى يصطلحا، أنظروا هٰذين حتى يصطلحا»(٥).

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٥٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٦٧.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد ١/ ٥٦٥، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩.

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وتحريم دمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٦.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الهجر، وقول الرسول ﷺ: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ١٠/ ٤٩١، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ٤/ ١٩٨٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتهاجر ٤/ ١٩٨٧.

وقال: «**تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين فيغفر الله ـ عز وجل ـ في ذلك اليوم لكل امرىءٍ لا يشرك بالله شيئًا إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اركوا هذين[1] حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا**»[2].

وقال ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلومًا**» قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم فذلك نصره**»[3].

وقال: «**حق المسلم على المسلم ست**»، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[4].

وعن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: **أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم، وإبرار المقسم، ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشرب في الفضة ـ أو قال: في آنية الفضة ـ وعن**

---

(١) اركوا هذين: أي أخروا، يقال: ركاه، يركوه ركوا، إذا أخره. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٢٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، ٤/ ١٩٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ٤/ ١٩٩٨، بمعناه، وأخرجه أحمد بلفظه ٣/ ٩٩، والبخاري مع الفتح في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا ٥/ ٩٨، وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه ١٢/ ٢٢٣.

(٤) البخاري مع الفتح بنحوه في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز ٣/ ١١٢، ومسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام ٤/ ١٧٠٥.

المياثر[1]، والقسي[2]، وعن لبس الحرير، والديباج[3]، والإستبرق»[4].

وقال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[5].

وسئل ﷺ: أي الإسلام خير؟ فقال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[6].

ويقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[7].

وقال ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم»[8].

وقال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل»[9].

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفر»[10].

وسواء وصلت هذه النصوص للأنصار من النبي ﷺ مباشرة، أو سمعوا بعضها من المهاجرين الذين سمعوا من النبي ﷺ قبل الهجرة، فكل ذلك

---

(١) المياثر: سروج من الديباج أو الحرير. الفتح ١٠/ ٢٩٣.

(٢) ثياب مضلعة بالحرير: أي فيها خطوط منه. الفتح ١٠/ ٢٩٣.

(٣) الديباج والإستبرق: صنفان من الحرير. انظر: فتح الباري ١٠/ ٣٠٧.

(٤) البخاري مع الفتح، في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز ٣/ ١١٢، ٥/ ٩٩، ٩/ ٢٤٠، ١٠/ ٩٦، وانظر مواضع الحديث في البخاري مع فتح الباري ٣/ ١١٢.

(٥) مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/ ٧٤.

(٦) البخاري مع الفتح في كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام ١/ ٥٥، ومسلم في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٥.

(٧) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/ ٢٠٠٠.

(٨) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ٤/ ١٨٠٩.

(٩) مسلم، في كتاب الفضائل، الباب السابق ٤/ ١٨٠٩.

(١٠) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١/ ١١٠.

تربية منه ﷺ لأصحابه جميعًا، ولمن بلغته هذه النصوص إلى يوم الدين.

وغير ذلك من النصوص التي ربّى بها محمد ﷺ أصحابه فقد كان يحثهم على الإنفاق، ويذكر من فضائله ما يشوق النفوس والقلوب، وكان يحث على الاستعفاف عن المسألة، ويذكر لهم فضل الصبر والقناعة، وكان يرغبهم في العبادات بما فيها من الفضائل والأجر والثواب، وكان يربطهم بالوحي النازل من السماء ربطًا موثقًا يقرؤه عليهم ويقرؤونه؛ لتكون هذه الدراسة إشعارًا بما عليهم من حقوق الدعوة، فضلاً عن ضرورة الفهم والتدبر.

وهكذا رفع ﷺ معنوياتهم، ودربهم على أعلى القيم والمثل حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني.

بمثل هذا استطاع النبي ﷺ أن يبني مجتمعًا مسلمًا أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلًّا بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعًا يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل الله وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم، فَحَرِيٌّ بالدعاة إلى الله أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه ﷺ[1].

٥ ـ ميثاق المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود:

بعد أن قام رسول الله ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، عقد معاهدة أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية والنزعات القبلية، ولم يترك مجالاً لتقاليد الجاهلية، وقد وضع في هذه المعاهدة ميثاقًا للمهاجرين والأنصار، متضمنًا موادعة اليهود بالمدينة، وهذا من أبرز الجهود التي بذلها ﷺ في الإصلاح والتأسيس.

كتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود،

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص ١٨٣.

وعاهدهم، وأقرهم على أموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم[1].

وهذا الميثاق في غاية الدقة، وحسن السياسة، وكمال الحكمة من النبي ﷺ، فقد ربط بين جميع المسلمين في المدينة وبين اليهود، فأصبحوا كتلة واحدة، يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.

وهـذه الخطوات الخمس: **بناء المسجد، ودعوة اليهود إلى الإسلام، والمؤاخاة بين المؤمنين وتربيتهم، وكتابة الميثاق**، هي التي حل بها النبي ﷺ ـ بفضل الله تعالى ـ الخلاف المستحكم بين سكان المدينة، وأزال بها جميع آثـار الماضي، ووحَّد بها قلوب المسلمين، وطبق بها النظام المتقن داخل المدينة، ومن ثم انتشر هذا النظام، والدعوة إلى الله من هذه المدينة إلى جميع أقطار العالم[2].

المسلك الثاني: مواقف الحكمة في حسن الإعداد للقتال، والشجاعة والبطولة:

بعد أن كوَّن النبي ﷺ مجتمعًا متماسكًا بالمدينة، وأصبح هذا المجتمع كتلة واحدة أمام من يريد العاصمة الإسلامية بسوء ـ وما ذلك إلا بفضل الله ثم بحكمـة المصـطفى ﷺ ـ قام ﷺ بالجهاد في سبيل الله، بالقلب واللسـان، والـدعوة والبيان، والسيف والسنان، فقد أرسل ستًّا وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعًا وعشرين غزوة[3].

ومن مواقفه الحكيمة في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦، وزاد المعاد ٣/ ٦٥، وانظر: كتابة الميثاق بين المسلمين ويهود المدينة في سيرة ابن هشام ٢/ ١١٩ ـ ١٢٣.

(٢) انـظر: الـرحيق المختوم ص ١٧١، ١٧٨، ١٨٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٦٦، ٢/ ٦٩، ١٦٠، وهذا الحبيب يا محب ص ١٧٦، ١٧٤.

(٣) انـظر تلك البـطولات الحكيمـة في: البخـاري مع الفتـح، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة ٧/ ٢٧٩، ومسلم، كتـاب الجهـاد والسير، باب عدد غزوات النبي ـ ﷺ ـ ٣/ ١٤٤٧، وشرح النـووي على مسلم ١٢/ ١٩٥، وفتـح البـاري ٧/ ٢٨٠، ٢٨١، والبـدايـة والنهـاية لابن كثير ٣/ ٢٤١، ٥/ ٢١٦، ٢١٧، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٥.

١ ـ ما فعله في غزوة بـدر الكبرى :

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه ﷺ استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه ﷺ يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شُرِطَ له في البيعـة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد ﷺ أن يستشيرهم، فجمعهم ﷺ واستشارهم، فقام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانيًا، فقام المِقْدَادُ فقال: «يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلاَ إنَّا معكما مقـاتلون، [نقـاتـل عن يمينـك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم استشار الناس ثالثًا، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد ابن معـاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي ﷺ يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقًا عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصـار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصـل حبـل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخـذت منـا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فَخُضْتَهُ لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدقٌ في اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسُرَّ بما سمع، ونشطه ذلك، ثم قال:

«سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»[1].

ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه - تبارك وتعالى - لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله - عز وجل - مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه[2]: **«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»**، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله - عز وجل -: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾**[3] فأمده الله بالملائكة[4].

---

(١) سقت هذه القصة بالمعنى، وانظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣، وفتح الباري ٧/ ٢٨٧، وزاد المعاد ٣/ ١٧٣، والرحيق المختوم ص ٢٠٠، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب «إذ تستغيثون ربكم» ٧/ ٢٨٧، وكتاب التفسير ٨/ ٢٧٣، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/ ١٤٠٣، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٩٤.

(٢) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي ١٢/ ٨٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٩.

(٤) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٣، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصرًا، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾. ٧/ ٢٨٧، وانظر: الرحيق المختوم ص ٢٠٨.

وقد خرج رسول الله ﷺ من العريش وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[1].

وقاتل ﷺ في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كما كانا في العريش يُجاهِدَان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا، وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعًا بين المقامين الشريفين»[2].

وكان أشجع الناس الرسول ﷺ، فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: «لقد رأَيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، **وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا**»[3].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه»[4].

٢ ـ مواقفه الحكيمة في غزوة أحد: ـــ انظر ص ٢٠٢

من مواقفه في الشجاعة أيضًا، وصبره على أذى قومه ما فعله ﷺ في غزوة أحد، فقد كان ﷺ يقاتل قتالاً عظيمًا؛ فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبل، فكرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليًا قد خلا

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٥ . والحديث في البخاري مع الفتح ٧/ ٢٨٧ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٧٨ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٨٦، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٢/ ١٤٣ .

(٤) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٢/ ١٤٣، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٧٩، إلى النسائي.

من الـرُّمـاة فجازُوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكـرم الله من أكـرم منهم بالشهـادة، وهـم سبعـون، وتولى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول الله فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكـانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعًا عن رسول الله ﷺ[1].

وكان حول النبي ﷺ رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال ﷺ لما رهقوه وقربوا منه: «**من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة**»، فتقـدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: **ما أنصفنا أصحابنا**»[2].

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي ﷺ إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبـو بكـر، وعمـر، وعـلي، والحـارث بن الصّمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله ﷺ أُبَيّ بن خلف، وهو على جواد له، ويقـول: أين محمـد، لا نجـوت إن نجـا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهـم رسول الله ﷺ بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقـوته من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مرارًا، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير. . . قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٩٦، ١٩٩، والرحيق المختوم ص ٢٥٥، ٢٥٦.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٥.

فؤادك، والله إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة»[1].

وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أنه سُئلَ عن جرح النبي ﷺ يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي ﷺ وكُسِرَت رباعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة ـ عليها السلام ـ تغسل الدم، وعليٌّ يمسك، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رمادًا، ثم ألزقته فاستمسك الدم»[2].

وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، وهو نبي الله ﷺ ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[3].

فالأنبياء ـ **عليهم الصلاة والسلام** ـ وعلى رأسهم محمد ﷺ قد كانوا[4] على جانب عظيم من الحلم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم ٣/ ١٩٩، والرحيق المختوم ص ٢٦٣، وروى قصة قتل النبي ﷺ لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهري عن سعيد بن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٣٢، وكلاهما مرسل، والطبري ٢/ ٦٧، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ٢٢٦.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة ٦/ ٩٦، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٦.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان ٦/ ٥١٤، ١٢/ ٢٨٢، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٧، وانظر: شرحه في الفتح ٦/ ٥٢١، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٢/ ١٤٨.

(٤) انظر: شرح النووي لمسلم ١٢/ ١٤٨.

لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جناياتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون[1]، قال ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله ﷺ**»، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، «**اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله عز وجل**»[2].

وفي إصابة النبي ﷺ يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي ﷺ هو القدوة قد أوذي وصبر[3].

٣ ـ ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة ما فعله في معركة حنين:

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين[4]، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار . . . ثم قال: «**أي عباس، ناد أصحاب السمرة**» فقال عباس: ـ وكان رجلاً صيتاً ـ فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتهم حين سمعوا صوتي عَطْفَة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار. . . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال ﷺ: «**الآن حمي الوطيس**»[5].

الله لم يموت حتى يبلغ الرسالة

(١) شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٥٠ بتصرف.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ٧/ ٣٧٢، ومسلم، كتاب الجهاد، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ٣/ ١٤١٧.

(٣) السيرة النبوية دروس وعبر، ص ١١٦.

(٤) كان مع النبي ﷺ في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم، وكانوا اثني عشر ألفًا. انظر: زاد المعاد ٣/ ٤٦٨.

(٥) مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه ٣/ ١٣٩٨.

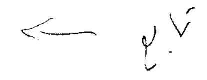
وظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي يعجز عنه عظماء الرجال[1].

وسئل البراء، فقال له رجل: يا أبا عمارة، أكنتم وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولى رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شبان أصحابه[2] وأخفاؤهم[3] حسراً[4] ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قومًا رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقًا[5]، ما يكادون يخطئون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزِّل نصرك[6].

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس[7] نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ[8].



---

(١) انظر: الرحيق المختوم ص ٤٠١، وهذا الحبيب يا محب ص ٤٠٨.

(٢) جمع شباب. شرح النووي لمسلم ١٢/ ١١٧.

(٣) جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي لمسلم ١٢/ ١١٧.

(٤) حسرا: جمع حاسر، أي: بغير دروع، وقد فسره بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم ١٢/ ١١٧.

(٥) رشقًا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي ١٢/ ١١٨.

(٦) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات ٣/ ١٤٠٠، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر ٦/ ١٠٥، ٨/ ٢٧، ٢٨.

(٧) إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٢١.

(٨) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠١.

وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله ﷺ منهزمًا[1]، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأى ابن الأكوع فزعًا**».

فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شاهت الوجوه**»[2]، فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله ـ عز وجل ـ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين»[3].

وقد قال العلماء: إن ركوب النبي ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون معتمدًا يرجع الناس إليه، و تطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدًا، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعته تقدمه ﷺ وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فر الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بشجاعته ﷺ في جميع المواطن[4].

٤ ـ ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة:

ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة

---

(١) قال العلماء: قوله: «منهزمًا» حال من ابن الأكوع، وليس النبي ـ ﷺ ـ. انظر: شرح النووي ١٢/١٢٢.

(٢) شاهت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠٢.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ١١٤.

ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا»، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: «لقد وجدته بحرًا، أو إنه لبحر»[1].

وهذا المثال وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله ﷺ، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال[2].

قال البراء ـ رضي الله عنه ـ: «كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ»[3].

وقال أنس في الحديث السابق: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس...».

وكانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل ﷺ عن كلمة «بسم الله الرحمن الرحيم» إلى بسمك اللهم، وعن كلمة: «محمد رسول الله» إلى كلمة: محمد بن عبدالله، وقبوله شرط سهيل على أنه لا يأتي النبي ﷺ رجل من قريش حتى ولو كان مسلمًا إلا رده إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظًا، وبلغ الغضب حدًّا لا مزيد عليه، وهو ﷺ صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحًا مبينًا.

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ١٠/ ٤٥٥، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب، ٤/ ١٨٠٢.

(٢) انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي ﷺ في مسند أحمد ١/ ٨٦، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٢/ ١٤٣، وتقدم تخريجه ص ١٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ٣/ ١٤٠١، وتقدم تخريجه.

فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: **القلبية، والعقلية**، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضره بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها[1].

وجميع ما تقدم نماذج من شجاعته ﷺ وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته ﷺ بالاستقصاء لكُتبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ أن يتخذوا الرسول ﷺ قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً**﴾[2].

المسلك الثالث: مواقف الحكمة الفردية:

كان النبي ﷺ أحكم خلق الله، فقد كان يتألف الناس ليدخلوا في الإسلام، ويصبر على أذاهم، ويعفو عن إساءتهم، ويقابلها بالإحسان، وله ﷺ مواقف في الكرم، والجود، والعفو، والحلم، والرفق، والعدل، تظهر في النقاط الآتية:

١ـ موقفه ﷺ مع ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي

---

(١) انظر وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح ٥/ ٣٢٩، وشرح الوثيقة في الفتح ٥/ ٣٣٣ ـ ٣٥٢، ومسند أحمد، ٤/ ٣٢٨ ـ ٣٣١، وانظر: هذا الحبيب يا محبّ ص ٥٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم[1]، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: [لا والله]، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[2].

«ثم خرج - رضي الله عنه - إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت

---

(١) معناه: إن تقتل تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته، وقيل: معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله. انظر: فتح الباري ٨/ ٨٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ٨/ ٨٧، ومسلم - واللفظ له إلا ما بين المعكوفين فمن البخاري - في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه ٣/ ١٣٨٦.

أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل»[1].

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة، ومنعه عن قريش الميرة، ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[2].

وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين[3].

الله أكبر، ما أحكم النبي محمداً ﷺ. وما أعظمه من موقف، فقد كان ﷺ يتألف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ أن يعظموا أمر العفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًّا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمنّ بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣١٧ بتصرف يسير، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٨٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٧٦.

وقال ابن حجر عن هذا الأثر: إسناده حسن. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٠٣.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٠٣.

وهناك أبيات شعرية له ـ رضي الله عنه ـ تدل على تأثره بعفوه ﷺ.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ٨٩، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٨٨.

٢ ـ موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي أراد قتله:

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قِبَل نجد[(١)]، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا[(٢)] في يده، فقال لي، من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت الله، قال: فشام السيف[(٣)]، فهاهو ذا جالس**»، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ[(٤)].

الله أكبر، ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي ﷺ ثم يعصمه الله منه، ويمكِّنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا لخلق عظيم، وصدق الله العظيم إذ يقول للنبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٥)]، وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير[(٦)].

---

(١) وقع في رواية البخاري التصريح باسمها «ذات الرقاع»، انظر: البخاري مع الفتح ٧/ ٤٢٦.

(٢) والسيف صلتًا: أي مسلولاً. انظر: شرح النووي ١٥/ ٤٥.

(٣) شام السيف: أي رده في غمده. انظر: المرجع السابق ١٥/ ٤٥.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٦/ ٩٦، ٩٧، وكتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ٧/ ٤٢٦، ومسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب توكله على الله ـ تعالى ـ، وعصمة الله ـ تعالى ـ له من الناس، ٤/ ١٧٨٦، ١/ ٥٧٦، وأحمد ٣/ ٣١١، ٣٦٤.

وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني فقد ذكر رواية مطولة عزاها لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه ٢/ ٣٣٥.

(٥) سورة القلم، الآية ٤.

(٦) انظر: فتح الباري ٧/ ٤٢٨، وشرح النووي على مسلم ١٥/ ٤٤، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

٣ ـ موقفه ﷺ مع اليهودي زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود:

كان النبي ﷺ يعفو عند القدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار[١].

جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه ديناً له عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبدالمطلب قوم مُطْلٌ، وشدّد له في القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ، ثم قال: «**أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمرٍ**»، فكان هذا سببًا لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا»[٢].

---

(١) انظر: هذا الحبيب يا محب ص ٥٢٨، وهداية المرشدين ص ٣٨٤.

(٢) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي ﷺ، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: ورجال إسناده موثقون... ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث ١/ ٥٦٦.
وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل. البداية والنهاية ٢/ ٣١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٤٠: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصِفَ، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر[1].

فقد أقام محمد ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق.

٤ ـ موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَه مَه[2]، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزرموه[3]، دعوه»**، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: **«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن»**، أو كما قال رسول الله ﷺ.

قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه[4] عليه[5].

وقد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا»، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٦٦.

(٢) مه: كلمة زجر، وهو اسم مبنيّ على السكون، معناه: اسكت. وقيل: أصلها: ما هذا؟ انظر: شرح النووي ٣/ ١٩٣.

(٣) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. والإزرام: القطع. انظر: المرجع السابق ٣/ ١٩٠.

(٤) شنه: أي صبه عليه. انظر: المرجع السابق ٣/ ١٩٣.

(٥) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها ١/ ٢٣٦، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصرًا في كتاب الوضوء باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ١/ ٣٢٢، وروايات بول الأعرابي في البخاري في عدة مواضع ١/ ٢٢٣، ١٠/ ٤٤٩، ١٠/ ٥٢٥.

اللهم ارحمني ومحمـدًا، ولا ترحم معنـا أحـدًا، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «**لقد حجرت واسعًا**» يريد رحمة الله[1].

وتفسر هذه الـرواية الـروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا! فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقـال: «**لقد تحجّرت واسعًا**»، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلوًا من ماء، أو سجلاً من ماء**»[2].

قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه، فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب»[3].

النبي ﷺ أحكم خلق الله، فمـواقفـه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه، ازداد يقينه وإيمانه بذلك.

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالاً تثير الغضب، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين؛ ولذلك قام الصحابة إليه، واستنكروا أمره، وزجروه، فنهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله.

وهذا في غاية الرفق والحلم والرحمة، ويجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي ﷺ بالحكمة على هذا الأعرابي عمله، فقال له حينما قال: «اللهم

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض ١/ ٢٧٥، وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر واللفظ لأحمد ١٢/ ٢٤٤، برقم ٧٢٥٤، وأخرجه أحمد أيضًا مطولاً ٢٠/ ١٣٤ برقم ١٠٥٤٠، وأبو داود مع العون ٢/ ٣٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر وهو تكملة للحديث السابق من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ٢٠/ ١٣٤، برقم ١٠٥٤٠، وابن ماجه ١/ ١٧٥.

ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا»: «**لقد حجرت واسعًا**»، يريد ﷺ رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال عز وجل: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[1]، فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه.

وقد أثنى عز وجل على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾[2].

وهذا الأعرابي قد دعا بخلاف ذلك فأنكر عليه النبي ﷺ بالحكمة[3].

وحينما بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه؛ لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث جزء من المسجد، فلو منعه ﷺ بعد ذلك لدار بين أمرين:

١ـ إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه.

٢ـ وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من المسجد.

فأمر النبي ﷺ بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٠.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٣٩.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ٣٢٥، وشرح النووي على مسلم ٣/ ١٩١.

وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح، وما يقابلها من المفاسد، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ولا استخفافًا، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال بعد أن فقه ـ كما تقدم ـ في رواية الإمام أحمد: فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي، فلم يسبّ، ولم يؤنّب، ولم يضرب[1].

فقد أثّر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل[2].

٥ ـ موقفه ﷺ مع معاوية بن الحكم:

عن معاوية بن الحكم السلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليَّ؟، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني[3] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١/ ١٧٥، وتقدم تخريجه عند أحمد.

(٢) انظر: فتح الباري ١/ ٣٢٥، وشرح النووي ٣/ ١٩١، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ٢/ ٣٩، وتحفة الأحوذي، شرح سنن الترمذي ١/ ٤٥٧.

(٣) ما كهرني: أي ما قهرني ولا نهرني. انظر: شرح النووي ٥/ ٢٠.

قلت: يا رسول الله! إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتهم**».

قال: «ومنا رجال يتطيرون، قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**»[1]، (قال ابن الصلاح: **فلا يصدنكم**)، قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك**»[2].

قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوَّانيّة[3] فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها، قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[4].

وهذا الموقف من أعظم الحكم البارزة السامية التي أوتيها النبي ﷺ، وقد ظهر أثر ذلك في حياة ونفس معاوية ـ رضي الله عنه ـ؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ولهذا قال معاوية رضي الله عنه: ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه.

---

(١) قال العلماء: معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة، ولا عتب عليكم في ذلك، ولكن لا تمتنعوا بسببه من التصرف في أموركم. انظر: المرجع السابق ٥/ ٢٢.

(٢) اختلف العلماء في معناه، والصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له؛ ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يُباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وقيل: إنه نُسِخَ في شرعنا. فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن فهو محرم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٢٣.

(٣) الجوانية: موضع في شمال المدينة بقرب جبل أحد. انظر: المرجع السابق ٥/ ٢٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ١/ ٣٨١، وانظر شرحه في شرح مسلم للنووي ٥/ ٢٠.

٦ ـ موقفه ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي :

من مواقف الحكمة ما فعله رسول الله ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي ـ رضي الله عنه ـ، فقد أسلم الطفيل ـ رضي الله عنه ـ قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله ـ عز وجل ـ فأبت عليه وعصت، وأبطؤوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أن دوسًا هلكت وكفرت وعصت وأبت.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوسًا قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: **«اللهم اهد دوسًا، وائت بهم، اللهم اهد دوسًا وائت بهم»**[1].

وهـذا يدل على حلم النبي ﷺ وصبره وتأنيه في الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ؛ فإنه ﷺ لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من رد الدعوة؛ ولكنه ﷺ دعـا لهم بالهـداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتًا من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين[2].

---

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ٦/ ١٠٧، وفي كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ٨/ ١٠١، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين ١١/ ١٩٦، ومسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطيء ٤/ ١٩٥٧، وأخرجه أحمد واللفظ له ٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، وانظر: البداية والنهاية ٦/ ٣٣٧، ٣/ ٩٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٤٠٧.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٤٦، وزاد المعاد ٣/ ٦٢٦، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٢٥.

الله أكبر! ما أعظمها من حكمة أسلم بسببها ثمانون أو تسعون أسرة.

وهـذا مما يوجب على الـدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ العناية بالحكمة في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله ثم معرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

٧ ـ موقفه ﷺ مع الشاب الذي استأذنه في الزنا:

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن فتًى شابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال له: «ادنه»، فدنا منه قريبًا، قال: **«أتحبّه لأمّك؟»** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **«ولا النـاس يحبـونه لأمهاتهم»** قال: **«أفتحبه لابنتك؟»** قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال **«ولا الناس يحبونه لبناتهم»** قال: **«أفتحبه لأختك؟»** قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: **«ولا النـاس يحبونه لأخواتهم»**. قال: **«أفتحبه لعمتك؟»** قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: **«ولا النـاس يحبـونـه لعـماتهم»**. قال: **«أفتحبه لخالتك؟»** قال: ولا والله جعلني الله فداءك. قال: **«ولا الناس يحبونه لخالاتهم»** قال: فوضع يده عليه، وقال: **«اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه»**، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وهذا الموقف الحكيم العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ أن يعتنـوا بالـرفق والإحسان إلى الناس، ولا سيما من يُرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم.

وكما بين لنا الرسول ﷺ الرّفق بفعله بينه لنا بقوله وأمرنا بالرفق في الأمر

---

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ٥/ ٢٥٦، ٢٥٧، وذكره الهيثمي في مجمع الـزوائـد، وعـزاه إلى الـطبراني وقـال: رجاله رجال الصحيح ١/ ١٢٩، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٣٧٠ ج١.

كله. فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السامُ عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السامُ واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة إن الله يُحبّ الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت وعليكم**»[1].

وقال ﷺ: «**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف، وما لا يُعطي على ما سواه**»[2].

وقال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلا شانه**»[3].

وبيّن ﷺ أن من حُرِمَ الرفق فقد حُرِمَ الخير، قال ﷺ: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»[4].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**من أُعطيَ حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**»[5]، وعنه ـ رضي الله عنه ـ يبلغ به قال: «**من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الخير، وليس شيء أثقل في الميزان من الخُلُق الحسن**»[6]. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال لها: «**إنه من**

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله ١٠/ ٤٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق عن عائشة رضي الله عنها، ٤/ ٢٠٠٤.

(٣) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقًا، ٤/ ٢٠٠٤ عن عائشة رضي الله عنها أيضًا.

(٤) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقًا عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، ٤/ ٢٠٠٣.

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق ٤/ ٣٦٧، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/ ١٩٥.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥١، انظر الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٨٧٦، فقد ذكر له شواهد كثيرة.

أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»(١).

فقد عظّم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، وبين ذلك بفعله وقوله بيانًا شافيًا كافيًا؛ لكي تعمل أمّتهُ بالرفق في أمورها كلها، وخاصة الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ؛ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم، وفي جميع تصرفاتهم، وأحوالهم. وهذه الأحاديث السابقة تُبيّن فضل الرفق، والحث على التخلق به، وبغيره من الأخلاق الحسنة، وذم العنف وذم من تخلق به.

فالرفق سبب لكل خير؛ لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره، وما لا يأتي من ضده(٢).

وقد حذر النبي ﷺ من العنف، وعن التشديد على أمته ﷺ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: **«اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»**(٣)، وكان ﷺ إذا أرسل أحدًا من أصحابه في بعض أموره أمرهم بالتيسير ونهاهم عن التنفير.

فعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أموره قال: **«بشّرُوا ولا تُنفّرُوا، ويسّرُوا ولا تُعسّرُوا»**(٤).

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ١٥٩ وإسناده صحيح، انظر الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٥١٩.

(٢) انظر شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٤٥، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٤٩، وتحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨.

وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ ـ رضي الله عنهما ـ حينما بعثهما إلى اليمن: «**يسِّـرا ولا تُعسِّـرا، وبشِّرَا ولا تُنفِّرَا، وتطاوَعَا ولا تختلفَا**»[1].

وعن أنس بن مالـك ـ رضي الله عنـه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**يسِّـروا ولا تعسِّـروا، وبشِّـروا ولا تُنفِّروا**»[2].

في هذه الأحاديث الأمر بالتيسير والنهي عن التنفير، وقد جمع النبي ﷺ في هذه الألفاظ بين الشيء وضده، لأن الإنسان قد يفعل التيسير في وقت والتعسير في وقت، ويبشر في وقت وينفر في وقت آخر فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسَّر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات؛ فإذا قال ولا تعسِّروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب. وكذا يقال في يسّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء، والنبي ﷺ قد حث في هذه الأحاديث وفي غيرها على التبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، ونهى عن التنفـير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وهذا فيه تأليف لمن قرب إسلامه وترك التشديد عليه، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم ينبغي أن يتدرج معهم ويُتلطّف بهم في أنواع الطاعات قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة، أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالبًا الازدياد منها، ومتى عُسِّرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ولا

---

(١) البخاري مع الفتح في كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٨/ ٦٢، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩، واللفظ له.

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٣، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩.

يستحليها[1]. وهكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج، ولهذا كان النبي ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة في الأيام كراهة السَّآمة عليهم[2].

فصلوات الله وسلامه عليه فقد دل أمته على كل خير وحذرهم من كل شر، ودعا على من شق على أمته، ودعا لمن رفق بهم كما تقدم في حديث عائشة وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم[3].

٨ ـ موقفه ﷺ مع من شفع في ترك إقامة الحد:

قد كان النبي ﷺ أعدل البشر في جميع أموره وأحكامه، ومما يضرب به المثل في عدله إلى يوم القيامة قصة المخزومية التي سرقت فقطع يدها بعد أن شفع فيها أسامة، ولكن الرسول ﷺ لم يحابِ في ذلك، ولم يقبل الشفاعة في حد من حدود الله تعالى.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فأُتيَ بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، فقال: «**أما بعد، أيها الناس: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم ١٢/ ٤١ بتصرف يسير وفتح الباري ١/ ١٦٣.
(٢) انظر فتح الباري ١/ ١٦٢، ١٦٣.
(٣) انظر شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢١٣.

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ[1].

إن العدل خلاف الجور، وقد أمر الله - عز وجل - به في القول والحكم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[2]، وقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[3].

ولا شك أن هذا الموقف الحكيم وغيره من مواقفه ﷺ مما يوجب على الدعاة تطبيقها أسوة به ﷺ[4].

٩ - موقفه ﷺ الحكيم في الكرم والجود:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: ما سُئِلَ رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه قال: فجاءَهُ رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[5].

---

(١) البخاري مع الفتح بنحوه مختصرًا في كتاب الحدود، باب إقامة الحد على الشريف والوضيع ١٢/ ٨٦، وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ١٢/ ٨٧، ٦/ ٥١٣، ٥/ ١٩٢، ورواه مسلم بلفظه في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود ٣/ ١٣١٥، وانظر: شرح النووي ١١/ ١٨٦، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢/ ٩٥، ٩٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٤) انظر مواقف حكيمة في هذا الشأن في: سنن أبي داود ٢/ ٢٤٢، والترمذي ٣/ ١٣٧، والنسائي ٧/ ٦٤، وانظر أيضًا: البخاري مع الفتح ٣/ ٢٩٢، ٢/ ١٤٣، ١١/ ٣١٢، ١٢/ ١١٢، ومسلم ٣/ ٤٥٨، وهذا الحبيب يا محب ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٥) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦.

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي ﷺ، وغزارة جوده[1].

وكان ﷺ يعطي العطاء ابتغاء مرضاة الله ـ عز وجل ـ، وترغيبًا للناس في الإسلام، وتأليفًا لقلوبهم، وقد يُظهر الرجل إسلامه أولًا للدنيا ثم ـ بفضل الله تعالى، ثم بفضل النبي ﷺ ونور الإسلام ـ لا يلبث إلا قليلًا حتى ينشرح صدره للإسلام بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها[2].

ولهذا شواهد كثيرة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ غزا غزوة الفتح ـ فتح مكة ـ ثم خرج ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ[3].

وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»[4].

---

(١) انظر أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا عبدان ١/ ٣٠، وكتاب الأدب باب حسن الخلق وما يكره من البخل ١٠/ ٤٥٥، وكتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: لو أن عندي مثل أحد ذهبًا ١١/ ٢٦٤، ١١/ ٣٠٣، وكتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع ٤/ ٤٧٤، وكتاب التمني، باب تمني الخير، وقول النبي ﷺ لو كان لي أحدًا ذهبًا ١٣/ ١٧، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٥، ١٨٠٦، وكتاب الزكاة، باب من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠، وباب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ٢/ ٦٨٧.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٥/ ٧٢.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦

(٤) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما آنفًا ٤/ ١٨٠٦.

وإذا رأى ﷺ الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان ﷺ يجزل له في العطاء، قال ﷺ: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يُكبَّ في النار على وجهه**»[1].

ولذلك كان ﷺ «**يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل**»[2].

ومن مواقفه الحكيمة العظيمة في ذلك ما فعله ﷺ مع المرأة المشركة صاحبة المزادتين، فإنه ﷺ بعد أن أسقى أصحابه من مزادتيها، ورجعت المزادتان أشد ملاءةً منها حين ابتدأ فيها قال لأصحابه: «**اجمعوا لها**»، فجمعوا لها ـ من بين عجوة ودقيقة وسويقة ـ حتى جمعوا لها طعامًا كثيرًا وجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها: «**اذهبي فأطعمي هذا عيالك، تعلمين والله ما رزأناك**[3] **من مائك شيئًا، ولكن الله هو الذي أسقانا**».

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها فقالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا، فهدى الله ذلك الصرم[4] بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا[5].

وفي رواية: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه، فقالت يومًا لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدًا، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام[6].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافًا﴾ ٣/ ٣٤٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه ٣/ ٧٣٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ٦/ ٢٤٩.

(٣) أي: لم ننقص من مائك شيئًا. انظر: فتح الباري ١/ ٤٥٣.

(٤) الصرم: أبيات مجتمعة من الناس. انظر: فتح الباري ١/ ٤٥٣.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨٠، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ١/ ٤٧٦.

(٦) البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء ١/ ٤٤٨.

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة أمران :

الأمـر الأول : ما رأتـه من أخذ النبي ﷺ وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئًا، وهذا من معجزات النبي ﷺ التي تدل على صدق رسالته.

الأمر الثاني : كرم النبي ﷺ حينما أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعامًا كثيرًا.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها، لأن المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار النبي ﷺ على سبيل الاستئلاف لهم، حتى كان ذلك سببًا لإسلامهم[1].

وهذه الأمثلة التي سقتها ما هي إلا قطرة من بحر من كرم النبي ﷺ، فما أحوجنا، وما أولى جميع الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ إلى الاقتداء بالنبي ﷺ والاقتباس من نوره وهديه في دعوته وفي أموره كلها، والله المستعان.

١٠ ـ مواقف النبي ﷺ مع زعيم المنافقين عبدالله بن أُبَيّ :

قدم النبي ﷺ المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على تمليك عبدالله بن أُبيّ، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، لِيُتَوِّجوه ثم يملِّكوه عليهم، فجاءهم الله ـ تعالى ـ برسول الله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام امتلأ قلبه حقدًا وعداوة وبغضًا، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا الإسلام، دخل فيه كارهًا، مصرًا على النفاق والحقد والعداوة[2]، ولم يأل جهدًا في الصدّ عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذب عن اليهود ومساعدتهم.

---

(١) انظر: فتح الباري ١/ ٤٥٣.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٦، والبداية والنهاية ٤/ ١٥٧.

وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبي ﷺ يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يُظهر الإسلام، ولأن له أعواناً من المنافقين، هو رئيسهم وهم تبع له، فكان ﷺ يحسن إليه بالمقال والفعال، ويقابل إساءته بالعفو والإحسان في عدة مواقف، منها على سبيل المثال ما يأتي:

(أ) شفاعته لليهود (بنو قينقاع) عندما نقضوا العهد:

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين[1]، فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهرًا من الهجرة، وحاصرهم خمسة عشر يومًا، وتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فَكُتِّفُوا، وكانوا سبعمائة مقاتل، فقام إلى النبي ﷺ عبدالله بن أُبيّ حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يديه في جيب درع النبي ﷺ، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع[2]، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ له[3]، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٧، والبداية والنهاية ٤/ ٤، والرحيق المختوم ص ٢٢٨، وهذا الحبيب ص ٢٤٦.

(٢) الحاسر: هو الذي لا درع له، والدارع: هو لابس الدرع. انظر: المعجم الوسيط، مادة «حسر»، ١/ ١٧٢، ومادة «درع»، ١/ ٢٨٠.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٤.

أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم **صلوات الله وسلامه عليه**[1].

(ب) ما فعله مع النبي ﷺ يـوم أُحـد :

خرج النبي ﷺ إلى معـركة أحد، فلما صار بين أحد والمدينة انخزل عبدالله بن أبي بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبدالله ابن عمرو بن حرام، والد جابر - رضي الله عنهما - فوبّخهم، وحضهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبهم[2].

فلم يعاقبه رسول الله ﷺ على هذا الجرم العظيم، وتخذيل المسلمين.

(جـ) صده الرسول ﷺ عن الدعوة إلى الله تعالى :

ركب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة، فمر بعدوّ الله عبدالله بن أُبيّ وحوله رجال من قومه، فنزل ﷺ فسلم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله - عز وجـل -، وذكَّر بالله، وحذر وبشر وأنذر، وعندما فرغ ﷺ من مقالته، قال له عبدالله بن أُبيّ: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقًّا فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغته[3]، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه[4]، فلم يؤاخذه ﷺ، وعفا عنه وصفح.

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٢٦، ١٩٠.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ١٩٤، وسيرة ابن هشام ٣/ ٨، ٣/ ٥٧، والبداية والنهاية ٤/ ٥١.

(٣) أي: لا تكثر عليه به وتتردد به عليه، أو لا تعذبه به. انظر: القاموس المحيط، باب التاء، فصل الغين، ص ٢٠٠، والمعجم الوسيط، مادة «غتَّ»، ٢/ ٦٤٤.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨، ٢١٩.

(د) تثبيته بني النضير :

عندما نقض يهود بني النضير العهد بهَمِّهم بقتل النبي ﷺ، بعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق ـ وعلى رأسهم عبدالله بن أُبيّ ـ أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قُوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فقويت عزيمة اليهود، ونابذوا رسول الله ﷺ بنقض العهد، فخرج إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأجلاهم النبي ﷺ وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام(١).

وترك النبي ﷺ عبدالله بن أُبيّ فلم يُعاقبه على ذلك.

(هـ) كيده وغدره للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين في غزوة المريسيع :

في هذه الغزوة قام عبدالله بن أُبيّ بعدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه، منها:

١ ـ دبر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولى كبره عبدالله بن أُبي ابن سلول(٢).

٢ ـ وفي هذه الغزوة قال عبدالله بن أُبيّ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾(٣).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٢، والبداية والنهاية ٤/ ٧٥، وزاد المعاد ٣/ ١٢٧.

(٢) انظر قصة الإفك في البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك ٧/ ٤٣١، وكتاب التفسير، سورة النور، باب ﴿لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾، ٨/ ٤٥٢، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث الإفك ٤/ ٢١٢٩، وزاد المعاد ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٦٨.

(٣) سورة المنافقون، الآية ٨.

وانظر: البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم =

٣ ـ وفي هذه الغزوة قال عدو الله : ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[1] .

وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي ﷺ نار الفتنة، وقطع دابر الشر ـ بفضل الله ثم بصبره ـ على عبدالله ابن أُبيّ، وتحمله له، والإحسان إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأن هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرهم على الدعوة الإسلامية؛ ولأنه يظهر إسلامه، ولهذا قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب ـ حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ـ: **«دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»**[2] .

فلو قتله رسول الله ﷺ لكان ذلك منفرًا للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبدالله بن أبي مسلم، ومن ثم سيقول الناس: إن محمدًا يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاسد، وتتعطل المصالح .

فظهرت حكمة النبي ﷺ وصبره على بعض المفاسد خوفًا من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولتقوى شوكة الإسلام، وقد أُمر بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

= أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٨/ ٦٤٨، ٦٥٢، وفي كتاب المناقب، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية ٦/ ٥٤٦، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوما ٤/ ١٩٩٨، وانظر: سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣٤.

(١) سورة المنافقون، الآية ٧.
والحديث في البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ ٨/ ٦٤٨، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/ ٢١٤٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾، ٨/ ٦٤٨، ٨/ ٦٥٢، ٦/ ٥٤٦، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوما ٤/ ١٩٩٨.

وقد ظهرت الحكمة لعمر بعد ذلك في عدم قتل عبدالله بن أُبيّ فقال: «قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»[1].

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم اقتداء بنبيهم ﷺ.

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ٤/ ١٨٥. وانظر: شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٣٩، وهذا الحبيب يا محبّ ص ٣٣٦.

المبحث الثاني : مواقف الصحابة رضي الله عنهم .

توطئة :

المطلب الأول : مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب الثاني : مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

المطلب الثالث : مواقف عثمان بن عفان رضي الله عنه .

المطلب الرابع : مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

المطلب الخامس : مواقف مصعب بن عمير رضي الله عنه .

المطلب السادس : موقف ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه .

المطلب السابع : موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه .

المطلب الثامن : موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما.

المطلب التاسع : مواقف جماعة من الصحابة رضي الله عنهم .

تــوطئــة :

كما كان للنبي ﷺ مواقف حكيمة، فإن للصحابة مواقف مشرفة، تزخر بالحكمة؛ لأنهم تلقوا الحكم العالية من النبي ﷺ.

وسأشير - إن شاء الله تعالى - إلى مواقف بعض الصحابة على سبيل المثال لا الحصر في المطالب التالية:

المطلب الأول : مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب الثاني : مواقف عمر بن الخطاب، الفاروق رضي الله عنه.

المطلب الثالث : مواقف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المطلب الرابع : مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المطلب الخامس : مواقف مصعب بن عمير رضي الله عنه.

المطلب السادس : موقف ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه.

المطلب السابع : موقف سعد بن معاذ رضى الله عنه.

المطلب الثامن : موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما.

المطلب التاسع : مواقف جماعة من الصحابة رضى الله عنهم.

المطلب الأول : من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

له - رضي الله عنه - مواقف حكيمة تدل على عظم شأنه وصدقه مع الله - عز وجل -، ومن هذه المواقف على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ - دفاعه عن النبي ﷺ والقيام بنصرته :

عن عروة بن الزبير - رضي الله عنه - قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾(١).

وهو أشجع الصحابة - رضي الله عنهم -، فقد رُوِيَ عن علي - رضي الله عنه - أنه خطب، فقال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين! قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس! قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر. إنه لما كان يوم بدر، جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع الرسول ﷺ لئلّا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلاّ أَهْوى إليه، فهذا أشجع الناس.

قال علي - رضي الله عنه -: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يجاده، وهذا يتلتله(٢)، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلـهًا

(١) سورة غافر، الآية ٢٨.

والحديث في البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٥، ٧/ ٢٢، ٨/ ٥٥٣، وتقدم تخريجه، ص ١٥٠.

(٢) يتلتله: يزعزعه ويزلزله. انظر: مختار الصحاح، مادة: تلل، ص ٣٣، والمعجم الوسيط ١/ ٨٧.

واحـدًا، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويُجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه، ثم بكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال علي: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم. ثم قال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[1].

٢ ـ تصديقه للنبي ﷺ والحرص على حمايته:

عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لما كذبني قريش قمت في الحجر، فجلَّى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**»[2].

وقد افتتن ناس كثير عقب الإسراء، فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له قصة الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، فقال أبو بكر: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء، فسُمّيَ بذلك الصديق[3].

---

(١) ذكره ابن كثير، وعزاه إلى البزار، انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٧٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٧: وفيه من لم أعرفه، ولكن لبعض هذا المتن شواهد في الأحاديث الصحيحة انظرها في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ٣/ ١٣٨٣، والبخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم ...﴾، ٧/ ٢٨٧، وكتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، ٧/ ٢٢، ٧/ ١٦٥، وانظر: حياة الصحابة للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي ١/ ٥٤٠، وحلية الأولياء ١/ ٣٢، وانظر: تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي ص ٣٧.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الاسراء ٧/ ١٩٦.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ١٩٩، وعزاه إلى البيهقي في الدلائل.

وقد كان ـ رضي الله عنه ـ يحرص على حماية النبي ﷺ أشد الحرص، فقد ذكر رجال على عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ، فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «**يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي، وساعة بين يدي؟**» **فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فقال:** «**يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟**» قال: نعم، والذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجحرة[1]، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر[2].

وعندما دخل أبو بكر الغار مع النبي ﷺ صار يخاف عليه من قريش حينما رآهم، فقال ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن فإن الله معنا**»[3].

---

(١) الجحرة: مفردها: جحر، وهو المكان الذي تحفره السباع والهوام لأنفسها. انظر: المعجم الوسيط، مادة (جحر) ١/ ١٨٠.

(٢) الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح لولا إرسال فيه ووافقه الذهبي ٣/ ٦، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ١٨٠، وعزاه إلى البيهقي، وانظر: حياة الصحابة ١/ ٣٣٩، وحلية الأولياء ١/ ٣٣.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ٧/ ٨، وكتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ٤/ ١٨٥٤.

ولهذا قال ﷺ : «إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخُوّةُ الإسلام ومودَّته»(١).

وقـال: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله ـ عز وجل ـ صاحبكم خليلاً»(٢).

٣ ـ إنفاقه ماله في سبيل الله تعالى:

عندما أسلم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كان من أثرى أثرياء قريش، فكانت عنده أموال كثيرة، وقد كان في منزله يوم أسلم أربعون ألف درهم أو دينار، فاستخدم أمواله كلها في طاعة الله، ومن ذلك ما يأتي:

(أ) إنفاق المال في إعتاق الرّقاب:

أعتق ـ رضي الله عنه ـ رقابًا كثيرة، حُفِظَ منهم سبع رقاب: بلال، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والهندية وبنتها، وكانتا لامرأة من بني عبدالدار، وجارية بني مؤمل، وأم عبيس، رضي الله عن الجميع.

وقد كانت هذه الرّقاب يُعذّب معظمها على إسلامها، فأنقذها الله بأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، وأخذ ـ رضي الله عنه ـ ينفق أمواله في خدمة الإسلام والمسلمين(٣).

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، ٧/ ١٢، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، ٤/ ١٨٥٤.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلاً، ٧/ ١٧، ومسلم واللفظ له، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، ٤/ ١٨٥٥.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٤٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٠، والبداية والنهاية ٣/ ٥٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨.

(ب) أخذه جميع ماله يوم الهجرة لإنفاقه على رسول الله ﷺ :

حمل الباقي من ماله عندما هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، ولم يبق لأهله شيئاً، فعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر معه ماله كله، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلاَّ يا أبت، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت: فأخذت أحجارًا فجعلتها في كوة[1] في البيت - كان أبي يجعل فيها ماله - ثم جعلت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يا أبت يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إن ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ، قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكن أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك»[2].

(جـ) تصدُّقه بماله كله في غزوة تبـوك :

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ : «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر - رضي الله عنه - بكل ما عنده، فقال له رسـول الله ﷺ : «**مـا أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً»[3].

---

(١) الكوة: ثقب في الحائط. انظر: القاموس المحيط، باب الواو، فصل الكاف، ص ١٧١٣.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٣٥٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٥٩: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وعزاه للطبراني أيضًا، وانظر أيضًا: البداية والنهاية ٣/ ١٧٩، وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص ٣٩، وحياة الصحابة للكاندهلوي ٢/ ١٦٤.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥/ ٦١٤، وقال: =

وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أولى الأمة بقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى. ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ. وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ. إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ. وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[1].

٤ ـ موقف أبي بكر عقب وفاة النبي ﷺ[2]:

أُصيب المسلمون يوم وفاة الرسول ﷺ بمصيبة عظيمة، وهزّة عنيفة، أفقدت الكثير منهم صوابهم، حتى أن عمر أنكر موت النبي ﷺ وخرج إلى الناس وخطبهم، وقال: والله ما مات رسول الله ﷺ وليبعثنه الله فليقطّعن أيدي رجال وأرجلهم.

وأقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يُكلّم الناس حتى دخل على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتِبَتْ عليك فقد متها[3]، ثم خرج أبو بكر ـ وعمر يُكّلم الناس ـ فقال: أيها الحالف على رِسْلِك، وقال: اجلس يا عمر،

هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في الزكاة، باب الرخصة في ذلك ـ أي الرخصة في إخراج المال كله ـ ٢/ ١٢٩، والدارمي في الزكاة، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ١/ ٣٢٩، والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ١/ ٤١٤، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٢.

(١) سورة الليل، الآيات ١٧ ـ ٢١.
وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٢.

(٢) انظر له مواقف حكيمة في البخاري مع الفتح في كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية ٧/ ١٤٩، وأبي نعيم في الحلية ١/ ٣١، وأحمد في الزهد بمعناه ص ١٦٤، وانظر: حياة الصحابة ٢/ ٦١١، ٦١٢، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ١/ ٣٠، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٤/ ١٧٢، برقم ٤٣٩٥، وانظر أيضًا: فتح الباري ٧/ ١٤، فقد ذكر لأبي بكر عجائب في الورع.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه ٣/ ١١٣، وكتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ٨/ ١٤٥.

فأبى عمر أن يجلس، فلما تكلم أبو بكر أقبل الناس إليه وتركوا عمر، فجلس عمر ـ رضي الله عنه ـ فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[2].

فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات.

وقال الراوي: فتلقاها الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، ونشج الناس يبكون»[3].

إن المصيبة عظيمة، والأمر كبير، والحادث جليل، والخلاف واقع؛ ولكن أبا بكر ـ رضي الله عنه بفضل الله تعالى ـ حل الخلاف، وألف بين القلوب وثبّتها، ولا يقدر على هذا إلا من أُوتيَ قلبًا ثابتًا، وشجاعة فائقةً، وعقلاً راجحًا، وحكمة بالغةً، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٣) انظر: البخاري مع الفتح، وقد صغت هذه الألفاظ من مواضع متفرقة منه، من كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه، ٣/ ١١٣، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلاً، ٧/ ١٩، وكتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ٨/ ١٤٥، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٤١، ٢٤٢، وحلية الأولياء ١/ ٢٩.

وفي اليوم الثاني ـ يوم الثلاثاء ـ خطب أبو بكر الناس، وبين لهم ما عليهم، وما لهم، فقام ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أيها الناس، فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فَقَوِّمُوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه[1] حقه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قطّ إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[2].

وقوله ـ رضي الله عنه ـ : ولِّيتُ عليكم ولست بخيركم: من باب التّواضع، وإلا فإن الصحابة كلهم مُجمِعُون على أنه أفضلهم وخيرهم، رضى الله عنهم أجمعين[3].

٥ ـ موقفه ـ رضي الله عنه ـ في إنفاذ جيش أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ:

ظهرت حكمة الصديق ـ رضي الله عنه ـ أثناء تنفيذ جيش أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ من عدة وجوه :

(أ) **تنفيذه بعث أسامة** ـ رضي الله عنه ـ على الرغم من شدة الأحوال ومعارضة بعض الصحابة، وذلك امتثالاً لأمر النبي ﷺ.

---

(١) والمعنى : حتى أَرُدَّ عليه حقه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب الراء مع الواو، ٢/ ٢٧٣.
وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٥٧، وفي البداية والنهاية قال: حتى أزيح علته إن شاء الله، ٥/ ٢٤٨.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٠، وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨، قال: وهذا إسناد صحيح.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨.

بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - في مرضه الذي توفي فيه[1]، وندب الناس إلى غزو الروم، وكان تجهيز جيش أسامة قبل وفاة النبي ﷺ بيومين، وكان ذلك يوم السبت، وقد كان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ، ثم اشتد به مرضه، فأمر بإنفاذ جيش أسامة، وتوفي ﷺ فَعَظُم الخطب، واشتد الحال، وظهر النفاق بالمدينة، وارتدت أحياء من العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من دفع الزكاة، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق؛ وثبتت ثقيف بالطائف على الإسلام لم يرتدوا.

وعندما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على أبي بكر الصديق ألَّا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جُهِّز بسببه في حال السلامة.

وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فامتنع الصديق من ذلك، وأَبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال كلمته العظيمة الحكيمة: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا والسّباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، لأُجَهِّزَنّ جيش أسامة، وأمر الحرس أن يكونوا حول المدينة.

(ب) **ثم إن بعض الناس** أشار على أبي بكر أن يولي أمر الجيش رجلاً أقدم سنًّا من أسامة؛ فغضب - رضي الله عنه - لذلك، لأن الرسول ﷺ هو الذي أَمَّرَ أسامة على هذا الجيش، فلا يريد - رضي الله عنه - أن يغير شيئًا فعله رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - ٨/ ١٥١، ١٥٢.

(جـ) وخرج أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يشيع الجيش ويودع أسامة وجيشه، وأبو بكر يسير على قدميه، وأسامة راكبًا. فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب، وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: والله لست براكب ولست بنازل، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

(د) واستأذن أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ من أسامة لعمر بن الخطاب، وقد كان عمر من ضمن الجنود في جيش أسامة، فَأَذِنَ أسامة لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عن الجميع ـ وأرضاهم.

فكان خروج أسامة إلى الروم بأرض الشام في ذلك الوقت من أكبر المصالح، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أُرعبوا منهم وأخذهم الخوف والفزع، وقالوا: ما خرج هؤلاء القوم إلا وبهم منعة شديدة، وسنتركهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، وبقوا أربعين يومًا ـ وقيل سبعين يومًا ـ ثم أتوا سالمين غانمين، وعندما رجعوا جهزهم أبو بكر مع الجيش لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة[1].

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف، وما أحكمه! فقد ظهرت حكمته وشجاعته وطاعته لرسول الله ﷺ، وهي سبب النصر والفلاح، وبتنفيذ هذا الجيش أدخل الله الرُّعب في قلوب المرتدين، واليهود، والنصارى، وهذا كله بفضل الله، ثم بامتثال أمر رسول الله ﷺ بإنفاذ جيش أسامة بن زيد ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

---

(١) انظر: تاريخ الإمام الطبري ٢/ ٢٤٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين ص ١٩، والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٤، ٣٠٥، وفتح الباري ٨/ ١٥٢، وتاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٧٤، وحياة الصحابة للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي ١/ ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٧، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٦٤.

(٢) سورة النور، الآية ٦٣.

وهذا مما يؤكد على كل مسلم أن يعتني بأمر رسول الله ﷺ ويبتعد عن نهيه، وذلك كله هو مدار السعادة والفلاح، والفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.

٦ ـ موقف أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ مع أهل الردة ومانعي الزكاة:

عندما توفي رسول الله ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من العرب، وظهر النفاق، وقد كان أهل الردة على قسمين:

القسم الأول: ارتدوا عن الدين، ونابذوا الملّة، وهذه الفرقة طائفتان:

(أ) **مُدّعُو النبوة وأتباعهم**.

(ب) **والطائفة الأخرى** ارتدوا عن الدين، وتركوا الصلاة والزكاة، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية.

القسم الثاني: هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، فأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها.

وهذا القسم هو الذي وقع فيه الخلاف، فثبت أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ، ثم وافقه جميع الصحابة على قتال جميع المرتدين ومانعي الزكاة[1].

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقّه، وحسابه على الله**»؟! فقال أبو بكر: والله لأُقَاتِلَنّ من فرّق بين

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١/ ٢٠٢، والبداية والنهاية ٦/ ٣١١، وتاريخ الإسلام للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٧، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٦٧.

الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عِقَالاً[١] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله ـ عز وجل ـ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[٢].

وفي رواية: أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: «والله لأُقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقاً[٣] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها...»[٤].

وفي هذا الموقف الحكيم لأبي بكر أدلّ دليل على شجاعته ـ رضي الله عنه ـ وتقدّمه في الشجاعة والعلم على غيره، فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم الذي هو أكبر نعمة أنعم الله ـ تعالى ـ بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ، واستنبط ـ رضي الله عنه ـ من العلم بحكمته، ودقيق نظره، ورصانة فكره، ما لم يُشاركه في الابتداء به غيره، فلهذا وغيره مما أكرمه الله به، أجمع أهل العلم بالحق على أنه أفضل أمة محمد ﷺ[٥].

---

(١) العِقال: هو الحبل الذي يعقل به البعير، والعَناق: هي السخلة من الغنم. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٢٨٠، ٣/ ٣١١.

(٢) مسلم بلفظه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١/ ٥١، والبخاري مع الفتح في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ٣/ ٢٦٢، ١٢/ ٢٧٥، ١٣/ ٢٥٠، ٣/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) انظر: هامش (١) من هذه الصفحة.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ٣/ ٢٦٢، ١٢/ ٢٧٥، ١٣/ ٢٥٠، ورواية العناق عند البخاري دون مسلم.

وما ذهب إليه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قد ثبت عن النبي ﷺ من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، حيث جاء فيه ذكر الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

وقد أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله... ١/ ٥٣، وأبو داود في كتاب الزكاة ٢/ ٩٣، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء بني الإسلام على خمس ٥/ ٣، والنسائي في الزكاة، باب عقوبة مانع الزكاة ٥/ ١٤.

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم ١/ ٢١١.

فرضي الله عن أبي بكر وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد خير الجزاء؛ فإنه قد قام بما يجب عليه نحوها، من ترسيخ معاني الإسلام في قلوب ونفوس وحياة أمة محمد ﷺ، وأمرها بالثّبات على دين الله الذي جاء به النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص، وطبق ذلك تطبيقًا عمليًا على نفسه، وعلى جميع من بايعه، وقاتل من أنكر شيئًا من ذلك، فقد أعزّ الله به الإسلام والمسلمين، وخذل به أعداء الله وأعداء الدين، ولهذا لم ينقص الدين في حياته كما قال ـ رضي الله عنه ـ لعمر بن الخطاب حينما أشكل عليه قتال مانعي الزكاة: إنه قد انقطع الوحي وتمّ الدّين، أفينقص وأنا حيٌّ؟ والله لأُقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، أليس قد قال رسول الله ﷺ: «**إلا بحقها**»، ومن حقها: إيتاء الزكاة، والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي»[1].

وصدق رضي الله عنه، فقد حفظ الله به الدين، ولم ينقص وهو حيّ، ولهذا كانت خلافته مليئة بالأعمال الجليلة التي تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها على الرغم من قصر مدة خلافته رضي الله عنه، فهي لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وهذا يدل على حكمة أبي بكر العظيمة ووعيه التام بالإسلام، وعزيمته الثابتة الراسخة كالجبال الرَّوَاسِي، وإيمانه الذي لو وُزِنَ وإيمان الأمة كلها[2] لرجح إيمان أبي بكر بإيمان أمة محمد ﷺ، ولهذا يعدّ ـ رضي الله عنه ـ هو الذي أرسى الدعائم بعد وفاة النبي ﷺ. وأثبت المفاهيم، فرضي الله عنه وأرضاه[3].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٥، ٢٤٦، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٦٨، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٧٥، وحياة الصحابة ١/ ٤٣٤.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٩.

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٦١.

المطلب الثاني : من مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لعمـر ـ رضي الله عنه ـ مواقف مشرفة حكيمة كثيرة جدًّا، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ ـ موقفه في إظهار إسلامه وهجرته :

عنـدما أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ على يد النبي ﷺ أراد أن يَعلم قريش بإسـلامـه، فسـأل عن أنقلهم للحديث، لينقل خبر إسلامه إلى قريش، فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، فذهب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى جميل، وقال له: أعلمت يا جميل أنّي قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ فقام جميل بن معمر يجر رداءه مُسرعًا حتى قام على باب المسجد، ثم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ، فقال عمر وهو واقف خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدًا عبده ورسوله ﷺ، فثار عليه قريش من أنديتهم حول باب الكعبة، وقاتلهم وقاتلوه، واستمر القتال بينهم وبينه في هذا الموقف حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وقد تعب عمر ـ رضي الله عنه ـ فقعد وقاموا على رأسـه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم، أو لتركتموها لنا، وبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلّة حبرة، وقميص مُوشّـح، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر، فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجل! قال عبدالله بن عمر: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه، قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك، ـ جزاه الله خيرًا؟ ـ قال:

يا بُنَيَّ ذاك العاص بن وائل ـ لا جزاه الله خيرًا ـ[1].

وبإسلام عمر وإظهاره إسلامه ـ رضي الله عنه ـ أعزّ الله به الإسلام، وفرّق به بين الحق والباطل، فسُمِّيَ الفاروق ـ رضي الله عنه ـ، وأظهر الصحابة صَلاتهم حول الكعبة، وقريش ينظرون إليهم[2].

قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر»[3].

وقال ـ رضي الله عنه ـ أيضًا: «كان إسلام عمر فتحًا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمةً، والله ما استطعنا أن نُصلّي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي»[4].

وقد كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يتعرّض لرؤوس الكفر، ويعلن أمامهم إسلامه، بل يذهب إلى بيوتهم ويطرق أبوابهم ليخبرهم بأنه قد أسلم، لعلّهم يقومُون بشيء ضدّه فيُصيبه ما يُصيب إخوانه المسلمين، ويستطيع في الوقت نفسه أن ينتقم من تلك الرؤوس، ولم يُرد عمر أن يكون هو في

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٠، والبداية والنهاية لابن كثير، وقال: هذا إسناد جيد قوي ٣/ ٨٢، وانظر بعض القصة في البخاري مع الفتح ٧/ ١٧٧، وانظر قصة إسلام عمر في البداية والنهاية ٣/ ٧٩/ ٨١، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٦٤-٣٧١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٩-١١٥، وفتح الباري ٧/ ٤٨، ومناقب عمر لابن الجوزي ص ١٢-١٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢١-١٢٥.

(٢) انظر: مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٨، ١٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٣-١١٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/ ٤٤.

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر ٧/ ٤١، ومناقب الأنصار ٧/ ١٧٧.

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ٧/ ٤٨، وعزاه إلى الطبراني وابن أبي شيبة، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١١٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح إلا أن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود، ٩/ ٦٢، وانظر: البداية والنهاية، ٣/ ٧٩.

نعمة وعافية وراحة، والمسلمون في إيذاء وتعذيب، فعندما أعلن إسلامه، وبدأت قريش تقاتله وثب على عتبة بن ربيعة فبرك عليه، وأدخل أصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحى الناس عن عمر، وقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى تراجع الناس عنه[1].

وعندما اشتد أذى المشركين على المسلمين، وأذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة، وابتدأت وفود المسلمين متجهة إلى المدينة وكلها مختفية في هجرتها وانتقالها، إلا هجرة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقد رُوِيَ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهمًا، وأتى الكعبة، وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم أتى حلقهم، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، فقال: شاهت الوجوه، من أراد أن تَثْكَله أمه وييتم ولده، وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد[2].

٢ ـ موقفه الحكيم في تثبيته الناس على بيعة أبي بكر رضي الله عنه:

عقب وفاة النبي ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلّم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلّم أبو بكر، فتكلّم أبلغ الناس، فقال

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢٥، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ٢/ ٢٢، ٢٣.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص ١١٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢٥، وأعلام المسلمين ٢/ ٢٥.

في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا، وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس»[1].

فرضي الله عن عمر وأرضاه، فإنه عندما ارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللَّغَطُ، وخشي عمر الاختلاف، ومن أخطر الأمور التي خشيها عمر أن يُبْدَأ بالبيعة لأحد الأنصار فتحدث الفتنة العظيمة؛ لأنه ليس من اليسير أن يبايع أحد بعد البدء بالبيعة لأحد الأنصار، فأسرع عمر ـ رضي الله عنه ـ إخمادًا للفتنة، فقال لأبي بكر: ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، وبايعه المهاجرون، ثم الأنصار[2].

وعندما كان يوم الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهده إليّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيُدَبّر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة[3].

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً ٧/ ٢٠.

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٣٢، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٣٩، والبداية والنهاية ٥/ ٢٤٦، ٦/ ٣٠١، وحياة الصحابة ٢/ ١١، وتاريخ الخلفاء ص ٥١.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٠، والبداية والنهاية ٥/ ٢٤٨، ٦/ ٣٠١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٥٧.

فكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يذود ويقوي، ويشجع الناس على بيعة أبي بكر حتى جمعهم الله عليه، وأنقذهم الله من الاختلاف والفرقة والفتنة.

فهذا الموقف الذي وقفه عمر مع الناس من أجل جمعهم على إمامة أبي بكر، موقف عظيم من أعظم مواقف الحكمة التي ينبغي أن تسجل بماء الذهب من مواقف عمر الحكيمة.

٣ ـ موقفه الحكيم في إصلاح الأهل قبل الناس:

كان عمر ـ رضي الله عنه ـ مع أهله قويًّا، فكان إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم ونجاحهم وفلاحهم، بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره، فعن سالم ابن عبدالله بن عمر، قال: «كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدًا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة»[1].

وهذا من أعظم مواقف الحكمة؛ لأن الناس ينظرون إلى الداعية ومدى تطبيقه العملي والقولي لما يدعو إليه، كما ينظرون إلى تطبيقه ذلك على أهله ومن تحت يده.

٤ ـ موقفه الحكيم في دعوته بتواضعه لله تعالى:

كان عمر ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ مع قوته في دين الله، وشجاعته، وشدته، على أعداء الله، وهيبة الناس له، وفرار الشياطين منه، كان مع

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري ٢/ ٦٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٣١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٤٠٤، وأعلام المسلمين للبيطار ٢/ ٥٤.

ذلك كلّه متواضعًا، وقَّافًا عند حدود الله، وقد كان يقول: أحبّ الناس إليّ من أهدى إليّ عيوبي[1]، ومن ذلك ما يلي:

(أ) **عندما مرّ بالجابية على طريق إيلياء** وجلس عندهم، قيل له: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئًا غير هذا - يعنون قميصه المرقع - وركبت برذونًا[2]، لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً.

ثم سار عمر من الجابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته، فأتوه ببرذون فجعل يهملج به، فقال لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علّم الله من علّمك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذونًا قبله ولا بعده[3].

(ب) **ولما قدم عمر بن الخطاب** - رضي الله عنه - الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره، ونزع خُفَّيه، وأمسكهما بيده، وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنعًا عظيمًا عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، فصك عمر في صدره، وقال: أَوَّه، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذلّ الناس، وأحقرَ الناس، وأقلّ الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تَطلُبوا العزة بغيره يُذلّكم الله[4].

---

(١) انظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٤، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٥٩.

(٢) البرذون: الدابة، ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال. انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الباء ص ١٥٢٢، والمعجم الوسيط، مادة: برذن ١/ ٤٨، ومختار الصحاح، مادة (برذن) ص ١٨.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٧/ ٥٧، ٧/ ٦٠، ٧/ ١٣٥، ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٠، ١٥١.

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٦٠، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٥٩، ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٠.

وله مواقف حكيمة في دعوته إلى الله ـ تعالى ـ، لا يتسع المقام لذكرها[1].

وهذه المواقف العظيمة يبين فيها للناس بقوله وفعله أن العزة والرفعة والتمكين لا تأتي عن طريق الكبر، والغطرسة، والإعجاب بالنفس أو الجاه أو السلطان، وإنما يأتي ذلك كله لمن تمسك بالإسلام، ولهذا قال لأبي عبيدة في الخبر السابق: «إنكم كنتم أذلّ الناس، وأحقرَ الناس، وأقلّ الناس، فأعزّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة من غيره يذلّكم الله».

رضي الله عن الفاروق وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد خيرَ الجزاء، فقد قام بالأعمال العظيمة، وسلك مسلك الحكمة التي من أُوتيها فقد أُوتيَ خيراً كثيراً، ونفّذ وصية رسول الله ﷺ في المشركين، من: يهود، ونصارى، ومجوس، وغيرهم من المشركين، حيث قال ﷺ قُبَيل موته: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»[2].

فطهَّر ـ رضي الله عنه ـ جزيرة العرب من المشركين، ولم يترك أحدًا منهم فيها، طبقًا لأمر رسول الله ﷺ.

---

(١) ومن حرصه على التواضع أنه كان يدرب نفسه عليه، ولذلك إذا أنكر نفسه أدبها وجازاها وخاطبها يخوفها بالله، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت مع عمر، فدخل حائطًا لحاجته فسمعته يقول: ـ وبيني وبينه جدار الحائط ـ: «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ بخ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب، أو ليعذبنك».

وقيل: إنه حمل قربة على عاتقه فقيل له في ذلك، فقال: إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها.

وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعًا إلى منزله، فيعاد أياما ليس به مرض إلا الخوف من الله ـ عز وجل ـ. انظر: البداية والنهاية ٧/ ١٣٥.

وانظر مواقف له أخرى في: تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٧، ٥٦٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٣٠، ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٦٩، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٥، وحياة الصحابة للعلامة الكاندهلوي ٢/ ٩٧.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٦/ ٢٧١.

المطلب الثالث : مواقف عثمان بن عفان رضي الله عنه :

لعثمان ـ رضي الله عنه ـ مواقف حكيمة كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ ـ إنفاقه الأموال العظيمة الكثيرة في سبيل الله تعالى

كان عثمان رضي الله عنه ـ من الأغنياء الذين أغناهم الله ـ عز وجل ـ، وكان صاحب تجارة وأموال طائلة؛ ولكنه استخدم هذه الأموال في طاعة الله ـ عز وجل ـ، ابتغاء مرضاته وما عنده، وصار سبّاقًا لكل خير، ينفق ولا يخشى الفقر.

ومما أنفقه ـ رضي الله عنه ـ من نفقاته الكثيرة على سبيل المثال ما يأتي :

(أ) **عندما قدم النبي ﷺ** المدينة المنورة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ : «**من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة**»[(١)].

وقال ﷺ : «**من حفر بئر رومة فله الجنة**»[(٢)].

وقد كانت رومة قبل قدوم النبي ﷺ المدينة لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبي ﷺ : «**تبيعنيها بعين في الجنة؟**» فقال: يا رسول الله! ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان ـ رضي الله عنه ـ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم،

---

(١) النسائي في كتاب الوصايا، باب وقف المساجد ٦/ ٢٣٥، وانظر: صحيح النسائي ٢/ ٧٦٦، وأخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه ٥/ ٦٢٧، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٩، وتحفة الأحوذي ١٠/ ١٩٦، وفتح الباري ٧/ ٥٤.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا، ٥/ ٤٠٧، ٧/ ٥٢، ٨/ ١١١، وانظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥١.

ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: «نعم»، قال: قد جعلتها للمسلمين[1].

وقيل: كانت رومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها، فاشتراها عثمان ابن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل[2].

(ب) بعد أن بنى رسول الله ﷺ مسجده في المدينة فصار المسلمون يجتمعون فيه ليصلوا الصلوات الخمس، ويحضروا خطب النبي ﷺ التي يُصدر إليهم فيها أوامره ونواهيه، ويتعلمون في المسجد أمور دينهم، وينطلقون منه إلى الغزوات ثم يعودون بعدها، ولذلك ضاق المسجد بالناس، فرغب النبي ﷺ من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد، لكي تزاد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال ﷺ: **«من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟»**، فاشتراها عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ من صلب ماله[3] بخمسة وعشرين ألف درهم، أو بعشرين ألفًا، ثم أضيفت للمسجد[4].

ووسع على المسلمين رضي الله عنه وأرضاه[5].

(جـ) عندما أراد رسول الله ﷺ الرحيل إلى غزوة تبوك حثّ الصحابة الأغنياء على البذل لتجهيز جيش العسرة الذي أعده رسول الله ﷺ لغزو

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري ٥/ ٤٠٧، وعزاه بسنده إلى البغوي في الصحابة، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ١٠/ ١٩٦.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ١٠/ ١٩٠، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ٣/ ٣٩، وفتح الباري ٥/ ٤٠٨.

(٣) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه ٥/ ٦٢٧، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٩، وأخرجه النسائي، كتاب الوصايا، باب وقف المساجد ٦/ ٢٣٥.

(٤) النسائي، كتاب الوصايا، باب وقف المساجد ٦/ ٢٣٤، وانظر: صحيح النسائي ٢/ ٧٦٦.

(٥) انظر: فتح الباري ٥/ ٤٠٨، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ٣/ ٤١.

الروم، فأنفق أهل الأموال من صحابة رسول الله ﷺ كل على حسب طاقته وجهده.

أما عثمان بن عفان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فقد ثبت أنه أنفق في هذه الغزوة ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجاء بألف دينار فنثرها في حجر النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ، يُقلّبها في حجره ويقول: «**ما ضرّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم**» قالها مراراً(١).

وهذه نفقة عظيمة جدًّا تدلّ على صدق عثمان وقوة إيمانه، ورغبته فيما عند الله ـ تعالى ـ، وإيثار الآخرة على الدنيا، ـ فرضي الله عنه وأرضاه ـ، فقد حصل على الثواب العظيم والجزاء الذي ليس بعده جزاء: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**»(٢).

٢ ـ موقفه العظيم في جمع الأمة على قراءة واحدة، وحسم الاختلاف:

كان من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها عثمان جمع شمل أمة محمد ﷺ على قراءة واحدة، فقد كان من مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة، أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة ابن اليمان كان في غزوة أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان، مع أهل العراق، وقد اجتمع في هذه الغزوة خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على

---

(١) الترمذي، في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه ٥/ ٦٢٦، والحاكم ـ واللفظ له ـ وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ١٠٢، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٥٤، ٥/ ٤٠٨، ٨/ ١١١، وسيرة ابن هشام ٤/ ١٧٢، والبداية والنهاية ٥/ ٤، ٧/ ٢٠١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥١، وحياة الصحابة ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٨، ٢١٠، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٢٢٣، ٢/ ٣٥٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا، ٥/ ٤٠٧، وتقدم تخريجه، وانظر البداية والنهاية ٧/ ٢٠١.

قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وأُبيّ بن كعب، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على عبدالله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خَطَّأَ الآخر أو كَفَّره، فأدّى ذلك إلى اختلاف شديد وانتشار في الكلام السّيئ بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كفّ المنازعة، ودفع الاختلاف، فأرسل عثمان إلى حفصة - رضي الله عنها - يستدعي بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين.

وعندما جاءت الصحف أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق من الآفاق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1].

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٩/ ١٠، ١١، وكتاب التفسير، باب ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾، ٨/ ٣٤٤، والبداية والنهاية ٧/ ٢١٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٧.

وكانت المصاحف الأئمة سبعة كالتالي:

أرسل مصحفًا إلى مكة، ومصحفًا إلى الشام، ومصحفًا إلى اليمن، ومصحفًا إلى البحرين، ومصحفًا إلى البصرة، ومصحفًا إلى الكوفة، وأقر بالمدينة مصحفًا، وهذه المصاحف كلها بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمر عثمان وزمانه وإمارته، وحرق ما سوى هذه المصاحف مما بأيدي الناس مما يخالف هذه المصاحف السبعة، وأجمع الصحابة على ذلك عند الشورى بالرسم، وعند التلقي فاجتمع شمل الأمة على هذه المصاحف ولله الحمد والمنّة[1].

فحصل الاجتماع والائتلاف، وزال الاختلاف والفرقة، واجتمعت القلوب بفضل الله ـ تعالى ـ، ثم بفضل حكمة عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١٧، وفتح الباري ٩/ ٢٠.

والفرق بين جمع أبي بكر، وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حَمَلَتِهِ؛ لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من الفتنة والهلاك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد.

انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/ ٢١، وتاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي ص ٧٧.

المطلب الرابع : مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ابن عم النبي ﷺ، هو أول من أسلم من الصبيان، كما أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، فكان علي ـ رضي الله عنه ـ من السابقين الأولين إلى الإسلام، وله مواقف كثيرة مُشرِّفة يعتز بها كل مسلم، ويرتفع رأسه بذلك، ولا يتّسع المقام لذكرها، وسأقتصر على أربعة مواقف من مواقفه ـ رضي الله عنه ـ البطولية الحكيمة، التي وقفها ـ رضي الله عنه ـ ابتغاء مرضات الله ـ تعالى ـ والدار الآخرة، وهذه المواقف كالتالي[1] :

١ ـ موقفه رضي الله عنه في تقديم نفسه فداء للنبي ﷺ ودعوته :

عندما اجتمع قريشٌ في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ والتخلص منه، **أعلم الله نبيه** ﷺ بذلك، وكان النبي ﷺ أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر علي بن أبي طالب الشاب البطل أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله ﷺ والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربّصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يُفرِّقون بينه وبين رسول الله ﷺ في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشجعانهم بفضل الله ـ تعالى ـ، فرضي الله عن علي وأرضاه .

وقد أمره النبي ﷺ أن يُقيم بمكة أيامًا حتى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة[2] .

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٢٣ .

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٦ .

٢ ـ موقفه في بدر مع رؤوس الكفر:

عندما تراجع غزوات النبي ﷺ الكبيرة يوجد ذكر علي بن أبي طالب مقرونًا بها، فتارة يحمل اللواء، وتارة يفرق جموع الأعداء، وتارة يفتح الحصون المستعصية ويهدم الأصنام، فهو بطل معلم.

عندما تواجه الجيشان في معركة بدر الكبرى، والتقى الفريقان، وحضر الخصمان بين يدي الرحمن، واستغاث بربه سيد الأنبياء، وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء، وكاشف البلاء، وقبل اشتباك المعركة والتحامها خرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة ـ يريد أن يظهر شجاعته ـ فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصّفين دعوا إلى البراز، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عوف بن الحارث، ومعوذ بن الحارث ـ ابنا عفراء ـ وعبدالله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم من حاجة، ونادى مناديهم: يا محمد، أَخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقيل: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما دنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا أكفاء كرام، فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ـ عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فقتل علي الوليد فورًا، وقتل حمزة شيبة في الحال، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، فَكَرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فأكملا قتله، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما ـ رضي الله عنهم ـ .

وكان ذلك ـ بإذن الله تعالى ـ بداية النصر وتشجيع المسلمين، وخذلان ورعب في قلوب المشركين[1].

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٧٢، ٢٧٣ بتصرف، وفتح الباري ٧/ ٢٩٩، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٧٩، وقصة المبارزة أخرجها أحمد ١/ ١١٧، وأبو داود ٣/ ٥٢ برقم ٢٦٦٥ في الجهاد، باب المبارزة من حديث علي، وإسناده قوي، وانظر: صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٥٠٧.

روى البخاري عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: «أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1].

قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وشيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة»[2].

فرضي الله عن جميع الصحابة وأرضاهم، فإنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[3].

٣ـ موقف علي رضي الله عنه في يوم الأحزاب (يوم الخندق):

في سنة خمس من الهجرة كانت غزوة الخندق في شهر شوال.

وكان سبب هذه الغزوة أن جماعة من اليهود خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فتعاهدوا على حرب النبي ﷺ، ثم خرج هؤلاء الجماعة من اليهود حتى جاءوا قبائل غطفان فدعوهم لذلك فأجابوهم ثم طافوا في قبائل العرب فاستجاب لهم من استجاب، ونقضت بنو قريظة العهد امتثالاً لأمر حيي بن أخطب عندما حرض كعب بن أسد القرظي على رسول الله ﷺ، ولما سمع رسول الله ﷺ بهم وبما أجمعوا عليه من الأمر

(١) سورة الحج، الآية ١٩. وانظر: البخاري مع الفتح ٧/ ٩٦.
(٢) البخاري مع الفتح، في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل ٧/ ٢٩٦، ٢٩٧، وفي كتاب التفسير، باب هذان خصمان اختصموا في ربهم ٩/ ٤٤٣، وانظر أيضاً: البداية والنهاية ٣/ ٢٧٣، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٦٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

ضرب الخندق على المدينة بمشورة سلمان الفارسي فحفروا الخندق بينهم وبين العدو، وجعلوا جبل سلع من خلف ظهورهم، وقد صار المحاربون لرسول الله ﷺ خمسة أصناف هم: المشركون من أهل مكة، والمشركون من قبائل العرب، واليهود من خارج المدينة، وبنو قريظة، والمنافقون، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف، والمسلمون مع النبي ﷺ ثلاثة آلاف، وقد حاصروا النبي ﷺ شهرًا، ولم يكن بينهم قتال، لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد وُدٍّ العامري أقبلوا فجالت بهم خيولهم، فنظروا إلى مكان ضيق من الخندق فاقتحموه، ثم جالت بهم خيولهم في السبخة بين الخندق وسلع، ودعوا إلى البراز[1].

وهذا هو موضع الشاهد لموقف علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :

قال عمرو بن عبد ودّ في هذا الموقف: من يُبارز؟ فقام علي بن أبي طالب، فقال: أنا لها يا رسول الله! فقال: «**إنه عمرو، اجلس**»، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنّبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إلي رجلًا؟ فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله! فقال: «**اجلس**» ثم نادى الثالثة. . . فقام علي ـ رضي الله عنه ـ، فقال: يا رسول الله أنا، فقال: «**إنه عمرو**، فقال: وإن كان عمرًا! فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه عليّ حتى أتى إليه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، وقال علي: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٢٦٩-٢٧٦، وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٩-٢٥٢، والبداية والنهاية ٤/ ٩٢-١١٦.

بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النّزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك. قال له علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي وسل سيفه كأنه شعلة نار، فاستقبله علي بالترس، فشق السيف الترس، فضربه علي على حبل عاتقه، فسقط وثار الغبار، وسمع المسلمون التكبير، فعرفوا أن عليًّا قتله.

وقال علي رضي الله عنه:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصوابي
فصدرت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي

وبعد هذه المبارزة انهزم الباقون، وخرجت خيولهم حتى اقتحمت الخندق[1].

وهكذا ظهرت الشجاعة العظيمة الحكيمة، ومن عظم هذه الحكمة أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ دعا عمرًا إلى الله فأبى ذلك، فدعاه إلى النزال فنزل، فقتله رضي الله عنه، فكان ذلك من أسباب نصر المسلمين بإذن الله تعالى[2].

فظهرت حكمة علي ـ رضي الله عنه ـ في هذا الموقف من عدّة وجوه، منها:

(أ) استئذانه النبي ﷺ في المبارزة.

(ب) تذكيره لعمرو بن عبد ودّ ما عاهد عليه الله من قبول ما يعرض عليه من الخصال من قريش.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٤/ ١٠٦، وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٠، وزاد المعاد ٣/ ٢٧٢، وانظر أيضًا شجاعة علي ـ رضي الله عنه ـ في حياة الصحابة للعلامة الكاندهلوي ١/ ٥٤١-٥٤٦.

(٢) انظر: غزوة الخندق كاملة في زاد المعاد ٣/ ٢٦٩-٢٧٦، وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٩-٢٥٢، والبداية والنهاية ٤/ ٩٢-١١٦.

(جـ) وعند إقرار عمرو بما عاهد اتخذ علي ذلك مدخلاً، فقال: إني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

(د) وعندما امتنع من قبول هذه الدعوة دعاه إلى النزال، فلم ينزل فاستفزه ليغضبه، فلما نزل قتله رضي الله عنه، فانهزم المشركون بفضل الله، ثم بدخول الرعب في قلوبهم بهذا الموقف الحكيم.

٤ ـ موقف علي رضي الله عنه في غزوة خيبر:

في السنة السابعة للهجرة سار رسول الله ﷺ إلى خيبر، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يقربهم حتى يُصبح، فلما أصبح صبح خيبر بكرة، فخرج أهلها بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[1].

وعندما رأى أهل خيبر الجيش رجعوا هاربين إلى حصونهم، وخرج ملكهم مَرْحَب يرفع سيفه مرة ويضعه أخرى، ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع، فقال:

قد علمت خيبر أني عامر   شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يضربه من أسفله، فرجع سيفه على نفسه فمات شهيدًا[2].

(١) البخاري مع الفتح، المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٦٧، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر ٣/ ١٤٢٧، وانظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٣١٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، من حديث سلمة بن الأكوع ٣/ ١٤٤٠، ١٤٤١، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٣١٩.

ثم قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: **«لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»**، فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبحَ الناسُ غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب؟»** قيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: **«فأرسلوا إليه»**، فأُتيَ به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»**[2].

وبدأ علي ـ رضي الله عنه ـ وأخذ الراية، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة[3] كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندرة[4]

---

(١) يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون في ذلك. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٧٨.

(٢) البخاري مع الفتح، في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٧٦، وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي ٧/ ٧٠، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ٤/ ١٨٧١، ٣/ ١٤٤١.

(٣) حيدرة: اسم للأسد، وكان علي ـ رضي الله عنه ـ قد سمي أسدًا في أول ولادته، وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسدًا يقتله، فذكّره علي بذلك ليخيفه ويضعف نفسه. شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ١٨٥.

(٤) معناه: أقتل الأعداء قتلًا واسعًا ذريعًا، وقيل: السندرة: مكيال واسع. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ١٨٥.

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه[1].

فرضي الله عن علي وأرضاه، فقد قام بهذه البطولة النادرة بعد حصار النبي ﷺ لأهل خيبر قريبًا من عشرين يومًا، ثم يسّر الله فتحها على يد علي ـ رضي الله عنه ـ، فخرج الناس من حصونهم يسعون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة، وسبى الذّرية، وكان في السبي صفية، ثم صارت إلى النبي ﷺ فأعتقها، وجعل عتقها صداقها، فأصبحت أُمًّا للمؤمنين[2].

وعلي ـ رضي الله عنه ـ له مواقف أخرى كثيرة، تظهر فيها الحكمة العظيمة، ولكن المقامَ لا يتّسع إلا لما ذكر من المواقف السابقة، وهكذا يفعل من يرجو الله واليوم والآخر، فإن الإنسان إذا كان همّه لله، وقلبه معلّق بالله، عمل كل ما يُحبّه مولاه تبارك وتعالى.

وقد ظهرت حكمة علي ـ رضي الله عنه ـ في هذا الموقف من عدّة وجوه، منها:

(أ) **قوله**: «أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟»؛ فإنه ـ رضي الله عنه ـ استفسر من النبي ﷺ قبل القتال، إلى أي مدى يستمر القتال، وهذا من أعظم الحكمة؛ لأن الداعية لابد له من وضوح الهدف والغاية، وأن يكون على بصيرة من أمره.

(ب) **وقوله**: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة»، وهذا فيه تذكير لمرحب؛ لأنه قد رأى في المنام أن أسدًا يقتله، فذكّره علي ـ رضي الله عنه ـ بذلك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها مطولا ٣/ ١٤٤١، وانظر: زاد المعاد ٣/ ٣٢١، وحياة الصحابة ١/ ٥٤٤.

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٦٩، وانظر: البداية والنهاية ٤/ ١٨١-١٩١، وابن هشام ٣/ ٣٧٨-٣٨٨، وانظر: ترجمة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كاملة في الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥٠٧-٥١٠، والبداية والنهاية ٧/ ٢٢٢-٢٢٤، وانظر: شجاعة علي أيضًا في حياة الصحابة للكاندهلوي ١/ ٥٤١-٥٤٦.

ليخيفه ويضعف نفسه، حتى يستولي على قتله.

(جـ) **وقوله**: «أوفيهم بالصاع كيل السندرة»، هذا فيه إرهاب وإخبار لمرحب أن علي بن أبي طالب يقتل الأعداء قتلاً واسعًا ذريعًا.

(د) **ثم ختم هذه الحكم بقتل مرحب، فهزم الله به الأعداء**، ونصر المسلمين عليهم نصرًا مُؤزّرًا، فله الحمد أولاً وآخرًا.

المطلب الخامس : مواقف مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ :

بعد بيعة العقبة الأولى في سنة إحدى عشرة من البعثة أرسل رسول الله ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول داعية وأول سفير في يثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين المشركين.

واختار رسول الله ﷺ لهذا العمل العظيم مصعب بن عمير العبدري رضى الله عنه .

وعندما وصل مصعب إلى يثرب نزل على أسعد بن زرارة، ابن خالة سعد بن معاذ، وأخذ مصعب يؤدي مهمته في الدعوة إلى الله تعالى .

ومن أروع ما يُروَى من نجاحه وحكمته في الدعوة أن أسعد بن زرارة خرج به يومًا إلى دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، فدخل به حائط بني ظفر على بئر يقال لها: بئر مرق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فسمع بهما أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وهما يومئذ سيدا بني عبد الأشهل، وكانا مشركين، فقال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا، ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته، وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، فقال مصعب: إن يجلس أكلّمه.

وجاء أسيد فوقف عليهما مُتَشَتِّمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا، تُسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما.

فكلّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لعرفنا في

وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا هذا الدين؟ قالا له: تغتسل، وتُطهّر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تُصلي، فقام واغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن يتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، واحتال أسيد على سعد من أجل أن يذهب إلى مصعب؛ لكي يحدث له ما حدث له، فقام سعد بن معاذ مغضبًا وأخذ الحربة، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتمًا لهما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب: جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك ما تخلّف عنك منهم اثنان.

قال مصعب لسعد: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن. قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم؛ لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائدًا

إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبدالأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة.

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية، وخطمة، ووائل، وواقف، وهم من الأوس بن حارثة، فإنهم أطاعوا أبا قيس الشاعر، وهو ابن الأسلت، واسمه صيفي، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق[1].

وهذه الاستجابة العظيمة بفضل الله ثم بفضل مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ، فقد ضُرِبَ به المثل في حكمته وحُسن دعوته وصبره وحلمه ورفقه وأناته عند سماع التهديد من قبل أسيد وسعد ـ رضي الله عنهم ـ، فأثر هذا الموقف الحكيم عليهما وأسلما، وأسلم ـ بفضل الله ثم بإسلامهما ـ هذا الجمع الغفير في يوم واحد، فرضي الله عن مصعب، ورضي عن صاحبه أسعد، فقد أنقذ الله بهما مدينة كاملة، ولله الحمد والمنةُ.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٥٢، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٣، والرحيق المختوم ص ١٤٠، وهذا الحبيب يا محب ص ١٤٥، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٢١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ١٤٥، وحياة الصحابة للعلامة الكاندهلوي ١/ ١٨٧-١٨٩.

المطلب السادس: موقف ضمام بن ثعلبة مع قبيلة بني سعد:

بعث بنو سعد ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله ﷺ فقدم المدينة، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام جلدًا، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم محمد؟ فقال الصحابة: هذا الرجل الأبيض المتكيء، فقال له الرجل: ابن عبدالمطلب، فقال النبي ﷺ: «**قد أجبتك**»، فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمُشدّد عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك. فقال: «**سل عما بدا لك**». فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: «**صدق**». قال: فمن خلق السماء؟ قال: «**الله**». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «**الله**». قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «**الله**». قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: «**نعم**». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «**صدق**». قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**». قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا. قال: «**صدق**». قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**». قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال: «**صدق**». قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: «**صدق**». قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**». ثم ولّى، وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: «**لئن صدق ليدخلن الجنة**»[1].

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح في كتاب العلم، باب ما جاء في العلم ١/١٤٨، ومسلم في كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام ١/٤١، وأحمد في المسند ٣/١٤٣، ٣/١٩٣، والألفاظ من هذه المواضع كلها.

فأتى ضمام بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلّم به أن قال: بئست اللات والعزى. فقالوا: مه ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون. فقال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه.

قال الراوي: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلمًا، وما سُمِعَ بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[1].

وهذا يدل على حكمة ضمام بن ثعلبة، فإنه سأل النبي ﷺ أولاً عن صانع المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولاً لخالق هذه المخلوقات، ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله.

وهذا ترتيب يحتاج إلى حكمة عظيمة، وعقل رصين، وهو من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقه وترتيبه[2].

ولم يقتصر على هذا، بل جاء بأمر آخر يدل على حكمته وصدقه في قوله، فإنه عرض على قومه الإسلام، وبين لهم بطلان اللات والعزى، وأنهما لا يضران ولا ينفعان، وغرس الإيمان في قلوبهم بأن الله هو الضارّ النافع، وأن ما سواه عاجزٌ عن ذلك، وحمل إليهم جميع ما سمع من رسول الله ﷺ، فأسلموا في لحظة واحدة قبل الليل.

وهـذا يدّل على حكمـة ضمام في دعـوته قومه إلى الله ـ تعالى ـ، فقد استخدم معهم هذا الموقف الحكيم وهذا الأسلوب الناجح المسدّد، وهذا فضل عظيم لضمام ولمن وفقه الله بالدعوة إلى الله بالحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً.

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥/ ٦٠، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢١٠.

(٢) انظر: شرح مسلم على النووي ١/ ١٧٠، وفتح الباري ١/ ١٤٩.

المطلب السابع : موقف سعد بن معاذ في حكمه في بني قريظة :

كانت بنو قريظة أشدّ اليهود عداوة لرسول الله ﷺ، وقد نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، وتحزّبوا مع الأحزاب، ونالوا من رسول الله ﷺ بالسبّ ونقض العهد.

وبعد أن هُزِمَ الأحزاب رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل **عليه السلام** ـ وهو ينفض رأسه من الغبار ـ فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعته، اخرج إليهم، فقال النبي ﷺ: **فأين؟** فأشار إلى بني قريظة[1].

فخرج إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، وهم في حصونهم، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فقامت إليه الأوس، فقالوا: يا رسول الله! قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم، فقال: «**ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟**» قالوا: بلى. قال: «**فذلك إلى سعد بن معاذ**». قالوا: قد رضينا. فأرسل إلى سعد بن معاذ[2]، وكان في المدينة لم يخرج معهم لجرح كان قد أُصيب به يوم الخندق، رماه رجل من قريش في الأكحل، فضرب النبي ﷺ له خيمة في المسجد ليعوده من قريب»[3].

وقد قال سعد عندما أصيب بالجرح: «اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها؛ فإنه لا قوم أحبّ إلي من أن أجاهدهم فيك، آذوا

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤١١.

(٢) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٣٤.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤١١، وانظر ترجمة سعد بن معاذ في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٩.

نبيك وكذبوه وأخرجوه، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة»[1].

ووصل من أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فأُركِبَ على حمار، وجاء إلى رسول الله ﷺ، وجعل بعض الأوس يقول لسعد وهو في طريقه إلى رسول الله ﷺ: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاّك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**» فلما أنزلوه، قالوا: يا سعد، إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من هٰهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجْلالاً له. فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**». قال سعد: فإني أحكم فيهم: أن تُقْتَل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»[2].

فلما حكم فيهم بذلك أمر رسول الله ﷺ بقتل كل من جرت عليه الموسى منهم، ومن لم ينبت ألحق بالذرية[3]، فحفر لهم خنادق في سوق

---

(١) سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق، ورجاله ثقات ٣/ ٢٤٤، وأحمد ٦/ ١٤١، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٢٨٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٥٩، وفي البخاري مع الفتح في كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤١١، قال: «قضيت فيهم بحكم الله . . .» ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهله للحكم، ٣/ ١٣٨٩.

(٣) أبو داود، كتاب الحدود، باب الغلام يصيب الحد، ٤/ ١٤١، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في النزول على الحكم، ٤/ ١٤٥، والنسائي، كتاب الطلاق، باب متى يقع طلاق الصبي، ٦/ ١٥٥، وابن ماجه، كتاب الحدود، باب من لا يجب عليه الحد، ٢/ ٨٤٩، وسنده حسن.

المدينة، وضربت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة[1].

وقد سأل الله سعد الشهادة إن كان الله قد وضع الحرب بين النبي ﷺ وبين قريش، وانفجر جرحه ـ رضي الله عنه ـ ومات شهيدًا[2].

الله أكبر! ما أعظم هذا الرجل وما أحكمه! فقد رَغِبَ في الشهادة، ولكنه سأل الله أن يبقيه إن كان الله لم يضع الحرب بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وكذلك سأل الله ـ عز وجل ـ أن لا يميته حتى يقرّ عينه من بني قريظة، فاستجاب الله له، وجعله الذي يحكم فيهم بحكمه، وعندما قال له بعض الأوس: أحسن في مواليك يا أبا عمرو، قال كلمته الحكيمة: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

وصدق ـ رضي الله عنهُ ـ، فقد حكم فيهم بحكم الله ـ تعالى ـ فقُتِلُوا، وأمكن الله المسلمين من أموالهم ونسائهم وذراريهم، فكان ذلك فتحًا ونصرًا للمسلمين على أعداء الله ورسوله، فرضي الله عنه وأرضاه.

ومن فضل الله عليه أن منّ عليه بالشهادة، وقال النبي ﷺ يوم موته: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**»[3].

وقد ظهرت حكمته ـ رضي الله عنه ـ في هذا الموقف الحكيم في النقاط التالية:

١ ـ رغبته في نصرة رسول الله ﷺ وجهاد أعداء الله تعالى.

٢ ـ ردّه الحكيم المسدّد على قومه عندما راجعوه في بني قريظة.

---

(١) زاد المعاد ٣/ ١٣٥، وانظر: سيرة ابن هشام ٣/ ٢٥٩، والبداية والنهاية ٤/ ١٢٢، وفتح الباري ٧/ ٤١٤، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/ ١١٤.

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤١٢.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، مناقب سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ ٧/ ١٢٣، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه ٤/ ١٩١٥.

٣ ـ أخذه عهد الله وميثاقه على قومه أن يقبلوا حكمه، وهذا مما يضبطهم ويحل الأزمة.

٤ ـ إعراضه عن رسول الله ﷺ عند أخذ العهد إجلالاً له وإكرامًا.

٥ ـ حكمه بحكم الله من فوق سبع سماوات، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بإنفاذه، ـ فرضي الله عنه وأرضاه ـ، فقد أعز الله بحكمته المسلمين وأذل الكافرين.

المطلب الثامن: موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما:

الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - ابن بنت رسول الله ﷺ، وهو أحد علماء الصحابة وحلمائهم، وذوي رأيهم، وسيد المسلمين[1]، وهو حبيب رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال لحَسنٍ: «**اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبب من يحبه**»[2].

وقال أبو بكرة - رضي الله عنه - رأيت رسول الله ﷺ على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[3].

وقد تحقّق ما قاله رسول الله ﷺ، فإنه عندما قُتِلَ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبايع الناس الحسن بن علي - رضي الله عنهما -، وكانت كتائب الحسن كالجبال - كما ذكره البخاري في صحيحه[4] - فأراد الحسن أن يحقن دماء المسلمين، ويجمعهم على إمام واحد يلم شملهم، فتنازل لمعاوية ابن أبي سفيان، خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين[5] - رضي الله عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين - فكان هذا الموقف الذي وقفه الحسن من أعظم مواقف الحكمة، ومن أبرز الأدلة الواضحة على زهد الحسن في

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٦.

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق ٤/ ٣٣٩، ومسلم، واللفظ له، في كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل الحسن والحسين ٤/ ١٨٨٢.

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي - رضي الله عنهما - إن ابني هذا سيد ٥/ ٣٠٧، ٦/ ٦٢٨، ٧/ ٩٤، ١٣/ ٦١، ولفظه من كتاب الصلح.

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن: إن ابني هذا سيد ٥/ ٣٠٦.

(٥) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٢٠، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤.

الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء أمة محمد ﷺ، فقد ترك الخلافة والملك، لا لِقِلَّةٍ ولا لذلةٍ، ولا لعلةٍ، بل لرغبته فيما عند الله؛ لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[1].

وسمي هذا العام الذي تنازل الحسن ـ رضي الله عنه ـ فيه لمعاوية: عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية رضي الله عنهما[2].

والمقصود أن موقف الحسن موقف حكيم عظيم سديد؛ لأنه حقن به دماء وأموال وأعراض أمة محمد ﷺ.

فرضي الله عنه وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٦٦.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٨/ ١٦.

المطلب التاسع : مواقف جماعة من الصحابة :

الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لهم مواقف كثيرة جدًّا لا يستطيع أحد أن يحصرها؛ لأنهم ـ رضي الله عنهم ـ باعوا أنفسهم، وأموالهم وحياتهم لله، ابتغاء مرضاته، وخوفًا من عقابه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة.

ومن درس حياتهم، ونظر إلى تطبيقهم للإسلام قولاً، وعملاً، واعتقادًا ازداد إيمانه، وأحبهم؛ فيحصل له بذلك محبة الله تعالى.

١ ـ فهذا بلال بن رباح ـ رضي الله عنه ـ كان يعذبه أمية بن خلف على توحيده وإيمانه بالله ـ تعالى ـ. وقد عذبه أشد العذاب، ومن ذلك أن أمية كان يُخرجُ بلالاً إذا حميت الشمس في الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحدٌ أَحدٌ، فمر به أبو بكر فاشتراه. وهذه الكلمة التي زعزعت كيان أمية بن خلف[١].

٢ ـ وهذا عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سُميّة ـ رضي الله عنهم ـ يُعذبون أشدّ العذاب من أجل إيمانهم بالله ـ تعالى ـ، فلم يردهم ذلك العذاب عن دينهم، لأنهم صدقوا مع الله فصدقهم الله ـ تعالى ـ ولهذا قيل لهم: «**صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»[٢] فرضي الله عنهم وأرضاهم[٣].

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٦٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٤٧.

(٢) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ٣٨٨ وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٩٣، وقال رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبدالعزيز المقوم وانظر الإصابة ٢/ ٥١٢.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠٦ والإصابة ٢/ ٥١٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢.

٣ ـ **وهذا صُهيب الرومي** ـ رضي الله عنه ـ أراد الهجرة فمنعه كفار قريش أن يُهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرّد من ماله كله ويدفعه إليهم تركوه وما أراد، فأعطاهم ماله ونجى بدينه مهاجرًا إلى الله ورسوله وأنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له: ربح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية[2].

٤ ـ **وهذا عبدالله بن عبد الأسد أبو سلمة وزوجته أم سلمة** ـ رضي الله عنهما ـ يصبران على البلاء العظيم ويقفان الموقف الحكيم الذي يدل على صدقهما مع الله[3].

كان أبو سلمة أول من هاجر من مكة إلى المدينة، قبل العقبة الثانية بسنة تقريبًا.

بعد أن رجع أبو سلمة وزوجته أم سلمة من الهجرة إلى الحبشة آذته قريش، وعلم بإسلام من أسلم من الأنصار، فقرر الهجرة إلى المدينة ـ فرارًا بدينه ـ فحمل زوجته أم سلمة، وابنه سلمة وقاد بهما راحلته وخرج متجهًا إلى المدينة وقبل أن يخرج من مكة لحقه رجال من بني مخزوم فقالوا له: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيتك صاحبتك هذه عَلامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوا الراحلة وعليها أم سلمة وابنه سلمة، وغضب لذلك رجال من بني عبد الأسد وقالوا: والله لا نترك

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٧-٢٦، والإصابة ٢/ ١٩٥.

(٣) انظر: سيرة أعلام النبلاء ١/ ١٥٠، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣٣٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٩٠.

ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذب بنو مخزوم وبنو عبد الأسد الطفل حتى خُلِعَت يدهُ، وأخذه بنو عبد الأسد وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم، وانطلق أبو سلمة إلى المدينة هاربًا بدينه. قالت أم سلمة: ففرقوا بيني وبين زوجي وبيني وبين ابني فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي، وذلك سنة أو قريبًا منها حتى مرّ بي رجل من بني عمي - أحد بني المغيرة - فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها، وبينها وبين ولدها؟ قالت فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: وردّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فارتحلت ببعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله..»[1].

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف وما أحكمه: فقد ترك أبو سلمة زوجته وابنه، وماله، وهاجر بنفسه تاركًا نصفه وراءه من أجل دينه ويتجاذب بنو عبدالأسد وبنو المغيرة ابن أم سلمة، ويخلعوا يده وهي تنظر، وتحبس من أجل دينها، وتبكي كل يوم في الأبطح سنة أو قريبًا منها، إنه موقف عظيم وبلاء كبير أسفر عن قوة الإيمان والصدق مع الله فنسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، ورضي الله عن أبي سلمة وزوجته وأرضاهما، فقد جاهدا في الله، وأوذيا في الله، وصبرا في الله، والله المستعان.

٥ - وعندما ينظر الإنسان في موقف **عبدالله بن حذافة بن قيس** - رضي الله عنه - عندما حاول ملك الروم أن يصدّه عن دينه - يرى الموقف الحكيم، والرجل العظيم!

وجّه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جيشًا إلى الروم، فأسروا

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٧٧، والبداية والنهاية ٣/ ١٦٩، والرحيق المختوم ص ١٥٠، وهذا الحبيب يا محبّ، ص ١٥١.

عبدالله بن حذافة، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تتنصَّر وأُعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد ﷺ طرفة عين، قال: إذاً أقتلك. قال: أنت وذاك، فأُمِرَ به فصُلِبَ وقـال للرّمـاة: ارموه قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى ولم يجزع، فأنزله، وأمر بقدر فصُبَّ فيها ماء وأُغليَ عليه حتى احترقت، ودعا بأسيرْين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فأُلقيَ فيها فإذا عظامه تلوح، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، فأمر بإلقائه في القدر إن لم يتنصّر، فلما ذهبوا به بكى، فقيل للملك إنه بكى، فظن أنه قد جزع، فقال: ردوه، فقال: ما أبكاك؟ قال: قلت هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله، فتعجب الطاغية فقال له: هل لك أن تُقبّـل رأسي وأُخلِّي عنك؟ فقال له عبدالله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبّل رأسه، فخلّى عنهم، وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره. فقال عمر: حقٌّ على كلِّ مسلم أن يُقبِّلَ رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقبَّل رأسه[1].

هذا موقف عظيم حكيم، فإن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ ثبت على دينه، ولم يقبل سواه، ولو أُعطى ملك كسرى ومثله معه، وملك العرب جميعًا، ثم لصدقه مع الله لم يجزع من الرّماة عندما رموه وهو مصلوب، ولم يجزع من القِدْرِ والماء المغليّ وقد رأى من يُلقى في النار من الأسرى وعظامه تلوح، ومع ذلك تمنى أن يكون له عدد شعره من الأنفس تعذب في الله ومن أجل الله، وعندما رأى أن المصلحة عامة لجميع الأسرى قبَّل رأس الطاغية، لكي يخرج المسلمين من الأسر، وهذا من أعظم الحكم العظيمة. فرضي الله عن عبدالله بن حُذافة وأرضاه.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ١٤، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٦٩.

٦ ـ ومن هذه المواقف العظيمة التي تدل على قوة الإيمان والرغبة فيما عند الله والدار الآخرة. ما فعله الصحابي الجليل: **خبيب بن عدي بن عامر** ـ رضي الله عنه ـ عندما أسرته كفار قريش وعذبته فثبت حتى قُتِلَ شهيدًا ـ رضي الله عنه ـ.

قالت بعض بنات الحارث بن عامر: والله ما رأيت أسيرًا قطُّ خيرًا من خبيب والله لقد وجدته يومًا يأكل قِطفًا من عنبٍ في يده وإنه لَمُوثَقٌ بالحديد وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيبٌ: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدت. ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بَدَدًا، ولا تبقِ منهم أحدًا ثم أنشأ يقول:

فلستُ أُبالي حين أقتلُ مسلمًا ... على أيِّ جنبٍ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإلـه وإن يشأ ... يُبارك على أوصالِ شِلوٍ ممزَّعِ

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سن لكلِّ مسلم قُتِلَ صبراً الصلاة..(1).

٧ ـ **وهذا سعد بن أبي وقّاص** ـ رضي الله عنه ـ تَعْرض أمه عليه أن يكفر بدين محمد ﷺ، وحلفت أن لا تكلمه، ولا تأكل ولا تشرب حتى تموت فيعـيّر بها، فيقال: يا قاتل أمه! وقالت له: زعمت أن الله وصّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال سعد: لا تفعلي يا أُمّه إني لا أدع ديني هذا لشيء. فبقيت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب، فلما رأى سعد بن أبي وقاص ذلك منها قال لها: يا أُمَّهْ تعلمين والله لو كان لك مئة نفسٍ،

---

(1) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل، ٦/ ١٦٦، وكتاب المغازي، باب حدثني عبدالله بن محمد الجعفي، ٧/ ٣٠٨، ٧/ ٣٧٨، ١٣/ ٣٨١، وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٦.

فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني إن شئتِ فكلي أو لا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت[1]. قال سعد ـ رضي الله عنه ـ: نزلت هذه الآية فيّ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[2] وقد جعل الله سعدًا مستجاب الدعوة لدعوة النبي ﷺ «**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**»[3]. ولم يقتصر الأمر على الرجال بل للنساء مواقف حكيمة.

٨ ـ ومن ذلك ما فعلته **رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة**، أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ، وذلك أن أباها قدم من مكة إلى المدينة يريد أن يزيد في الهدنة بينه وبين الرسول ﷺ، فلما دخل على بنته أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر[4]، قلت: والله لم يصبها إلا قوة الإيمان ومحبة الله ورسوله ﷺ، فقدَّمت محبة الله ورسوله على محبة والدها المشرك ولم ترضَ أن يجلس المشرك على فراش رسول الله ﷺ فرضي الله عن أم المؤمنين، فإنها لم تأخذها في الله لومة لائم، وهذا من أعظم الحكم.

والصحابة ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ رجالاً ونساءً، كانت أعمالهم

---

(١) انظر: صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص ٤/ ١٨٧٧ مختصرًا بمعناه، وأحمد ١/ ١٨١-١٨٢، والترمذي ٥/ ٣٤١، وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ١٠٩.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٥.

(٣) الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٥/ ٦٤٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ٤٩٨، وسنده صحيح. انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ١١١.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٠٦ وعزاه بإسناده إلى ابن سعد. وانظر أيضًا التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٣٥.

وحياتهم، ومماتهم لله لا يريدون، ولا يرغبون إلا ما يرضيه - تعالى - حتى ولو كان ذلك ببذل أحبِّ الأشياء إليهم.

٩ - ومما يدل على ذلك ما فعله **أنس بن النضر الأنصاري** عم أنس بن مالك رضي الله عنهما.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل. قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة: من بين ضربة بسيف وطعنة برمح، ورمية بسهم وقد مَثَّلوا به، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. ونزلت هذه الآية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[١]. قال فكنا نقول: نزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه[٢].

١٠ - كما يدل على رغبتهم فيما عند الله ما فعل **عُمير بنُ الحُمام** في بدر حينما سمع الرسول ﷺ يقول لأصحابه: «**قوموا إلى جَنَّةٍ عرضُها السّمٰوات والأرضُ**» فقال: يا رسول الله جنة عرضها السّمٰوات

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٢) البخاري مع الفتح في كتاب الجهاد باب قول الله - عز وجل - ﴿من المؤمنين رجال صدَقوُا ما عاهَدُوا الله عليه فمنهم من قضىَ نَحْبَهُ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾. ٦/ ٢١، ٧/ ٣٥٤. وانظر: البخاري مع الفتح ٨/ ٥١٨، والبداية والنهاية ٤/ ٣١-٣٤، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧٤، وهذا الحبيب يا محب ص ٢٦٩.

والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ[1]، فقال ﷺ: **«ما يحملك على قولك بخ بخ؟»**، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: **«فإنك من أهلها»** فأخرج تمرات من قرنه[2] فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل[3].

وهذه النماذج تدل على صبر الصحابة وحكمتهم العظيمة، وصدقهم مع الله ورغبتهم فيما عنده سبحانه ـ من الثواب وزهدهم في الدنيا.

والصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لهم مواقف حكيمة كثيرة لا تُحْصَى، ولكن ما ذكرته هنا من مواقفهم ما هو إلا بعض الأمثلة اليسيرة من المواقف الحكيمة التي تدل على حكمتهم ويستفيد منها الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ.

وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا. والله المستعان.

---

(١) كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه في الخير. انظر: شرح النووي ١٣/ ٤٥.
(٢) أي جعبة النشاب. انظر: شرح النووي ١٣/ ٤٦.
(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/ ١٥١٠.

المبحث الثالث : مواقف التابعين

توطئة :

المطلب الأول : مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى .

المطلب الثاني : مواقف الحسن بن يسار البصري رحمه الله تعالى .

المطلب الثالث : مواقف عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى .

المطلب الرابع : مواقف أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

توطئـة :

التـابعون هم من القرون المفضلة بنص النبي ﷺ، فعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير الناس قرني، ثم الـذين يلونهم، ثم الـذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»(١).

وللتـابعين مواقف حكيمة يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى، وسأذكر ـ بعون الله تعالى ـ نماذج منها على سبيل المثال في المطالب التالية :

المطلب الأول : مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى .

المطلب الثاني : مواقف الحسن بن يسار البصري رحمه الله تعالى .

المطلب الثالث : مواقف عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى .

المطلب الرابع : مواقف أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى .

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ٥/ ٢٥٩، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم . . . ٤/ ١٩٦٤، وفي رواية من حديث عمـران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ: «ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن». البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، الباب السابق ٥/ ٢٥٨، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٦٢.

المطلب الأول : من مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله :

لسعيد بن المسيب[1] مواقف حكيمة تدل على علمه وحكمته ورغبته فيما عند الله تعالى[2].

ومن هذه المواقف الحكيمة التي صدع فيها بالحق في دعوته إلى الله ولم تأخذه في الله لومة لائم ما فعله مع الحجاج بن يوسف الثقفي[3] عندما أساء صلاته.

١ ـ صلى الحجاج مرة بجنب سعيد بن المسيب ـ قبل أن يلي شيئًا من أمور المسلمين ـ فجعل يرفع قبل الإمام، ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه، وبقي يقول الذّكر بعد الصلاة، والحجّاج ما زال ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه يؤنبه ويؤدبه بالكلام، فلم يقل له الحجّاج شيئًا حتى صار نائبًا على الحجاز وعندما أتى المدينة نائبًا عليها، فلما دخل المسجد قصد مجلس سعيد بن المسيب حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم. قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً، ما صليت بعدك

---

(١) سعيد بن المسيب، هو سيد التابعين على الإطلاق في زمانه، وعالم أهل المدينة، ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وقيل لأربع مضين منها، وتوفى سنة ٩٤هـ وله ٧٥ سنة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٢١٧-٢٤٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٩٩.

(٢) ومن مواقفه الحكيمة التي كان بها قدوة حسنة لغيره من الدعاة، زواجه ابنته فاطمة لرجل فقير، ومنعها من الزواج بابن الخليفة، فقد خطب عبدالملك بن مروان ابنته لابنه الوليد، فمنع من ذلك، وزوجها تلميذه كثير بن المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي على درهمين، وساعده بعشرين ألف، وهـذا يدل على كمال إيمان سعيد بن المسيب، واهتمامه بالباقي، والنفور من المناصب المزيفة، واختياره الزوج الصالح لابنته، انظر هذه القصة الحكيمة في: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٣، وطبقات ابن سعد ٥/ ١٣٨، وحلية الأولياء ٢/ ١٦٧، والبداية والنهاية ٩/ ١٠٠.

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي، ولي العراق والمشرق عشرين سنة، وتوفى سنة ٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣.

صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى[1].

٢ ـ قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصلّى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفًّا من حصىً فحصبته بها. قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة[2].

وهذا من أعظم المواقف الحكيمة لسعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ؛ فإن الحكمة وضع كل شيء في موضعه، وقد تنفع الشدة والقوة إذا كانت الحكمة تقتضي ذلك، فسعيد رأى أن من الحكمة استخدام هذا الأسلوب مع الحجاج؛ ليحسن صلاته، فنفع الله بذلك الحجاج كما ذكر هو عن نفسه، وأنه ما زال يحسن الصلاة بعد ذلك، فرحم الله سعيد بن المسيب، وجزاه خير الجزاء.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٩/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٢٢٦.

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد ٥/ ١٢٩، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢٦.

المطلب الثاني: من مواقف الحسن البصري رحمه الله:

للحسن البصري[1] ـ رحمه الله ـ مواقف حكيمة في دعوته إلى الله ـ عز وجل ـ، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ موقفه مع الحجاج بن يوسف الثقفي:

من حكمة الحسن أنه لا يرى الخروج على الأئمة العُصاة من المسلمين، فقد جاء جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، . . . وفعل وفعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعًا[2]، ولهذا كان الحسن يقول: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط[3].

ومع ذلك كله فقد أراد الحجاج أن يقتل الحسن البصري مرارًا، ولكن الله عصمه منه.

بعث الحجاج إلى الحسن مرة ـ وقد همّ به ـ فجاء الحسن إليه، فلما قام

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد مولى الأنصار، وأمه خيرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ، وأبو الحسن يسار من سبي ميسان ـ وهي بين البصرة وواسط ـ سكن المدينة، وأُعتِقَ وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي الحسن سنة ١١٠هـ وكان عمره ٨٨ سنة ـ رحمه الله ـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٢٣١.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٦٣ـ١٦٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ١٣٥.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٤.

بين يديه قال: يا حجاج، كم بينك وبين آدم من أب؟ قال: كثير. قال: فأين هم؟ قال: ماتوا. فنكس الحجاج رأسه، وخرج الحسن[1].

وهذا من حكمة الحسن في دعوته إلى الله، فإن الخروج على الأئمة المسلمين ـ ولو كانوا فسّاقًا ـ يسبب شرًّا كثيرًا، وفتنة عظيمة، وإزهاقًا للأرواح، وفسادًا كبيرًا، فسدَّ الحسن الباب أمام هذه المفاسد.

٢ ـ موقف الحسن مع عمر بن هبيرة:

عندما ولي عمر بن هبيرة[2] العراق أرسل إلى الحسن فقدم إليه، فقال له: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبدالملك[3] ينفذ كتبًا أعرف أن في إنفاذها الهلكة، واستفتاه ماذا يصنع أمام هذه الكتب؟ فقال الحسن: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله ـ تعالى ـ فظ غليظ، لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبدالملك ولا يعصمك يزيد بن عبدالملك من الله ـ عز وجل ـ، يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبدالملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشدّ إدبارًا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقامًا خوفكه الله ـ تعالى ـ، فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[4]، يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٩/ ١٣٥.

(٢) هو عمر بن هبيرة بن معاوية بن سُكَين، الأمير أبو المثنى أمير العراقيين، مات سنة ١٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٢.

(٣) هو يزيد بن عبدالملك بن مروان الخليفة، استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان، بعد عمر بن عبدالعزيز، ولد سنة ٧١هـ. وكانت خلافته أربعة أعوام، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٠-١٥٢.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ١٤.

كفاك بائقة يزيد بن عبدالملك، وإن تك مع يزيد بن عبدالملك على معاصي الله وكلك الله إليه، فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته[1].

وهذا يدل على حكمة الحسن ـ رحمه الله ـ وما له في النفوس من مكانة وتقدير، فقد جهر بالحق في هذا الموقف ولم تأخذه في الله لومة لائم.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله ـ تعالى ـ، ولكن لا بد من الحكمة، وبالتي هي أحسن، فإن ذلك أدعى لقبول الدعوة، والله المستعان.

٣ ـ موقفه مع القراء :

خرج الحسن من عند ابن هبيرة يومًا فإذا هو بالقراء على الباب[2] فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرَّق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم[3] نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجزرتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله[4]، والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم

(١) انظر: حلية الأولياء ٢/ ١٤٩.

(٢) لسائل أن يسأل: كيف يخرج الحسن من عند ابن هبيرة ويلوم القراء على وقوفهم ببابه رغبة في الدخول عليه؟

ويجاب على ذلك أن الحسن لم يدخل على ابن هبيرة ليسأله مالاً أو شيئًا من أمور الدنيا، إنما ذلك لله ومن أجل الله والدعوة إليه، والذي قبحه الحسن هو الرغبة في الدنيا والطمع في أموال الأمراء والسلاطين، أما من دخل عليهم ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويخوفهم بالله، فإن هذا من أعظم الجهاد وأفضله.

(٣) كل شيء عرضته فقد فرطحته. وفرطح الشيء: بسطه ووسعه. ورأس مفرطح: عريض. انظر: المعجم الوسيط، مادة (فرطح) ٢/ ٦٨٤.

(٤) لعل الحسن استخدم أسلوب الشدة مع القراء لأنهم أقدموا على شيء لا ينبغي لهم الإقدام عليه على الرغم من معرفتهم حقيقته وأنه لا ينبغي لطلاب العلم والدعاة إلى الله فعله.

والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، ومن ذلك استخدام أسلوب القوة والشدة والغلظة في مواضعها.

رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد[1].

وهذا الموقف حكيم عظيم؛ لأن الداعية إلى الله ينبغي أن يستغني عن الناس وعن أموالهم وصدقاتهم، وخاصة الأكابر والسلاطين، فلا يقف على أبوابهم ولا يسألهم، حتى يكون لدعوته ولعلمه الأثر في نفوسهم وفي نفوس غيرهم، ولهذا وجَّهَ الحسن القراء لذلك؛ لأن من استغنى بالله افتقر الناس إليه[2].

(١) انظر: حلية الأولياء ٢/ ١٥٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٦.

(٢) انظر: حلية الأولياء ٢/ ١٧٣، والبداية والنهاية ٩/ ١٠٠.

المطلب الثالث : من مواقف عمر بن عبدالعزيز :

يرى كثير من العلماء أن عمر بن عبدالعزيز[1] من المجددين على رأس المائة الأولى، لقوله ﷺ : «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدّد لها دينها**»[2].

وعلى هذا كان ـ رحمه الله ـ أول المجددين[3]، وله ـ رحمه الله ـ مواقف كثيرة حكيمة في دعوته إلى الله، منها ما يلي :

(أ) من مواقفه الحكيمة قبل الخلافة :

له ـ رحمه الله ـ مواقف كثيرة قبل الخلافة مع الخلفاء منها :

١ ـ **أقبل سليمان بن عبدالملك**[4] إلى جيشه ومعه عمر بن عبدالعزيز، وفي ذلك المعسكر: الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال، فقال سليمان : ما تقول يا عمر في هذا؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضًا، وأنت المسئول عن ذلك كله، فلما اقتربا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها، ونعب نعبةً، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر؟ فقال : لا أدري . فقال : ما ظنك أنه يقول؟ قال

---

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد سنة ٦٣هـ ، وقيل ٦١هـ ، أرسله والده إلى المدينة يتفقه في الدين، فلما توفي والده أخذه عمه عبدالملك بن مروان، وزوجه بنته فاطمة، وعندما ولي الوليد بن عبدالملك ولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ٨٦هـ إلى ٩٣هـ ، ثم قدم الشام، وبقي بها حتى ولي الخلافة في ١٠/ ٢/ ٩٩هـ فأصلح الله به العباد والبلاد، ثم مات مسمومًا في ٢٥/ ٧/ ١٠١هـ . انظر: البداية والنهاية ٩/ ٩٢-٩٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٢.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ٤/ ١٠٩، والحاكم ٤/ ٥٢٢، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ١٥٠ برقم ٥٩٩.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٩/ ٢٠٧، وعون المعبود ١١/ ٣٨٧.

(٤) سليمان بن عبدالملك بن مروان، بويع بالخلافة بعد أخيه الوليد، له أعمال جليلة، وتوفي عاشر صفر، سنة ٩٩هـ . سير أعلام النبلاء ٥/ ١١١.

عمر: كأنه يقول: من أين جاءت وأين يُذهَبُ بها؟ فقال له سليمان: ما أعجبك؟ فقال عمر: أعجب ممن عرف الله فعصاه، ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها[1].

وهذه كلمات حكيمة في الدعوة إلى الله موجّهَة إلى خليفة المسلمين، استغل عمر توجيهها إليه في الفرصة المناسبة، ملتزمًا طريق الحكمة في ذلك كله.

٢ ـ **وحجّ سليمان بن عبدالملك** ومعه عمر بن عبدالعزيز فأصابهم برق ورعد، حتى كادت تنخلع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضحك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدق بها. فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم[2].

الله أكبر! ما أحكم هذا الموقف وأعظمه! فقد استطاع عمر بن عبدالعزيز بعون الله ـ تعالى ـ ثم بحكمته أن يؤثر على سليمان حتى جلس ورد المظالم.

٣ ـ **ومن أعظم مواقفه الحكيمة مع سليمان بن عبدالملك** أن سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا ولينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به، فكان من ذلك أن عمر أمر بعزل عمال الحجاج، وأقيمت الصلاة في أوقاتها بعد ما كانت أُميتت عن وقتها، مع

(١) انظر: مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ٥٢، والبداية والنهاية ٩/ ١٩٥.
(٢) انظر: مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ٥٢، ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢١.

أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، فقد قيل: إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يُحصِي عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غدًا خصماؤك، فبكى سليمان بكاءً شديدًا[1].

فرحم الله عمر، فقد كان حكيمًا في مواعظه وترقيقه للقلوب، وربطها بخالقها، وتخويفها من عقابه، وترغيبها في ثوابه، ويستخدم ذلك في الوقت المناسب، في الحال المناسب.

وله ـ رحمه الله ـ مواقف كثيرة مع الخلفاء، ولولا الإطالة لذكرتها[2].

(ب) مواقفه بعد أن ولي الخلافة :

بعد أن مات معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ سنة ستين للهجرة النبوية، بدأ الظلم، واتسع الخرق والخلاف بين العلماء والخلفاء، فصار بعض الناس في وادٍ، وبعض حكامهم في وادٍ آخَر، ثم ازدادت الأحوال سوءًا بتسلُّم بعض الولاة الظلمة الحكم أمثال الحجاج، وصاروا يجمعون الأموال وينفقونها في غير حلها بلا حساب ولا نظام، وقد كان الشاعر يدخل على الخليفة أو الوالي فيمدحه، فيكيل له بلا حساب، وقد كان سليمان بن عبدالملك أمثل الخلفاء[3].

وعندما تسلَّم عمر بن عبدالعزيز الخلافة قام بالمواقف الحكيمة لإنقاذ الأمة مما حل بها، فكانت مواقفه الحكيمة لإصلاح ما فسد من أمور الناس كالتالي:

---

(١) انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي ص ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢١.

(٢) انظر بقية مواقفه مع الولاة في مناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي ص ٤٦ ـ ٥٣، والبداية والنهاية ٩/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤-١٤٧.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٨/ ١٤٦-٣٤٥، ٩/ ٢-١٧٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٥.

١ ـ بدأ بالتغيير مع نفسه، فغير طريق حياته حتى أنكره من عرفه من قبل، فعندما رجع من قبر سليمان أُوتيَ بمراكب الخلافة: البراذين والخيل والبغال، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مَراكب الخلافة. فقال: ما لي ولها، نَحُّوها عنِّي، قربوا مني بغلتي، فقُرِّبت إليه بغلته، وأمر بمراكب الخلافة أن تُباع ويُجعل ثمنها في بيت مال المسلمين، وقال: تكفيني بغلتي هذه الشهباء[١].

وكان دخله قبل الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله إلا أربعمائة دينار في كل سنة، ونظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه، حتى إنه رّد فصّ خاتم في يده إلى بيت المال، وقال: هذا مما أعطانيه الوليد بن عبدالملك من غير حقه[٢].

٢ ـ بعد أن بدأ بنفسه بدأ بأهله، فسأل زوجته فاطمة بنت عبدالملك عن الجوهر الذي عندها، من أين صار إليها؟ فقالت: أعطانيه أمير المؤمنين، فقال: إما أن ترديه إلى بيت المال، وإما أن تأذنيني في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت، قالت: لا، بل أختارك على أضعافه لو كان لي، فوضعته في بيت المال[٣].

٣ ـ بعد أن أصلح عمر نفسه وأهله، بدأ بإصلاح أوضاع بني أمية، فأخذ ما بأيديهم من المظالم وردها إلى أهلها، وإلى بيت المال إن لم يكن لها أهل، وسمى أموالهم مظالم، وأمر مناديه أن يُنادي في الناس: من كانت له

---

(١) انظر: مناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي ص ٦٢، ٦٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٣١.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١-٣٤٤، ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ١٣٢، والبداية والنهاية ٩/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٨.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩٣، وسيرة عمر لابن الجوزي، ص ١٢٧، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢٩، والبداية والنهاية، ٩/ ٢٠٨.

مظلمة فليرفعها، وجاء كل من كانت له مظلمة فجعل يرد المظالم مظلمة مظلمة[1]، وأخذ جميع الأموال التي أخذها بنو مروان بغير استحقاق، فوضعها في بيت مال المسلمين[2].

٤ ـ كتب إلى الولاة على الأمصار الإسلامية يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، ويخوفهم من عقابه، ويرغبهم في ثوابه، ويزهدهم في الدنيا، ويضرب لهم الأمثال بمن مضى ممن كان قبلهم من الخلفاء والولاة، وأنهم قد ذهبوا إلى ما قدموا من أعمال، فمنهم الرابح، ومنهم الخاسر، وأمرهم بالعدل مع الرعية، ونهاهم عن الظلم، وأمرهم برد جميع المظالم إلى أهلها، وعزل بعضهم عن الولاية وَوَلَّى من هو أصلح منه، واستدعى بعضهم إلى الحضور لديه ليحاسبه على جوره وظلمه، وحذر الولاة من أخذ الرشوة والهدية من الرعية[3]، وأمر الولاة بوضع الجزية عمن أسلم من اليهود والنصارى حيث كان بنو أمية لا يضعون الجزية عمن أسلم، فأسلم بذلك خلق كثير، ومن هؤلاء أهل خراسان، فقد أسلم منهم أربعة آلاف في وقت قصير بسبب هذه الحكمة العظيمة[4].

٥ ـ من أعظم مواقفه الحكيمة في إصلاح الأوضاع في الدولة الأموية ما أحياه في النفوس من خوف الله ومراقبته، وغرس ذلك في نفوس الناس، ومن ذلك أنه في يوم الجمعة يخطب الناس، فبكى يومًا، وبكى الناس معه

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١ـ٣٤٤، ومناقب عمر لابن الجوزي، ص ١٢٥ـ١٢٧، والبداية والنهاية، ٩/ ٢٠٠ـ٢١٣.

(٢) انظر: مناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي، ص ١٣٣ـ١٤١، وطبقات ابن سعد، ٥/ ٣٤١ـ٣٤٤، والبداية والنهاية، ٩/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢٩.

(٣) انظر: مناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي، ١٣٣ـ١٤١، وطبقات ابن سعد، ٥/ ٣٤١ـ٣٤٤، والبداية والنهاية، ٩/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢٩.

(٤) انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١ـ٣٤٤، وسيرة عمر لابن الجوزي ص، ١٠٠ـ١٢٤، ٢٠٦، ٢٢٢، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢٦ـ١٣٧، ٥/ ١٤٧، والبداية والنهاية، ٩/ ١٨٨.

حتى ارتج المسجد بالبكاء، وصار لحيطانه صوت بالبكاء(١).

٦ - **فَقَّهَ الناس في دين الله**، وغرس في قلوبهم حب الكتاب والسنة، وكان يرسل المرشدين إلى البادية؛ لِيُفقِّهوا الناس في الدين(٢).

٧ - **لم يكتف عمر بن عبدالعزيز بالخطوات الحكيمة السابقة في إصلاح** أوضاع المسلمين في الدولة الأموية، بل اهتم بأمور غير المسلمين، فأرسل الدعاة إلى الله - عز وجل -؛ ليبلغوا الناس دعوة الإسلام، ومن ذلك أنه أرسل إلى أفريقيا مجموعة من الدعاة، فأسلم على أيديهم أمم هائلة من البربر وغيرهم.

وبتوفيق الله ثم بهذه الخطوات الحكيمة السبع، ظهرت مواقف عمر الحكيمة في إصلاح الأمة وتجديد الدين، ونفع الله به البلاد والعباد، وأنقذ الله به من الظلم(٣).

---

(١) انظر: سيرة عمر لابن الجوزي ص ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٧، ١٣٨، والبداية والنهاية ٩/ ٢٠٤.

(٢) انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد، ص ٩٢.

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٣٨، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٤/ ٢٤٦.

المطلب الرابع: من مواقف أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله:

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت[1] له مواقف حكيمة كثيرة[2].

منها موقفه العظيم الحكيم مع الملحدين في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ، وأنه رب كل شيء ومليكه.

يذكر أنه اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ فقالوا: ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال: دعوني، فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: أمجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: إن هذا لا يصدقه عاقل. فقال لهم: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوَّار السيَّار يجري، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا على أنفسهم بالملام[3].

وهذا من أعظم مواقف الحكمة في الدعوة إلى الله، فقد استدل على الخالق بوجود المخلوق، فليس هناك من مخلوق إلا وله خالق ومدبر وهو الله عز وجل، كما أنه ليس هناك من صنعة إلا ولها صانع، ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

---

(١) هو الإمام النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، أحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠، والبداية والنهاية ١٠/ ١٠٧.

(٢) انظر: نماذج من مواقف أبي حنيفة الحكيمة في سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٢، وأعلام المسلمين ـ أبو حنيفة، لوهبي سليمان غاوجي ٥/ ٣٥٥، ٥/ ١٢١، ٣٥٤.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣/ ١٢٧، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٥٨.

المبحث الرابع : مواقـف أتبـاع التابعـين

تـوطئـــــة :

المطلـب الأول : مواقـف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى .

المطلب الثاني : مواقـف الإمام الشـافعي رحمه الله تعالى .

المطلب الثالث : مواقـف الإمام أحـمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

توطئة:

أتباع التابعين هم من القرون المفضلة التي امتدحها رسول الله ﷺ بقوله: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**»(١).

ولتابعي التابعين مواقف حكيمة في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ، وسأذكر منها ـ بعون الله ـ نماذج في المطالب التالية:

المطلب الأول : مواقف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني : مواقف الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث : مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

---

(١) البخاري مع الفتح ٥/ ٢٥٩، ومسلم ٤/ ١٩٦٤، وتقدم تخريجه.

المطلب الأول: من مواقف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى:

للإمام مالك[1] ـ رحمه الله ـ مواقف حكيمة مشرفة، منها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها: موقفه مع من سأله عن الاستواء. فقد جاء إليه رجل وقال: يا أبا عبدالله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2] كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء[3]، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: «الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة» وأمر به فأُخْرِجَ[4].

وهذا موقف حكيم مُسدّد؛ لأنه أجاب بالإجابة الصحيحة بعد التأمل والتفكر، فكانت هذه الإجابة قاعدة ثابتة لأهل السنة والجماعة، تُجْرَى عليها صفات الله ـ تعالى ـ كلها، فالكيف للصفة مجهول لنا لا نعرف كيفيتها؛ لأن الله لم يخبرنا بالكيفية، والصفة معلومة بدليلها من الكتاب والسنة الصحيحة أو بأحدهما، والإيمان بالصفة ـ التي تثبت بالدليل ـ واجب، والسؤال عن كيفية الصفة بدعة، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات، بل كل صفة من صفات الله ـ تعالى ـ

---

(١) الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ عام موت أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله ﷺ، وطلب العلم بصدق وإخلاص، فكان أحد الأئمة الأربعة، فنفع الله به المسلمين، وتوفي عام ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٩ـ١٣٥، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٤، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥.

(٢) سورة طه، الآية ٥.

(٣) العرق إثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرة. انظر: المعجم الوسيط، مادة (رحض) ١/ ٣٣٤.

(٤) أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٥، وانظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٠٠، ١٠١، ١٠٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٦، ٥/ ١٤٤.

تدل على معنى حقيقي نؤمن به ونثبته لله كما يليق بجلاله[1].

٢ ـ من مواقفه الحكيمة ما ردّ به على بعض العُبَّاد حينما كتب إليه يعظه ويحضه على الانفراد والعزلة عن الناس، ويحضه على العمل، فكتب إليه مالـك: «إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربّ رجل فُتحَ له في الصلاة ولم يُفتَحْ له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتحَ لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر»[2].

وهذا الرد الحكيم المسدد مما يدل على فقه الإمام مالك وحكمته، فإن نشر العلم خير أعمال البر، وأفضل من نوافل الصلاة والصوم والصدقة وغير ذلك من نوافل العبادات، لقوله ﷺ : **«من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»**[3].

وقوله، ﷺ : **«فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»**[4].

فرحم الله مالكًا فقد نطق بالحكمة، وطبق ما كان يقوله ويُرغِّبُ فيه الناس، فكان هو أولى به حيث قال: «بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة»[5].

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥ ـ ١٢١ .
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ١١٤ .
(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٦ .
(٤) البخاري مع الفتح ٧/ ٤٧٦، ومسلم ٤/ ١٨٧١، وتقدم تخريجه.
(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ١٠٩ .

ولهذا قال الإمام الذهبي[1]: «إلى فقه مالك المنتهى، فعامة آرائه مسددة»[2].

ولكن الإمام مالكًا قد أنصف حينما رسم للناس قاعدة يسيرون عليها، حيث قال: «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ»[3].

وهذا كلام حكيم وعظيم يدل على أن جميع الناس ليسوا معصومين من الخطأ، إنما الذي قد عُصِمَ في تبليغ الشريعة هو محمد ﷺ.

٣ ـ والإمام مالك كان يصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ذلـك قول الإمام الشافعي: «كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه»[4].

وهذا الكلام من الدعوة إلى الله بالحكمة؛ لأن من الناس من يحتاجون إلى الغلظة أحيانًـا، ولا يخرج ذلك عن الحكمة؛ لأن الله ـ تعالى ـ وهو أحكم الحاكمين ـ قال لأحكم الناس أجمعين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْـمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ . . . ﴾[5]، وقال: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ

---

(١) هو الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ولد ـ رحمه الله ـ في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ، بدأ بطلب العلم مبكرًا، ورحل في طلبه، وبرع فيه، ثم عمي قبل موته بأربع سنين أو أكثر بماء نزل في عينيه، وتوفي ـ رحمه الله ـ ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة قبل نصف الليل سنة ٧٤٨هـ، ولـه آثـار علميـة بلغت نحـوًا من ٢١٥ مؤلفًـا، ـ رحمـه الله ـ. انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٥، ومقدمة سير أعلام النبلاء ١/ ١٢-١٤٠.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٩٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٩٣.

(٤) انظر: حلية الأولياء ٦/ ٣٢٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٩٩.

(٥) سورة التحريم، الآية ٩.

إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[1].

وللإمام مالك مواقف حكيمة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها[2].

(1) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٢) انظر: مواقف له حكيمة في : حلية الأولياء ٦/ ٣٢٥، وسير : أعلام النبلاء، ٨/ ٩٤، ٩٨، ٩٩، وانظر: مواقفه مع بني أميه وحكمه في طلاق المكره وعدم وقوعه في سير أعلام النبلاء ٨/ ٨٠، ٩٥، ٩٦.

المطلب الثاني : من مواقف الإمام الشافعي رحمه الله :

للإمام الشافعي[(١)] ـ رحمه الله ـ مواقف حكيمة تدل على حكمته وصدقه وإخلاصه، ومن مواقفه ـ رحمه الله تعالى ـ .

■ موقفه مع أهل الكلام ودفاعه عن علم الكتاب والسنة :

وقف الشافعي ـ رحمه الله ـ موقفًا حكيمًا مسددًا مع أهل الكلام[(٢)]، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ : «حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر، ينادي عليهم ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام»[(٣)].

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن السائب، يلتقي مع النبي ﷺ في عبد مناف، ولد في غزة، وقيل: بعسقلان، سنة ١٥٠هـ ، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها وقرأ القرآن، ورحل إلى مالك في المدينة وعرض عليه الموطأ بعد حفظه له، ثم رجع إلى مكة، ورحل إلى اليمن، ثم حمل إلى العراق سنة ١٨٤هـ ، ثم عاد إلى مكة ثلاث مرات، ثم رحل من العراق إلى مصر، وبقي بها حتى توفى سنة ٢٠٤هـ . انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١.

(٢) العلم بالدين علمان: العلم بالأمور الخبرية الاعتقادية، كالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأخبار الأنبياء، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم، ويدخل في ذلك الجنة والنار. . . والجدال في هذا القسم بالعقل يسمى: كلامًا.

الثاني: الأمور العملية من أعمال الجوارح والقلوب كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات، وهذا من جهة كونه علمًا واعتقادًا أو خبرًا صادقًا أو كاذبًا يدخل في القسم الأول، ومن جهة كونه مأمورًا به أو منهيًا عنه يدخل في القسم الثاني. انظر: فتاوى ابن تيمية ١١/ ٣٣٥، ٣٣٦، ١٩/ ١٣٤.

فالجدال في علم العقائد يسمى كلامًا، والسلف الصالح حينما يذمون علماء الكلام فهم يريدون من يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين، عليهم الصلاة والسلام، وهذا هو الذي ذمه الشافعي ـ رحمه الله ـ. انظر: فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٤٦٠، ٤٦١.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٢٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥٤، وفتاوى ابن تيمية ١٦/ ٤٧٣.

وقال: «مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط، وتشريدهم في البلاد»[1].

وقال: «حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ»[2].

وغرس الشافعي في نفوس الناس بغض الكلام وأهله، وحب الكتاب والسنة والتمسك بهما، قال يونس بن عبدالأعلى الصدفي[3] قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث[4] كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: قصر الليث ـ رحمه الله ـ، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب[5].

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي ـ وهو في مصر ـ فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي: أتدري أين أنت؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قال: لا. قال: هل تكلّم فيه الصحابة؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجمًا في السماء؟ قال: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خُلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩.

(٢) قدم صبيغ بن عسل الحنظلي المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر، وقال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ. قال: وأنا عبدالله عمر، فضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ذهب الذي كنت أجده في رأسي. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ١٩٨.

(٣) يونس بن عبدالأعلى بن ميسرة، شيخ البخاري، أبو موسى الصدفي، ولد سنة ١٧٠هـ، وتوفى سنة ٢٦٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤٨.

(٤) هو الليث بن عاصم بن كليب، الإمام القدوة العابد المصري، ولد سنة ١١٥هـ، وتوفى سنة ٢١١هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ١٨٨.

(٥) أي: والسنة. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٥١٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٣.

من الوضوء فأخطأ فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله - تعالى -: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ. إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾ الآية[1]، فاسْتَدِلّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك.

فتاب الرجل[2] على يد الشافعي من علم الكلام، وأقبل على فقه الكتاب والسنة[3]، وكان يقول بعد التوبة: «أنا خلق من أخلاق الشافعي»[4].

وقد أصبح هذا الرجل «المزني» علم من أعلام الإسلام في فقه الشافعي.

فهذه المواقف الحكيمة في الدفاع عن الكتاب والسنة، وذم الكلام وأهله، والرد عليهم بأسلوب الحكمة، يدل دلالة واضحة على حكمة الشافعي رحمه الله.

ومما يدل على حكمته أيضًا أن الله تفضّل عليه وهدى على يديه كثيرًا من أهل الكلام فتركوا باطلهم، وأقبلوا إلى علم الكتاب والسنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٦٣، ١٦٤.

(٢) وهذا الرجل الذي تاب من علم الكلام على يد الشافعي، هو المزني، الإمام العلامة علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي، ولد سنة ١٧٥هـ، وله المختصر في الفقه، وقد شرحه عدة من العلماء، توفي - رحمه الله - سنة ٢٦٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/٤٩٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٢/٤٩٢.

المطلب الثالث : من مواقف الامام أحمد بن حنبل رحمه الله :

للإمام أحمد[1] ـ رحمه الله ـ مواقف حكيمة تدل على حكمته وصدقه مع الله ، وإخلاصه ، ومن مواقفه رحمه الله تعالى :

■ **موقفه الحكيم الذي حفظ الله به القرآن الحكيم :**

كان الناس أمة واحدة ، ودينهم قائمًا ، حتى ظهرت الخوارج ، وكفَّرَتْ سادات الصحابة ، ثم ظهرت الروافض والنواصب ، وفي أواخر زمن الصحابة ظهرت القدرية ، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة ، والجهمية والمشبهة بخراسان في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها ؛ لأن الخلفاء والملوك والولاة لم يكن لهم دور في إظهار البدع والدعوة إليها ، إلى ظهور المأمون[2] ، فاستجلب كتب الأوائل ، وعرب حكمة اليونان ، ورفع الجهمية والمعتزلة والشيعة رؤوسهم ، وأظهر المأمون عام ٢١٢هـ القول بخلق القرآن ، وحمل الأمة على القول بذلك ، ثم امتحن العلماء وعذبهم عام ٢١٨هـ [3] .

وفي آخر حياته قبل موته بأشهر خرج إلى طرطوس لغزو الروم ، وكتب إلى نائبه ببغداد يأمره أن يدعو الناس ويلزمهم بالقول بخلق القرآن ، فألزم

---

(١) الإمام حقًا ، وشيخ الإسلام صدقًا ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ، وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه ، وبدأ بطلب العلم ، وحج سنة ١٨٧هـ ، ثم رحل إلى صنعاء ليأخذ العلم عن عبدالرزاق صاحب المصنف ، ثم عاد إلى بغداد ، وواصل طلب العلم والتعليم ، وتوفى يوم الجمعة ٢٤١/٤/١٢هـ ، وحضر جنازته ألف ألف وخمسمائة ألف . انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧ ، ١١/ ٣٤٠ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥ ، ١٠/ ٣٤٢ ، وتهذيب التهذيب ، لابن حجر ١/ ٦٢ .

(٢) المأمون ، هو عبدالله بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠هـ ، وبويع بالخلافة في ٢٥ محرم عام ١٩٨هـ ، وكان داعية للقول بخلق القرآن فقصمه الله بدعوة الإمام أحمد ، وتوفى في ٢٥ محرم ، سنة ٢١٨هـ . انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٦ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٦ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٥/ ١٩٧-٢٠٠ .

النـاس بذلك، وبعث بجماعة من أهل الحديث إلى المأمون، فامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوه وأظهروا موافقته وهم كارهون، فردهم إلى بغداد، وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء ففعل نائبه ذلك، وأحضر خلقًا كثيراً من أئمة الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم، ودعاهم إلى القول بخلق القرآن عن أمر المأمون، وذكر لهم موافقة أولئك المحدِّثين له على ذلك، فأجـاب منهم جماعـة[1]، ومـازال يُهدّد من امتنـع منهم بالضرب وقـطع الأرزاق، حتى أجابوه إلى ذلك كلهم أجمعون إلا أحمد بن حنبل، ومحمد ابن نوح[2]، ولا شك أن أكثر المحدثين الذين أجابوا إلى ذلك تأولوا قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[3].

ثم قُيِّد الإمام أحمد ومحمد بن نوح بالحديد، وحملا إلى المأمون، وعندما وصـلا إلى جيش الخليفـة ونزلا دونه بمرحلة جاء خادم من الجيش وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه، ويقول للإمام أحمد: يعز علي يا أبا عبدالله أن المأمون قد سل سيفًا لم يسله قبل ذلك، ويقسم لئن لم تُجبه إلى القول بخلق القـرآن ليقتلنّـك بذلك السيف، فجثى الإمام أحمد على ركبتيه، ورمق بطرفه إلى السماء، وقال: اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤونته. فجاء الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل، ففرح أحمد، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة، وقد انضم إليه أحمد بن

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢، ٣٣١.

(٢) محمد بن نوح، قال عنه أحمد: ما رأيت أحدًا على حداثة سنة وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، قال لي ذات يوم: يا أبا عبدالله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله، واثبت لأمر الله، . . . فمات وصليت عليه ودفنته.
انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٢.

(٣) سورة النحل، الآية ١٠٦.

أبي دؤاد[1]، وأن الأمر شديد، فرد أحمد ومحمد إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، ومات محمد بن نوح في الطريق، فصلى عليه أحمد[2]، ووصل أحمد إلى بغداد في رمضان سنة ٢١٨هـ وأُودِعَ السجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل أكثر من ثلاثين شهرًا، وقد كان في هذه المدة يصلي بأهل السجن والقيود في رجليه[3]، وكان المعتصم يوجه إليه من يناظره في السجن فيفوز عليهم الإمام أحمد بحجته ودليله، فيزاد في قيوده، ثم طلب المعتصم حضوره لديه، فَحُمِلَ على دابة وعليه الأقياد، ما معه من يمسكه إلا الله، وكاد أن يسقط على وجهه لثقل القيود، ولكن الله سلم، ثم دخل على المعتصم وأحمد بن أبي دؤاد حاضر عنده، وقد جمع خلقًا كثيرًا من أصحابه[4]، ثم قال المعتصم لأعوانه: ناظروه، فقيل له: ما تقول في القرآن؟ فقال أحمد: ما تقول في علم الله؟ فسكت المناظر له، فقال أحمد: من زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله. فقالوا: يا أمير المؤمنين كَفَرَ وكَفَّرنا.

فقال بعضهم: أليس قال الله: ﴿ اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[5]، والقرآن أليس شيئاً؟ فقال أحمد: قال الله: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[6]، فدمرت كل شيء إلا ما أراد الله.

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك المعتزلي، ولد سنة ١٦٠هـ، وولي قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وأعلن مذهب المعتزلة، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين، وحُرِمَ لذة الطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك، توفي يوم السبت لسبع بقين من محرم سنة ٢٤٠هـ. انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣١٩-٣٢٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٢، ٢٤٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٢.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٢.

(٥) سورة الزمر، الآية ٦٢.

(٦) سورة الأحقاف، الآية ٢٥.

قال أحمد: فكان يتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فيقول: يا أمير المؤمنين: هو والله ضالّ مُضِلٌّ مبتدع، فيقول المعتصم: كلموه، ناظروه، فيكلمني هذا فأرد عليه، ويكلمني هذا فأرد عليه، فإذا انقطعوا قال المعتصم: ويحك يا أحمد ما تقول؟ فأقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ حتى أقول به. فيقول أحمد بن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟[1] فقال أحمد: وهل يقوم الإسلام إلا بهما؟ وجرت مناظرات طويلة.

قال أحمد: لقد احتجوا علي بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه، أنكروا الآثار، وما ظننتهم على هذا حتى سمعته، وجعلوا يرغون، يقول الخصم كذا وكذا، فاحتججت عليهم بالقرآن: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[2] أفهذا منكر عندكم؟ فقالوا: شبَّه يا أمير المؤمنين، شبَّه. وطال المجلس، وقام المعتصم ورُدَّ أحمد إلى حبس في البيت، ثم وجه إليه من يبيت معه ويناظره، ثم أُحضِرَ أحمد في اليوم الثاني وناظروه إلى قرب الزوال، ثم قام المعتصم ورد أحمد إلى مكانه، وفي اليوم الثالث جيء به فناظروه، وفي هذه الأيام كلها يعلو صوته صوتهم، وتغلب حجته حجتهم، فغلبهم بالحجة والبرهان[3]، حتى قال عنه صاحب شرطة المعتصم[4]: ما رأيت أحدًا لم يداخل السلطان، ولا خالط الملوك كان أثبت قلبًا من أحمد يومئذ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذبان[5].

---

(١) يعني القرآن والسنة!!.

(٢) سورة مريم، الآية ٤٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٤-٢٥٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٣.

(٤) صاحب شرطة المعتصم، هو: محمد بن إبراهيم بن مصعب، وهو أخو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، نائب المأمون على بغداد. انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢، ١٠/ ٣٣١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٠.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٠.

وطالت المناظرة، فغضب المعتصم وقال لأحمد: لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واسحبوه، خلِّعوه، فأُخِذَ وسُحِبَ وخُلِّع وجُرِّدَ، ووقف به بين الجمهور؛ لجلده وتعذيبه، فقال أحمد: «يا أمير المؤمنين، اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك».

فلما رأى المعتصم ثباته وتصميمه وصلابته فكأنه أمسك حتى أغراه أحمد ابن أبي دؤاد، وقال: «يا أمير المؤمنين، إن تركته قيل: قد ترك مذهب المأمون، وسخط قوله»، فهاجه ذلك على ضربه، ثم بدأ الجلادون يضربون، فيتقدم الرجل منهم فيجلده سوطين، والمعتصم يقول: شد قطع الله يدك.

وأُغمِيَ على أحمد، وذهب عقله مرارًا، ويعيدون الضرب ولم يحس بالضرب، وجاء المعتصم إليه ثلاث مرات وهو يُجْلَد يدعوه إلى القول بخلق القرآن، فيمتنع، ويعيدون الضرب، ثم أمر المعتصم بإطلاقه، بعد أن ضُرِبَ نيفًا وثلاثين سوطًا، وقيل ثمانين سوطًا، ولكنه كان ضربًا مبرحًا، ولم يشعر الإمام أحمد إلا وهو في حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رجليه، ثم أمر المعتصم بإطلاقه إلى أهله، وكان ذلك في ٢٥ رمضان سنة ٢٢١هـ ، ووصل إلى بيته[١]، وجاء إليه طبيب في بيته فقال: قد رأيت من ضُرِبَ ألف سوط، ما رأيت ضربًا مثل هذا، وجعل يعالجه ويقطع اللحم الميت من جسده، وأحمد صابر، ويجهر بحمد الله، وبقي أثر الضرب في ظهره حتى مات ـ رحمه الله ـ[٢]، وجعل كل من آذاه في حل بعد أن شفاه الله إلا أهل البدع، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّـٰلِمِينَ﴾[٣].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٠ـ٢٥٤، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٢ـ٣٣٥.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٥.

(٣) سورة الشورى، الآية ٤٠ .

وبعد أن توفي المعتصم، وولي الخلافة الواثق[1] فأظهر ما أظهر والده من القول بخلق القرآن، ثم جاءت رسالة إسحاق بن إبراهيم إلى أحمد، يقول فيها: «إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد، ولا تساكنني بأرض ولا مدينة أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله».

فاختفى أحمد ـ رحمه الله ـ بقية حياة الواثق في غير منزله، ثم عاد إلى منزله عندما طفىء خبره، ولم يزل مختفيًا في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق[2]، ثم ولي المتوكل[3] الخلافة فأظهر الله السنة، وفرج عن الناس، وقمع البدع وأهلها، ونصر أهل السنة[4].

وكتب الإمام أحمد رسالة عظيمة إلى المتوكل، وبين فيها الرد على من قال بخلق القرآن، واستدل على أن القرآن كلام الله بالبراهين القطعية من الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة، ودعا للمتوكل بالتوفيق وحسن العاقبة[5].

الله أكبر! ما أعظم هذه المواقف الحكيمة نحو كتاب الله ـ تعالى ـ؛ فإن الناس كلهم في الظاهر قد وافقوا المأمون على القول بخلق القرآن راغبين

---

(١) هو الواثق بالله هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٩٦هـ، وبويع بالخلافة بعد المعتصم في ربيع الأول ٢٢٧هـ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٤.

(٣) المتوكل على الله، هو جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة ٢٠٧هـ، وبويع بالخلافة بعد أخيه الواثق في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ، ونصر الله به الحق وأهل السنة، وقمع به أهل الباطل وبدعهم، ثم قتله ابنه محمد بمعاونة بعض أعداء الإسلام في شوال سنة ٢٤٧هـ، فرحمه الله وغفر له. انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٨-٢٨٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٨-٣٤٠.

(٥) انظر: نص الرسالة في سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٨١-٢٨٦، وهي من أعظم الرد على من قال بخلق القرآن، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٠، وانظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧-٣٥٨، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥-٣٤٢.

وراهبين، ولم يبق مُنكِرٌ لذلك إلا أحمد ومحمد بن نوح، ثم مات ابن نوح، وبقي أحمد وحده، فثبت واستعان بالله، فأثبت للناس أن القرآن كلام الله بقوله ومناظرته وفعله، وصبره على العذاب في عهد المأمون، ثم المعتصم[1]، ثم الواثق، ولولا الله وحده ثم الإمام أحمد لساد القول بخلق القرآن بين المسلمين، وخاصة عامة الناس، ولكن الناس ينظرون إلى أحمد وثباته وحججه وبراهينه، فثبتوا على القول بأن القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، وإن لم يظهروا ذلك للدولة، ولكن يعتقدون ذلك بقلوبهم، فحفظ الله كتابه، وأظهر الحق على يد الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المواقف الحكيمة.

---

(١) المعتصم: هو محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٨٠هـ ، وأمه أم ولد، بويع في عهد المأمون في ١٤/٧/٢١٨هـ ، وامتحن الناس بخلق القرآن، وشدد على الإمام أحمد وضربه بالسياط، وكتب إلى الأمصار يأمرهم بالقول بخلق القرآن، وبقي القول بخلق القرآن حتى أزاله المتوكل بعد ١٤ عامًا. مات المعتصم في ١١/٣/ ٢٢٤هـ ، وله ٤٧ سنة وسبعة أشهر. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٠٦/١٠.

المبحث الخامس : نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور

تمهيـــــد :

المطلب الأول : مواقف الإمام منذر بن سعيد البلُّوطي رحمه الله تعالى .

المطلب الثاني : مواقف سلطان العلماء : العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى .

المطلب الثالث : مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

المطلب الرابع : مواقف شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى .

تمهيـــد :

بعد أن انقرضت القرون المُفّضّلة ـ التي امتدحها رسول الله ﷺ بقوله : «**خير الناس قرني، ثم الذين يَلُونهم . . .**». الحديث[1]، بعد ذلك جاء أنـاس يشهـدون ولا يستشهـدون، وينـذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم الضعف والخور، والبدع والخرافات، والصد عن دين الله، ولكن ـ ولله الحمد والمنة ـ لا يزال حفظ الله لهذا الدين قائمًا، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ**﴾[2]، وتكفل الله باستمرار الحفظ إلى قيام السـاعـة، ولهـذا قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[3].

وبين ﷺ أن الله يبعث لأمته على رأس كل قرن من يجدد لها دينها، ويبين لها أحكام الكتاب والسنة، فقال ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[4].

وسـأتنـاول ـ إن شاء الله ـ في هذا المبحث نماذج من أبـطال الرجال وحكـمائهم، وأبين بعض مواقفهم التي تظهر فيها الحكمة في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ في المطالب التالية :

---

(١) البخاري مع الفتح ٥/ ٢٥٩، ومسلم ٤/ ١٩٦٤، وتقدم تخريجه.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩ .

(٣) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ٣/ ١٥٢٣، والبخاري مع الفتح ـ كتاب المناقب، باب حدثنا محمد بن المثنى ٦/ ٦٣٢.

(٤) أبو داود ٤/ ١٠٩، والحاكم ٤/ ٥٢٢، وتقدم تخريجه ص ٢٧٢

المطلب الأول : مواقف إمام علماء الأندلس : منذر بن سعيد البلُّوطي رحمه الله .

المطلب الثاني : مواقف سلطان العلماء : العز عبدالعزيز بن عبدالسلام رحمه الله .

المطلب الثالث : مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

المطلب الرابع : مواقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .

المطلب الأول : مواقف الإمام منذر بن سعيد البلُّوطي :

منذر بن سعيد[1] البلُّوطي له مواقف حكيمة في دعوته إلى الله ـ تعالى ـ تدلُّ على حكمته، وفضله، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ومن هذه المواقف الحكيمة على سبيل المثال ما يأتي:

١ ـ موقفه الحكيم مع سلطان الأندلس :

دخل المنذر بن سعيد يوماً على الناصر لدين الله[2] وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها، حيث ساق إليها أنهاراً، نقب لها الجبل، وأنشأها مدوَّرةً، وعدة أبراجها ثلاث مئة بُرج، شرفاتها من حجر واحد، وقسَّمها أثلاثًا: فالثلث المسند إلى الجبل قصورهُ، والثلث الثاني دور المماليك والخدم، والثلث الثالث بساتين تحت القصور. وعمل مجلسًا مُشرفًا على البساتين، صَفّحَ عُمُدَه بالذهب، ورصَّعه بالياقوت، واللؤلؤ، وفرشه بمنقوش الرخام، وصنع قدَّامه بحرةً مستديرة ملأها زئبقًا، فكان النور ينعكس منه إلى المجلس، وقعد في هذه القبة المزخرفة بالذهب والبناء

---

(١) هو: منذر بن سعيد بن عبدالله بن عبدالرحمن النَّفْزي القربطي، أبو الحاكم البلُّوطي، قاضي قضاة الأندلس في عصره، كان إمامًا عالمًا فصيحًا، خطيبًا بليغًا مفوَّهًا، شاعرًا أديبًا، فقيهًا محقِّقًا، كثير الفضل، جامعًا لصنوف من الخير والتقوى والزهد، ولم تحفظ عليه قضية جور مدة ولايته، وله كتب في القرآن والسنة على أهل الأهواء، وله اختيارات، ومن تصانيفه: كتاب «الإنباه عن الأحكام من كتاب الله»، وكتاب «الإبانة عن حقائق أصول الديانة»، واستسقى غير مرة، فأنزل الله المطر، وخطب يومًا فأعجبته نفسُه، فقال: (حتى متى أَعِظُ ولا أتّعِظُ، وأزجر ولا أزدَجر، أدلُّ على الطريق المُسْتدلِّين، وأبقى مُقيمًا مع الحائرين، كلاَّ إنّ هذا لَهُو البلاء المبين. اللهم فرغّبني لما خلقْتني له، ولا تشغلني بما تكفَّلْتَ لي به)، وذكر أنه ولد ـ رحمه الله ـ سنة ٢٦٥هـ، وقد توفي انسلاخ ذي الحجة، سنة ٣٥٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/ ١٧٣ـ١٧٨، والبداية والنهاية، ١١/ ٢٨٨، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحيّ بن العماد الحنبلي، ٣/ ١٧، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ٧/ ٨٢، والأعلام لخير الدين الزركْلي، ٧/ ٢٩٤، وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لعبدالله بن محمد الأزدي ابن الفارض، ٢/ ١٤٢.

(٢) سلطان الأندلس عبدالرحمن بن محمد المدعو: أمير المؤمنين الناصر لدين الله، قام بغزوات عديدة، وفتح سبعين حصنًا، توفي، في رمضان ٣٥٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٨/ ٢٦٥، ١٥/ ٥٦٢.

البديع الذي لم يُسبق إليه، وجلس عنده جماعة من الأعيان رؤوس دولته وأمـراؤه، فقال لهم: هل بلغكم أن أحدًا بنى مثل هذا البناء؟ فقال له الجماعة: لم نرَ ولم نسمع بمثله، وجعل جميع من حضر يثنون على ذلك البناء ويمـدحـونـه وأثنـوا وبالغوا، ومنذر بن سعيد القاضي ساكت مطرق لا يتكلم. فالتفت إليه الملك وقـال: ما تقـول أنت يا أبـا الحكم؟ فبكى القـاضي وانحـدرت دموعه على لحيته، وقال: والله ما كنت أظن يا أمير المؤمنـين أن الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ المهلك لصاحبه في الـدنيا والآخرة، ولا أنك تمكّنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضّلك به على كثير من الناس، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين. فقال له الخليفة: انظر ما تقول وكيف أنزلني منازل الكافرين؟ فقال: قال الله ـ تعـالى ـ: ﴿وَلَـوْلَآ أَن يَكُـونَ ٱلنَّـاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَـا يَتَّكِئُونَ. وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَـمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. فنكس الناصر رأسه طويلاً، وبكى، ثم قال: جزاك الله عنّا خيراً وعن المسلمين، وأكثر في المسلمين مثلك، الذي قلت هو الحق ثم قام عن المجلس وأمر بنقضِ سقف القبة، ونزعِ الذّهب والجواهر[2].

الله أكـبر ما أحكمه من موقف نُزِعَ بسببه الذهب والجواهر، وغُيّر به المنكر، وتأثر به الخليفة!.

وقد خطب منذر بن سعيد خطبة عظيمة في يوم الجمعة عندما حضر

---

(١) سورة الزخرف، الآيات ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير، ٧/٨٢، والبداية والنهاية، ١١/٢٨٨، وسير أعلام النبلاء، ٨/٢٦٧ ـ ٢٦٨ و ١٦/١٧٧ .

الناصر في جامع الزهراء[1] فأدخل في خطبته قوله ـ تعالى ـ : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَاتَّقُواْ الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2] . واسترسل يقول : ولا تقولوا : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ . إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ . وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[3] . ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[4] .

وقد قيل : إن الناس ضجوا بالبكاء وتأثر الخليفة بهذه الخطبة .

فرحم الله المنذر ما أحكمه ! : وجزاه الله خيراً .

٢ ـ موقفه الحكيم في تأثيره على الناس :

أصاب الناس قحط في بعض السنين ، فأمر القاضي : منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فصام أيامًا وتأهب . وقيل : إن عبدالرحمن الناصر هو الذي أمره بالاستسقاء للناس ، فلما جاءته الرسالة قال للرسول : كيف تركت الملك؟ فقال : تركته أخشع ما يكون ، وأكثره دعاءً وتضرعًا ، ففرح منذر بن سعيد بذلك وأمر غلامه أن يحمل ما يَقِيهِمْ من المطر ، وقال : سُقِيتُمْ والله إذا خشع جبار الأرض رحم جبّار السماء . ثم قال لغلامه : نادِ في الناس بالصلاة ، فجاء الناس إلى محل الاستسقاء ، ثم خرج القاضي منذر ، راجلاً ، متخشعًا ، ثم وصل المصلى وقام ليخطب ، والناس ينظرون

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، ١٦/ ١٧٧ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات ١٢٨ ـ ١٣٥ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات ١٣٦ ـ ١٣٨ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٧٧ .

إليه يسمعون ما يقول، فلما رأى الحال بكى، وافتتح خطبته بقوله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ثم أعادها مرارًا فضج الناس بالبكاء والنحيب والتوبة، والإنابة، وقال: استغفروا ربكم، وتوبوا إليه، وتقربوا بالأعمال الصالحات لديه، فجأروا بالدعاء والتضرع، وخطب فأبلغ، فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم[2].

وأخبار هذا القاضي كثيرة حسنة جدًا، ومنها: أنه استسقى مرةً فقال يهتف بالخلق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ. إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[3]. فهذا الموقف من أعظم المواقف الإيمانية الحكيمة؛ لأن الداعية إذا صدق مع الله ـ تعالى ـ وتأثر بما يدعو إليه، تأثر الناس في الغالب؛ ولهذا صدق منذر ففتح الله له قلوب الناس، واستجاب الله لهم فأنزل عليهم الغيث بفضله وكرمه.

فحري بالدعاة إلى الله ـ تعالى ـ أن يسلكوا مسالك الحكمة في دعوتهم إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٤.
(٢) انظر: الكامل لابن الأثير، ٧/٨٢، وسير أعلام النبلاء، ٦/١٧٦، والبداية والنهاية، ١١/٢٨٩.
(٣) سورة فاطر، الآية ١٥ ـ ١٦.

المطلب الثاني : مواقف سلطان العلماء : العز بن عبدالسلام :

العزُّ بن عبدالسلام، الملقب بسلطان العلماء[1]، له مواقف حكيمة كثيرة في دعوته إلى الله ـ تعالى ـ، فقد أزال بإنكاره الحكيم كثيراً من المنكرات، وباشر تبطيل بعضها بنفسه، ومن ذلك: إبطاله كثيراً من البدع المنتشرة: كصلاة الرغائب، وصلاة ليلة النصف من شعبان، وبدعة دق المنبر بالسيف[2]، وحكمته في بيع الملوك الأرقاء وصرف ثمنهم في بيت مال المسلمين[3]، وذوده الحكيم عن أموال المسلمين، ومن ذلك أن السلطان وعساكره ـ عندما دَهَمَتْ التتار البلاد عقب وقعة بغداد ـ استشاروا الشيخ فقال: اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر. فقال السلطان إن المال في خزانتي قليل وأنا أريد أن أقترض من التجار، فقال الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام وضربته سكة ونقداً، وفرقته في الجيش، ولم يقم بكفايتهم ذلك الوقت اطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا. فأحضر السلطان والعسكر ما عندهم من ذلك وامتثلوا أمره فانتصروا بإذن الله ـ تعالى ـ[4].

---

(١) هو : عبدالعزيز بن عبدالسلام، بن أبي القاسم، الشافعي، له مصنفات حسان، جمع علومًا كثيرة، وأفاد الطلبة، وولي خطابة دمشق، ثم سافر إلى مصر ودرّس بها وخطب، وحكم، وأعز الله به الإسلام والمسلمين، فلقبه شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ـ تلميذه ـ بسلطان العلماء، وسيرته ـ رحمه الله ـ مملوءةً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للملوك والسلاطين، فلم تأخذه في الله لومة لائم. وُلِدَ ـ رحمه الله ـ سنة ٥٧٧ هـ، أو ٥٧٨ هـ، وتوفي ـ رحمه الله ـ في عاشر جمادى الأولى، سنة ٦٦٠هـ، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله.

انظر : البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣٥، وطبقات الشافعية لعبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، ٥/ ٨٠ـ١٠٢، والأعلام لخير الدين الزركلي، ٤/ ٢١.

(٢) انظر : طبقات الشافعية للسبكي، ٥/ ٨٠ .

(٣) انظر : المرجع السابق، ٥/ ٨٤، وصفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام، لسليم بن عيد الهلالي، ص ٣١.

(٤) انظر : طبقات الشافعية، ٥/ ٨٣ .

ومن أعظم مواقفه الحكيمة التي تجلت حكمته فيها في دعوته إلى الله ـ تعالى ـ موقفه مع سلطان الديار المصرية: أيوب بن الكامل[1]، فقد دخل سلطان العلماء مرة إلى هذا السلطان في يوم عيد، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه وقد خرج على قومه في زينته، وأخذت الأمراء تُقبِّل الأرض بين يديه، والعزّ بن عبدالسلام يرى هذا الموكب العظيم، فالتفت ـ رحمه الله ـ إلى السلطان، وناداه: يا أيوب! ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أُبوِّيء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟! فقال: هل جرى هذا؟ فقال العزُّ: نعم الخانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون. فقال السلطان أيوب: يا سيدي! أنا ما عملته هذا من زمان أبي. فقال العزُّ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[2]، فرسم السلطان بإبطال تلك الخانة ومنع بيع الخمور. ورجع العزُّ منتصرًا، مسرورًا؛ لتغيير هذا المنكر، وقال له بعض تلاميذه (الباجي): يا سيدي كيف الحال؟ فقال العزُّ بن عبدالسلام: يا بني رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه؛ لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. فقال له: يا سيدي! أما خفته؟ فقال: والله يا بني لقد استحضرت هيبة الله ـ تعالى ـ فصار السلطان قدَّامي كالقط![3].

الله أكبر ما أحكم هذا الموقف الذي بسببه أُزيلت أم المنكرات، وأم الخبائث، مع ما أُزيل معها من المنكرات الأخرى، وانتشار الخير بين الناس.

فرحم الله العز بن عبدالسلام، وجزاه الله خيراً، ورفع درجته.

---

(١) هو الملك الصالح أيوب، ابن السلطان الملك الكامل محمد بن العادل، ولد سنة ٦٠٣ بالقاهرة، وتوفي في ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ١٨٧-١٩٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٢٢.

(٣) طبقات الشافعية، ٥/ ٨١ ـ ٨٢.

المطلب الثالث : من مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

منذ نهاية القرن الرابع الهجري بدأت عوامل الضّعف والانحلال تدب في كيان الأمة الإسلامية، وتوالت عليهم المحن والنكبات، فتعرضوا لموجات التتار من الشرق، والحروب الصليبية من الغرب، وبقيت بلاد الشام حوالي قرنين من الزمان تحت حكم الأوربيين، فاحتل الصليبيون دمشق وما جاورها سنة ٤٩١هـ ، وبيت المقدس سنة ٤٩٢هـ ، وظلت الحرب مستمرة بين المسلمين والإفرنج مدة طويلة، ثم احتل الإفرنج مدينة دمياط بمصر، وخرج التتار من أطراف الصين، فاحتلوا بلاد تركستان، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند، وبخارى، وغيرهما، ثم عبرت طائفة منهم إلى خراسان، وإلى حد العراق، ثم تمكن التتار عام ٦٥٧هـ أو ٦٥٦هـ من احتلال بغداد، وبذلك سقطت هيبة الخلافة الإسلامية، وانتهت الخلافة العباسية، وبعد ذلك احتل التتار بلاد الشام، ثم جاء بعد ذلك دور المماليك في القيادة الإسلامية[1].

ومن هذا يعلم أن شيخ الإسلام[2] ظهر في عصر قد اضطربت فيه السياسة والحكم وظهرت فيه انحرافات في العادات والتقاليد والسلوك والحياة، واشتدت فيه غربة الإسلام، وتفرقت كلمة المسلمين، وظهرت الفرق المخالفة لما كان عليه السّلف الصالح في العقائد والفروع، وخيّم الجمود الفكري والتقليد الأعمى، فأثر في الجو العلمي، وظهرت فرق

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣١٧، و ١١/ ٩٨، ١٢/ ١٥٥، ١٢/ ١٥٦-٣٣٢، ١٣/ ١-٢٢٧، ١٤/ ٢-١٧٣، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٦/ ٥-٣٤٥، ٧/ ١١-٣٢١، وشيخ الإسلام أحمد تقي الدين: جهاده ودعوته، للشيخ أحمد القطان ومحمد الزين ص ٨.

(٢) هو شيخ الإسلام وحافظ الدنيا المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي، ولد بحران يوم الاثنين ١٠/ ٣/ ٦٦١هـ ، وتوفي - رحمه الله - ليلة الاثنين ٢٠ من ذي القعدة ٧٢٨هـ ، انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ص ١٤، والبداية والنهاية، ١٤/ ١٣٥.

الشّيعـة، والصّـوفية المنحـرفة، والقبورية، ونفاة الصّفات: كالجهمية، والمعتزلة، والقدرية، وطغى علم الكلام والفلسفة حتى حلاًّ محلّ الكتاب والسنـة لدى الأكثـرية من المتعلمـين في الاستدلال، هذا كله في داخل المجتمـع الإسـلامي في ذلـك العصر، مع تكـالب أعدائه من الخارج، فحصل من البلاء ما الله به عليم(١).

في هذا الجو المعتم عاش شيخ الإسلام، فكيف يعمل حتى يصلح هذه المفاسد ويظهر النور في هذه الظلمات؟ ما هو الموقف الحكيم الذي سلكه حتى أنار الله به الطريق لهذا المجتمع وألزمهم بالكتاب والسنة والإجماع وعقيدة السلف الصالح الصافية النقية؟

وبـالنـظر في ذلـك نجد أن الشيخ ـ رحمه الله ـ وقف مواقف حكيمة لإظهار علم الكتاب والسنة، وقمع أهل البدع والأهواء.

ومن مواقفه في رفع وإزالة هذا البلاء الواقع ما يلي:

١ ـ عنايته بالعلم قبل العمل:

عندما علم شيخ الإسلام أنه لا يزيل هذه الظلمات إلا نور علم الكتاب والسنـة، بدأ بطلب العلم النـافـع، فتعلّم وتفقّـه، وهـذا مما يدلّ على حكمته؛ لأنه لا حكيم إلا بالعلم النافع، وفاقد الشيء لا يُعطيه.

٢ ـ بث النور ونشر العلم ونفع الأمة:

بعد أن تسلّح بسلاح علم الكتاب والسنة بدأ يبثّ النور بنشر العلم في هذا المجتمـع المعتم، ويؤسس أركانًا من تلاميذه حتى يستفيد الناس، وكان يحضر المحافل ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يُحار منه أعيان البلد في العلم والمواقف الحكيمة في دعوته إلى الله.

(١) انظر: من مشاهير المجددين في الإسلام للدكتور صالح بن فوزان، ص ٥٢.

٣ ـ مواقفه الحكيمة مع قازان وقوات التتار:

لم يقتصر الشيخ تقي الدين على طلب العلم النافع وتعليمه للناس، وترسيخ العقيدة في أذهانهم، وحثّهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، بل قد قام بتطبيق ما يدعو إليه، ويرغب في ثوابه من الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ، فقد هجم التتار على دمشق، وكانت حينئذ ولاية تابعة لسلطان المماليك في مصر، فجهّز السلطان جيشًا ليردّ التّتار عن بلاد الشام، فكانت الوقعة بين الجيش وقوات «قازان» في ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩هـ، ولكن كانت الغلبة لجيش التتار، وعادت عساكر السلطان إلى مصر، ودخل التتار إلى دمشق، وعاثُوا في الأرض فسادًا، وحينئذ اجتمع الشيخ تقي الدين بأعيان البلد، واتفقوا على السير إلى قازان في يوم الإثنين الثالث من ربيع الثاني سنة ٦٩٩هـ[١] والتحدث إليه، فلما وصلوا إلى قازان قائد التتار في بلدة النبك، المجاورة لدمشق، قابله الشيخ، وطلب منه الأمان لأهل دمشق، ورد الأسرى من المسلمين وأهل الذّمّة، ثم تكلّم معه كلام الأبطال الشّجعان، فأنزل الله الرّعب في قلب السّلطان، وسأل: من هذا الشيخ؟ فإني لم أر مثله، ولا أثبت قلبًا منه، ولا أوقع منه حديثًا في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادًا لأحد منه، فأُخْبِرَ بها له وما هو عليه من العلم والعمل، ثم قال له الشيخ بواسطة الترجمان: «إنك تزعم أنك مسلم، ومعك قاض، وإمام وشيخ، ومؤذنون، فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملا الذي عملت عاهدا فوفّيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفّيت، وجُرْتَ».

ثم قدَّم لهم قازان طعامًا فأكلوا، ولم يأكل ابن تيمية، فسُئل عن ذلك؟ فقال: كيف آكل من طعامكم، وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٤/٧، ١٤/١٠، ١٤/١٤.

بما قطعتم من أشجار الناس، فطلب منه قازان الدعاء، فقال في دعائه: «اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا؛ وليكون الدين كلّه لك، فانصره وأيّده، وملّكه البلاد والعباد، وإن كان إنّما قام رياءً وسمعةً وطلبًا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا، وليذلّ الإسلام وأهله، فاخذله وزلزله ودمّره واقطع دابره»، وقازان يرفع يديه ويؤمن على دعائه.

وقد خاف الناس على الشيخ القتل في هذا الموقف، ولكن الله أنزل الرّعب في قلوب أعدائه[1].

وقد أجابه قازان إلى حقن دماء المسلمين، وبلغه ما أراد، وردّ عليه الأسرى من المسلمين، فلم يقبل الشيخ حتى رد جميع الأسرى من المسلمين ومن أهل الذمّة من اليهود والنصارى، ثم رجع الشيخ مكرمًا معززًا، قد وفّقه الله ونصره لحسن قصده وإخلاصه في نيّته، فنفع الله به المسلمين وأعزّهم ونصرهم[2].

ولم يكن هذا الموقف هو الوحيد، بل له مواقف حكيمة ظهرت فيها شجاعته، منها حثّه السلطان على الجهاد، وذلك أنه ركب إلى مصر يطلب من السّلطان أن يُرسل جيوشًا، أو يتخلّى عن الشّام ويولّي عليه ابن تيمية غيره، فأجابه السلطان وأرسل الجيوش، وذلك سنة ٧٠٠هـ ثم رجع الشيخ من مصر إلى الشام، ووصل في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ٧٠٠هـ، وحثّ جميع الناس على الجهاد في سبيل الله، فوصلت الجيوش، ورجع جيش التتار، وعبر الفرات[3]، وكفى الله المؤمنين القتال.

ولم يقتصر ابن تيمية على ما سبق، بل له مواقف أخرى تدلّ على بطولته

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٨٩، وانظر: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد البيطار ص ٢٣-٢٥.

(٢) انظر: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لعمر بن علي البزار، ص ٧١-٧٤.

(٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٥، ١٦.

وحكمتـه، فقد جاء التّتار بجموعهم مرّة أخرى بعد أن عبروا الفرات، فجاءُوا سنة ٧٠٢هـ وهجمُوا على الدّيار الشامية، فقام ابن تيمية وحثّ سلطان مصر على الجهاد ورغّب فيه، وحثّ الناس أيضًا ورغّبهم في الجهاد في سبيل الله، ووعـدهم بالنصر من الله ـ عز وجل ـ، وكان يحلف بالله العظيم: إنكم في هذه الكرّة منصورُون. فيقول له الأمراء ومن معهم: قل ـ إن شاء الله ـ، فيقول: ـ إن شاء الله ـ تحقيقًا لا تعليقًا. وكان يتأول قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[1]، وقد كان الله عند حسن ظنّه به؛ فإنه كان يحلف لهذه الآية، وثقة بالله ـ تعالى ـ وأنه لا يخلف وعده، ثم التقى المسلمون بالتّتار في يوم السبت الثاني من رمضان سنة ٧٠٢هـ في وقعة «شقحب»، فامتـد القتـال من عصر يوم السبت إلى السـاعة الثانية من يوم الأحد، واشترك ابن تيمية في المعركة بلسانه ويديه وسيفه، وبكل ما يملك من قوة وبلاغة في تثبيت الأمراء والجنود وجميع الجيش، وقد كان السلطان يقول لابن تيمية في هذه المعركة: يا خالد بن الوليد! فيقول ابن تيمية: قل يا ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، واشتدت المعركة، وحلف ابن تيمية للناس بالله الذي لا إله إلا هو إنكم لمنصورون، وأمر الناس بالإفطار، وأفطر هو أمامهم، ثم أنزل الله النصر على المسلمين، ثم هرب التتـار، واقتحمـوا الجبال والتلول والآكام، وصاروا يتساقطون في الأودية، وهربوا ليلًا، وغرق منهم خلق كثير في الفرات بسبب الظلام، وعاد الشيخ ومن معه إلى دمشق في اليوم الخامس من رمضان سنة ٧٠٢هـ، وقد نصرهم الله تعالى[3].

---

(١) سورة الحج، الآية ٦٠ .

(٢) سورة الفاتحة، الآيتان ٤، ٥ .

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٢-٢٦، وأوراق مجموعة من حياة ابن تيمية ص ٣٣.

ولـه مواقف بطولية فذّة حكيمـة مع السّـلاطـين، تدلّ على صدقـه وإخلاصه وشجاعته في الحقّ[1].

وقـد ظهرت حكمة ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ أثناء لقائه مع التتار وقائدهم في النقاط الآتية:

١ ـ **طلبه الأمان لأهل دمشق على دمائهم وأعراضهم وأموالهم**، فأجابه قازان إلى ذلك.

٢ ـ **إصراره على ردّ جميع الأسرى** من المسلمين وأهل الذّمّة.

٣ ـ **جرأته وشجاعته** في الكلام مع قازان حتى أنزل الله الرّعب في قلبه.

٤ ـ **تذكيره لقازان بنقضه للعهد**، ولا سيما وهو يدعي الإسلام.

٥ ـ **عدم أكله من الطّعام الذي قدّمه قازان**؛ لأنه من أغنام الناس المنتهبة، وقد أوقد عليه بما قطع من أشجارهم.

٦ ـ **دعاؤه الذي دلّ على حكمته** وعدله ونصرته لدين الله تعالى.

٧ ـ **حثّه سلطان المسلمين على الجهاد في سبيل الله** ـ تعالى ـ، أو يتخلّى عن الشّام، ويولّي غيره ممن يحمي حوزة الدّين ويذبّ عن أعراض المسلمين وأموالهم.

٨ ـ **حثّه الناس على الجهاد وإقسامه** بأن الله سينزل النّصر على المسلمين، وهذا يدلّ على ثقته بالله ـ تعالى ـ وبوعده وأنه لا يخلف الميعاد،

---

(١) انظر موقفه مع الملك الناصر لدين الله في حياة ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار ص ٢٥، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٧٤.
وللشيخ مواقف أخرى في جهاده مع الباطنية سنة ٧٠٥هـ في ثاني محرم، فقد خرج إليهم مع نائب السلطان، فهزمهم الله، وقتلوا منهم خلقًا كثيراً.
انظر: ابن تيمية: جهاده ودعوته، للقطان ص ٥٠.

ولهذا ازداد المسلمون شجاعةً وإقدامًا، فأنزل الله النصر، وهزم أعداء المسلمين.

٩ ـ مشاركته الفعلية في الدّفاع عن المسلمين بلسانه ويده وسيفه.

١٠ ـ قوله لسلطان المسلمين حينما قال له عند اشتداد المعركة: «يا خالد ابن الوليد»، فقال ابن تيمية: قل: يا **﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**.

فرحم الله ابن تيمية وغفر له.

وهكذا ينبغي لكل داعية إلى الله أن يظهر من عمله ما يصدق قوله، رغبة فيما عند الله والدار الآخرة، وبذلك يفتح الله له قلوب العباد وأسماعهم، وتظهر دعوته إلى الله، ويظهر أثرها، وأثر إخلاص صاحبها مع الله عز وجل.

٤ ـ مناظراته الحكيمة:

من مواقفه الحكيمة مناظراته التي غلب فيها أخصامه وأعجزهم، وانقادوا له طوعًا أو كرهًا، فقد كان شيخ الإسلام على عقيدة السّلف الصّالح، ويعض على هذه العقيدة بالنّواجذ، ويبذل جهده ووقته، وفكره في إرجاع جميع الطوائف المنحرفة إلى هذه العقيدة، ويرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة ودوائها قديمًا وحديثًا.

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ شديد الانتصار لمذهب السّلف والدّفاع عنه بالحُجج النقليّة والعقليّة، وقد عقدت له مناظرات في مصر والشام، كان معظمها يحوم حول هذه القضية[1]، ومن هذه المناظرات على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

---

(١) انظر: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بهجة البيطار ص ٢٧.

(أ) **المناظرة الأولى : في العقيدة الواسطية** التي كتبها لرضى الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي، حينما طلب منه بإلحاح أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته في مدينة واسط، فكتبها الشيخ، وانتشرت بين الناس، مما أدى إلى ثورة كثير من علماء الجهمية والاتحادية والرّافضة، وغيرهم من ذوي الأحقاد، فسعى هؤلاء إلى السلطان في البلاد المصرية، فكتب السلطان إلى نائبه على بلاد الشام يأمره بجمع قُضاة المذاهب الأربعة، وغيرهم من نوابهم، والمفتين، والمشايخ، وعندما وصل الكتاب إلى أمير الشام جمع قضاة المذاهب الأربعة والعلماء، والشيخ تقي الدين في قصر الولاية بدمشق، وذلك يوم الاثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥هـ، ثم بدأ المجلس وقراءة العقيدة الواسطية من أولها، ومناقشة الشيخ ومناظرته بحضور الأمير، فناظرهم الشيخ، ورد عليهم، وبيّن لهم مذهب السّلف الصّالح، وأن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة وإجماع السّلف، وصار يُناظر أصحابَ المذاهب، فكان أعلم بمذاهبهم منهم، وأعجزهم أمام الأمير، ثم انتهى المجلس الأول.

واجتمعوا للمجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة الثاني عشر من رجب سنة ٧٠٥هـ، وقد أحضر قُضاة المذاهب الأربعة، معهم صفي الدين الهندي، وتكلّم مع الشيخ تقي الدين كلامًا كثيرًا، ولكن ساقيته لاطمت بحرًا عميقًا، ثم استلم من ناظره عقبه، فكان كالبحر الزاخر، حتى إن هؤلاء القضاة والعلماء عجزوا عن مناظرته؛ لأنه كان يرد عليهم بالكتاب والسنة والآثار عن السّلف الصّالح، وكان يلزمهم بالكتاب والسنة، ويدعوهم إلى التمسك بمذهب السّلف الصّالح، ويبيّن لهم أنه لم يضع هذه العقيدة من ذات نفسه، وليس لأحد أن يُشرّع للناس ما لم يأذن به الله، وإنما العقيدة تؤخذ من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف

هذه الأمة، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ وجب على كل مسلم أن يُثبته لله من غير تحريف ولا تَعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، وما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ وجب نفيه عنه، لأنه تعالى أعلم بنفسه.

وانتهى هذا المجلس بعجز المجلس أمام الأمير عن ابن تيمية، فخرج الشيخ والناس يحملون له الشمع إلى منزله على عادتهم في ذلك.

ثم عُقد المجلس الثالث في اليوم السابع من شعبان سنة ٧٠٥هـ في القصر، واجتمع الجماعة كلهم على الرضى بالعقيدة الواسطية، وأخذ بعضهم يمدح الشيخ ويُثني عليه، وكان هذا كله أمام رئيس المجلس نائب السلطان[(١)].

فأظهر الله الحقّ، وأبطلَ الباطلَ، وظهرت حكمة ابن تيمية أمام الجميع، فجزاه الله خير الجزاء.

(ب) المناظرة الثانية التي أعزّ الله بها أهل السنة وخذل بها أهل البدع والخرافات، وذلك أن الطائفة الأحمدية البطائحية[(٢)] كانوا يُخالفون الشيخ تقي الدين في عقيدة السّلف الصّالح، وكان يأمرهم باتّباع الكتاب والسنة، وينكر عليهم فعلهم وأحوالهم الشيطانية.

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة ٧٠٥هـ حضر هؤلاء المبتدعة في جموع هائلة إلى قصر نائب دمشق، يسألون نائب السلطان أن يكفّ

---

(١) انظر المناظرة مطولة بالتفصيل في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/ ١٦٠-٢٠١، وحياة ابن تيمية، لمحمد بهجة البيطار ص ٢٧، والبداية والنهاية - بألفاظ مختصرة ومفيدة - ١٤/ ٣٦، ٣٧.

(٢) البطائحية: الطائفة المعروفة بالرفاعية، نسبة إلى البطائح التي سكنها الشيخ أحمد الرفاعي، ويقال لها أيضًا: الرفاعية والأحمدية، نسبة إلى لقبه أو اسمه: أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد، المعروف بابن الرفاعي، وكان رجلًا صالحًا فقيهًا شافعيًا، ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والنزول في التنانير وهي تشتعل فيطفئونها. . . انظر: وفيات الأعيان ١/ ٧١.

عنهم الشيخ ابن تيمية ومذهبه السّلفي، وعندما رآهم الناس اجتمع عليهم جَمٌّ غفير، ولكن الأمير لم يقبل منهم إلا بحضور الشيخ ومناظرته، فأرسل إليه ووصل، وسأله الأمير، فأخبره ابن تيمية أن هؤلاء من أهل البدع، وقد أفسدوا من دين المسلمين ما الله به عليم، وذكر له جميع ما يعرف عنهم، وأنه ينهاهم عن البدع وهم يأتون بأحوال شيطانية، ومنها دخولهم النار، واستعد الشيخ أنهم إن دخلوا النار في هذا اليوم فسيدخل معهم، ومن احترق فعليه لعنة الله، ولكن بعد غسل الأجسام بالخل والماء الحار؛ لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج، فإذا غسلت الأجسام بطلت الحيلة، وحضر شيوخهم الأكابر يطلبون من الأمير الإصلاح، والعفو عن الماضي والتوبة، واتباع الكتاب والسنة، فقبل منهم ابن تيمية، ولكن عارض شيخ آخر من الصوفية، فناظره ابن تيمية فغلبه أمام الجموع الغفيرة.

وتحدّاهم ابن تيمية في مشارق الأرض ومغاربها بأيّ شيء يصنعونه في النار من حيلهم فسيصنع مثلهم بشرط الغسل.

ولحكمة ابن تيمية قال: يكفي في ذلك قنديل يوقد داخل أصبع المناظر منهم وابن تيمية بعد الغسل، وعندما سمع الصوفية ذلك انهزموا أمام الجموع، وأقروا بالتزام الكتاب والسنة، وطلب ابن تيمية من الأمير أن يضرب عنق من خالف منهم الكتاب والسنة، فأعلن الأمير ذلك للناس، وأن من خالف الكتاب والسنة ضُرِبَ عنقه، وطلب الصوفية من الشيخ الكتب الصحيحة، فبُذِلَت لهم، وتفرَّق الجميع على التّوبة[1]، وسُمِعَ

(١) انظر: هذه المناظرة مطولة في مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٤٤٥-٤٧٥، وقد سقتها بالمعنى، وانظر مناظرات أخرى في مواقف حكيمة أخرى مفيدة جدًا، في مجموع الفتاوى ١١/ ١٣٥-١٥٦، ومناظرة في العقيدة الحموية التي كتبها الشيخ سنة ٦٩٨هـ لأهل حماة في البداية والنهاية ١٤/ ٤.

الناس يقولون: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ﴾[1].

وهذا موقف حكيم يدل على حكمة الشيخ ابن تيمية وإخلاصه وصدقه مع الله، ولهذا تاب على يديه هذا الجمّ الغفير، جعله الله في موازين حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذا ما يطمع فيه الداعية المخلص.

٥ ـ مواقفه في إصلاح أهل السجون :

ومن مواقفه الحكيمة ما فعله في السجون من أعمال حكيمة جبارة، وجهود مشكورة مُسدّدة، نفع الله بها الناس، وأنقذهم بها من الضّلال إلى الهُدى.

ومن هذه المواقف الحكيمة ما يأتي :

(أ) **عندما سجن في سجن القُضاة بمصر**، في الثامن عشر من شوال سنة ٧٠٧هـ أخذ يعلم السّجناء ويُرشدهم ويعظهم بالأساليب الحكيمة، فهدى الله على يديه خلقًا كثيرًا، وقد كانت تأتيه الفتاوى المشكلة فيكتب عليها بما يُحيرّ العقول من الكتاب والسنة.

(ب ـ) **وسجن في الإسكندرية** في أول يوم من ربيع الأول سنة ٧٠٩هـ فنزل بها ببرج متسع، فوجد بها منكرات عظيمة، فنفع الله به أهل الإسكندرية، فقد بين لهم الحق وحذّرهم من البدع والمنكرات.

(جـ) **وسجن في قلعة دمشق مرات**، وآخر ذلك في ستة عشر من شوال سنة ٧٢٦هـ ففرح بذلك وقال: أنا كنت منتظرًا لذلك، وهذا فيه خير كثير

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان ١١٨، ١١٩ .

ومصلحة كبيرة، وأقبل في هذه المدة على التلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين، وكتب في مسألة زيارة القبور البدعية، وبيَّن الزّيارة الشّرعية.

وكان - رحمه الله - داعية عظيمًا حكيمًا أينما كان، ولهذا كان لا يهمّه الإفراج عنه من السجن ما دام باستطاعته نشر العلم بقلمه ولسانه، ولهذا كان يقول: «ما يصنع أعدائي بي؟! إن جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي لا تفارقني، إنّ حَبْسِي خلْوَة، وقتلي شَهادة، وإخرَاجي من بلدي سِيَاحة».

(د) **ومن أعظم ما يدلّ على حكمة** ابن تيمية وقوته في الحق وثباته عليه ما فعله في آخر حياته في سجن قلعة دمشق من كتابته بالفحم.

ففي التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧٢٨هـ مُنِعَ الشيخ من جميع أدوات الكتابة، وأرسلت جميع مسوداته وأوراقه إلى المكتبة العادلية، وكان ذلك في نحو ستين مجلدًا، فصار يكتب بالفحم، وقد كان ذلك له صدمة عنيفة آلمته كثيراً، ولكنه ثبت واستخدم الفحم، وهذا يدل على قوة عزيمته، مع أنه ختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين مرة، ولكنه بعد هذه الصّدمة لم يبق إلا يسيرًا، حيث مات - رحمه الله - يوم الاثنين في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ[1].

وبفضل الله - تعالى -، ثم بهذه الخطوات الحكيمة أنار ابن تيمية الأرض التي مشى عليها أمة محمد ﷺ، فقد نشر علم الكتاب والسنة، وجاهد بلسانه ويده، وناظر وغلب جميع أخصامه، وعمل أعماله الحكيمة في السجون فحولها - بفضل الله - من بيئة فاسدة إلى بيئة صالحة مؤمنة، فجزاه الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٣٧-٩٧، ١٢٣-١٤٠، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٧٣، وحياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار ص ٣٤، ٣٥، وشيخ الإسلام جهوده ودعوته لأحمد القطان ومحمد الزين ص ٧٠.

المطلب الرابع : مواقف الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله :

كانت حالة المسلمين قُبَيْل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1] - رحمه الله - حالة لا يرضاها مؤمن، حيث كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد خاصة، وفي غيرها من بلاد المسلمين عامة.

لقد كان في بلدان نجد من الشرك الأكبر والأصغر ما الله به عليم، حيث عدل الناس إلى عبادة الأولياء والصّالحين والمجانين: أحيائهم وأمواتهم، يستغيثون بهم في النوازل والحوادث، ويستعينون بهم على قضاء الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، وعبدُوا القباب والأحجار والأشجار والغيران، واشتهر في نجد: السّحرة والكهنة والعرّافون، وسؤالهم وتصديقهم[2].

وكان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - في قرية الجبيلة، يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوائب، وقضاء الحاجات.

وكانوا يزعمون أن في قريوة في الدّرعية قبور بعض الصّحابة، فعكفوا على عبادتها، وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفًا ورهبةً، فتقرّبوا

---

(١) هو شيخ الإسلام، الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، ودرس على والده، ثم حج وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف، ثم زار المدينة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد وقصد البصرة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى الأحساء، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد، ودعا إلى التوحيد الخالص فنفع الله به العباد، وأنقذهم به من الشرك. توفى - رحمه الله - سنة١٢٠٦هـ، انظر: تاريخ نجد لحسين بن غنام، ص ٧٥، وعلماء نجد خلال ستة قرون، ١/ ٢٧.

(٢) انظر: تاريخ نجد، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١/ ١٠-٧٢، وعنوان المجد في تاريخ نجد، للشيخ عثمان بن عبدالله ابن بشر، ١/ ١٩، والإمام محمد بن عبدالوهاب: دعوته وسيرته للعلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، ص ١٢.

إليهم وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله! وكانوا يأتون في شعيب غبيرا من المنكر ما لا يعهد مثله، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذب محض وبهتان مثّله لهم إبليس، وفي أسفل الدرعية غار كانوا يرسلون إليه اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا، وكان عندهم رجل من الأولياء ـ في زعمهم ـ اسمه تاج، سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور، وتوجهوا إليه بالدّعاء واعتقدوا فيه النّفع والضرّ.

وانتشر الشرك في الحرمين الشريفين، وفي الطائف، وجدة، ومصر، واليمن[1].

فكيف يعمل محمد بن عبدالوهاب في إزالة هذه العظائم، وما هو موقفه الحكيم لتغيير هذه الشّركيات والخرافات؟!

خطواته الحكيمة في إصلاح الأمة وتبديد الظلام:

عندما رأى الشيخ هذه المنكرات علم أنه لا يزيلها إلا قوة عظيمة، وعلم مبنيٌّ على فهم الكتاب والسنة، وعند ذلك عمل الخطوات الحكيمة التالية:

١ ـ عنايته بالتوحيد وتطبيقه:

من أعظم خطواته الحكيمة أنه بدأ يتعلّم التّوحيد بأدلّته من الكتاب والسنة، وطلب العلم النافع؛ لأنه السلاح الفتّاك بهذه الشّركيّات[2].

---

(١) انظر: تاريخ نجد، للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١/ ١٠ـ٧٨، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ١/ ١٩ـ٣٠.

(٢) انظر: بحوث الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٢٦٤، ١/ ١٠٤، ١٠٥، والإمام محمد بن عبدالوهاب، سيرته ودعوته لعبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ص ١٦، ١٨، وعلماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبدالرحمن بن عبدالله البسام ١/ ٣١ـ٣٣.

٢ ـ بدأ بَدعوته في عشيرته :

بعد أن تسلح بسلاح العلم النافع ومعرفة أحوال الناس بدأ بدعوته في عشيرته في بلدة العيينة، وواصل طلب العلم، ورحل في طلبه، ثم رجع إلى حريملاء، وذلك ـ والله أعلم ـ سنة ١١٤٠هـ، لأن والده انتقل إليها سنة ١١٣٩هـ وأخذ يسلك طريق الحكمة في إزالة الشّركِيّاتِ في الأقوال، والأفعال، وتوفي والده سنة ١١٥٣هـ، فجهر بالدعوة وازداد نشاطه، وجلس للتدريس والإفادة وتقرير العقيدة وتثبيتها في نفوس أهل حريملاء، ونشر شرائع الإسلام وكاتب العلماء والأمراء، فكثر طلابه؛ ولكنه لم يجد قوة السلطان لدعم دعوة التوحيد[1]، فسلك طريق الحكمة للبحث عن ذلك.

٣ ـ بحثه عن دعم قوة الدّعوة بالسلطان:

عندما جرب الشيخ أهل حريملاء، ولم ير هناك من يقتلع أصول الشركيات، ولا من يحمي الـدّاعية والدّعوة حتى تنجح، ولا يمكن أن يُصلح هذه المجتمعات إلا معاول تهدمها، وأيدي سلطة تقلعها؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[2]، ولذلك خرج الشيخ من حريملاء إلى العيينة، ونزل على أمير العيينة فأكرمه، وعرض عليه الشيخ دعوة التّوحيد فقبلها، ونصر الشيخ ودعوته، وألزم الخاصّة والعامّة بامتثال أمر الله ـ تعالى ـ، فأعلن الشيخ دعوته، وهدم القباب على القبور، وقطع الأشجار، وكسر الأحجار التي يقصدها الناس بالعبادة، ولم يبق شجر، ولا حجر، ولا قُبّة على قبر، ولا وثن يُعبد في البلاد التي تحت حكم عثمان بن معمر، وأقيم حدّ الزّنا، وعلت كلمة الحق.

---

(١) انظر: بحوث الشيخ لجامعة الإمام محمد بن سعود ١/ ٢٦٤، ١/ ١٠٤، ١٠٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/ ١٠٤، ١٠٥، ٢٦٤.

ثم إن عثمان تخلّى عن نصرة الشيخ بأمر من أمير الأحساء، فهاجر الشيخ إلى الدرعية، وعرض دعوته على محمد بن سعود فرحّب به، وقبل دعوته، واستعدّ بنصره وما يدعو إليه، وذلك سنة ١١٥٨هـ(١).

٤ ـ غَرْسُ التّوحيد في قلوب الناس وتصحيح عقيدتهم :

بعد أن حقّق الشيخ أمنيته العظيمة من وجود ما يدعّمه من قوة السلطان ووجود الأعوان، لقول عثمان ـ رضي الله عنه ـ: «إن الله يَزَعُ بالسّلطانِ ما لا يَزَعُ بالقرآنِ».

وبعد أن رأى الأنصار والطلاب يفدون إليه في الدرعية، أخذ يغرس في نفوسهم أعظم سلاح، وأعظم قوة ينتصر بها على أعدائه: ألا وهي قوة التّوحيد الخالص، والإيمان الكامل، لعلمه ـ رحمه الله ـ أن نُصْرَةَ الحقِّ تحتاج إلى إيمان قوي مبني على فهم الكتاب الكريم والسنة المطهرّة، كما تحتاج إلى دعم سلطان وسيف وسنان، يقمع به كل مارد شيطان(٢).

وهذا من أعظم مواقف الحكمة، فإنه عندما دخل الدرعية وجد أهلها في غاية الجهل، وقد وقعوا في الشّرك الأكبر والأصغر كغيرهم، والتهاون بالصّلاة والزّكاة ورفض شعائر الإسلام، فجعل يتخوّلهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويُفهمهم معنى لا إلـه إلا الله، ويشرح لهم معنى الأُلوهية، وأن الإلـه هو الـذي تُألّهه القلوب: محبةً وخوفًا ورجاءً، وأن الإسلام هو الاستسلام لأمر الله ـ تعالى ـ، والانقياد له، والإذعان بالعبادة، والخضوع، والذلّ، والإنابة، والتوكّل، والرّغبة، والرّهبة. ويعلمهم

---

(١) انظر: عنوان المجد ١/ ٢١-٢٤، وتاريخ نجد لابن غنام ٧٨-٨١، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته لأحمد بن حجر آل بو طامي ص ٢٢.

(٢) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٢١٨، ١/ ٢٥٨.

أصول الدين والإسلام، وقواعده، ومعرفة نبيّهم، ونسبه، ومبعثه، وما دعا إليه، وهي لا إلـه إلا الله، وما تضمنته، وأنهم مبعوثون بعد الموت.

وأخذ على ذلك ما يقارب سنتين ـ بعد قدومه إلى الدرعية ـ وهو يغرس هذه الدعائم[1].

ومن أعـظم ما غرس في نفـوس المهـاجرين إلى الدرعية من البلدان المجاورة والأنصار من أهل الدرعية: هو تدريسه لهم جميعًا كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وغرسه في أذهانهم، وكان آل سعود: الأمير محمـد وأبنـاؤه يحضرون دروس الشيخ صباحًا ومساءً، في المسجد، وفي البيت، والمجامع الخاصة، فأثمر ذلك قوة الإيمان في نفوس الدولة الجديدة من الأمير إلى أصغر واحد من المهاجرين والأنصار[2].

وعندما قام الشيخ بهذا الموقف العظيم الحكيم، واستقر في قلوبهم معرفة التوحيد وضده من الشرك بعد الجهالة والضّلالة والعمى والظّلام الدامس، بعد ذلك أُشرِب حبّ الشيخ وما جاء به من التّوحيد في قلوبهم، والتحم رابط المحبة في الله بين أهل الدرعية والمهاجرين إليهم فآووهم، وأصبحت هذه القوة قوة ضاربة قد رُبِّيت على التوحيد، والرغبة فيما عند الله، والدار الآخـرة، ودُعِمَت بقوة السلطان والسيف، والسنان، والحُجّة والبرهان، وقُوّة البيان.

وحينئذ أصبح صاحب الدعوة لا يخشى إلا الله وحده سبحانه.

---

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر ١/ ٢٦، وتاريخ نجد «روضة الأفكار والأفهام...» للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١/ ٨١.

(٢) انظر: إمام التوحيد، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الدعوة والدولة، لأحمد القطان ومحمد الزين ص ٤٥.

٥ ـ خطواته الحكيمة في الرجوع بالناس إلى الكتاب والسنة:

علم الشيخ أن النـاس لا يصلحهم ولا يردهم إلى الحق الـواضح والتـوحيد الخـالص إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(١)، وتيقن أن الله سينصره إن هو قام بذلك: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾(٢).

وعند ذلك سلك المسالك الآتيـة :

(أ) **جعـل القـواعـد الأربـع** التي قرّر بها توحيد العبـادة (تـوحيد الألـوهيـة)، فبـيّن أن الله ـ تعالى ـ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه وحده، والعبادة لا تُسمّى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخلَ الشركُ في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطّهارة، ثم أوضح ذلك بهذه القواعد:

القاعدة الأولى : العلم بأن الكفارَ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بتـوحيد الـربـوبية، وأن الله الخالق الرازق المدبّر، ولم يدخلهم ذلك في الإسـلام، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٣).

القاعدة الثانية : أنهم يقولون: ما دعوناهم إلا لطلب القربة والشّفاعة، ومع ذلك حكم الله بكفرهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٩ .

(٢) سورة غافر، الآية ٥١ .

(٣) سورة يونس، الآية ٣١ .

لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[2].

القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصّالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشّمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرّق بينهم فدلّ ذلك على أن عبادة غير الله باطلة مهما تنوعت واختلفت.

القاعدة الرابعة: أن الشيخ حكم على مشركي زمانه أنّهم أشدّ وأغلظ شركًا من الأولين؛ لأن الأولين يُشركون في الرّخاء ويخلصُون في الشدّة، ومشركو زمانه شركهم في الرّخاء والشدّة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[3].

وهذا من المواقف الحكيمة والاستنباطات السديدة[4].

(ب) بيّن للناس وأرشدهم إلى ما به الفلاح والنّجاح، وجعل ذلك في أربع مسائل تسهل على كل مسلم فيحفظها، ويفهم معانيها، وفهمها من مقتضى الإسلام، وهي كالتالي:

المسألة الأولى : العلم، ثم بيّن المراد به بأنه معرفةُ اللهِ، ومعرفة النبي ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلّة.

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣ .

(٢) سورة يونس، الآية ١٨ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٥ .

(٤) انظر: القواعد الأربع في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقائد ص ١٩٧، مطبوعات الجامعة، وانظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٣٣١.

المسألة الثانية : العمل بالعلم .

المسألة الثالثة : الدعوة إليه .

المسألة الرابعة : الصّبر على الأذى فيه، وساق على ذلك أدلة من الكتاب الكريم[1] .

(جـ) **أرشد الناس، وبيّن لهم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن** يتعلّم ثلاث مسائل، ويعمل بهن :

المسألة الأولى : أن الله خلق العباد ورزقهم، ولم يتركهم هَملاً؛ بل أرسل إليهم رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

المسألة الثانية : أن الله لا يرضى أن يُشْرَكَ معه أحد في عبادته، لا ملكٌ مُقَرّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ.

المسألة الثالثة : أن من أطاع الرسول ﷺ ووحد الله لا تجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.

وذكر لكل مسألة دليلاً صريحًا[2] .

(د) **بيّن الأصول الثلاثة** التي يجب على كل مسلم معرفتها، وهي : معرفة الله، والنبي ﷺ، ودين الإسلام، بالأدلّة من الكتاب والسنة لكل جزئية من هذه الأصول.

وقد جعل الأصل الثالث ـ وهو معرفة الدِّين ـ ثلاث مراتب : **الإسلام**،

---

(1) انظر: هذه المسائل الأربع مع أدلتها في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية، ص ١٨٥ ، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ١/ ٣١٧.

(2) انظر: هذه المسائل الثلاث مع أدلتها في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٨٦، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٣١٥.

والإيمان، والإحسان، وبين أركان كل مرتبة من هذه المراتب ومعاني ذلك كله، واستدل بالأدلة من الكتاب والسنة[1].

ثم صاغ هذه الأصول الثلاثة عن طريق السؤال والجواب، لتلقين عامة الناس لكي يرسخ الإيمان الكامل والعقيدة الصّحيحة في قلوبهم[2].

(هـ) **لم يغفل الشيخ الفروع والاعتناء بالفقه**، بل قد أدى له جملة من الاهتمام، وقد ألزم نفسه ـ رحمه الله ـ أن يسير في دعوته على هدي الكتاب والسنـة، واعتنى بالقـواعد الجامعة للأحكام، فوضع أربع قواعد تدور عليها جميع الأحكام، فقال رحمه الله :

«هذه أربع قواعد من الدين التي تدور عليها الأحكام، وهي من أعظم ما أنعم الله ـ تعالى ـ به على محمد ﷺ وأمته، حيث جعل دينهم دينًا كاملاً وافيًا، أكمل وأكثر علمًا من جميع الأديان، ومع ذلك جمعه لهم ـ سبحانه وتعالى ـ في ألفاظ قليلة، وهذا مما ينبغي التفطن له قبل معرفة القواعد الأربع . . . »[3].

واستدل على أن الله جمع ذلك للنبي ﷺ بقوله ﷺ : «**وأعطيت جوامع الكلم**»[4]، وهو أن الله ـ عز وجل ـ جمع له المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة.

---

(١) انـظر: الأصـول الثلاثة مدعومة بالأدلة القطعية في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ص ١٨٧ .

(٢) انظر تلقين العقيدة للعامة في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٧٠، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٣٤٦.

(٣) انظر: القواعد الأربع في القسم الثاني من مؤلفات الشيخ، الفقه، المجلد الثاني ص ٣، وبحوث أسبوع الشيخ ١/ ٢٢٦، ١/ ٢٧٢-٢٧٤ .

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب التعبير، باب رؤيا الليل ١٢/ ٣٩٠، برقم ٦٩٩٨، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١/ ٣٧١.

ثم ذكر القواعد التي تدور عليها جميع أحكام الدين:

• **القاعدة الأولى**: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾(1).

• **القاعدة الثانية**: أن كل شيء سكت عنه الشرع فهو عفو، لا يحلّ لأحد أن يُحرّمه أو يُوجبه أو يستحبه أو يكرهه، لقوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾(2).

وقال ﷺ: «**وسكت عن أشياء رحمةً بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها**»(3).

• **القاعدة الثالثة**: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزّيغ، كالرّافضة والخوارج، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ**﴾(4).

والواجب على المسلم اتباع المُحْكَم، وإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم: ﴿**ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾.

---

(1) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

(2) سورة المائدة، الآية ١٠١.

(3) أخرجه الدارقطني ٤/ ٢٩٧، ٢٩٨، وقال النووي في الأربعين: حديث حسن.

(4) سورة آل عمران، الآية ٧.

• **القاعدة الرابعة** : أن النبي ﷺ ذكر أن الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مُشْتَبَهَات[1]، فمن لم يفطن لهذه القاعدة، وأراد أن يتكلّم على مسألة مشتبهة بكلام فاصل فقد ضلّ وأضَلّ.

فهذه ثلاث قواعد ذكرها الله في كتابه، والرابعة ذكرها النبي ﷺ، وهذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب الذي يُسمّى علم السّلوك، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام والأحكام، الذي يسمى علم الفقه، أو في علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدّين[2].

ومما سبق يَتّضِحُ للقارىءِ أن أهمّ الأصول التي أحياها الشيخ ودعا إليها واهتم بنشرها أكثر من غيرها كالتالي:

(أ) الرجوع بالإسلام وأهله إلى ما كان عليه الصّدر الأول؛ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو التزام الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

(ب) تخليص التوحيد مما شابه من الشرك، والوثنية[3].

(جـ) إنكار التوسل الممنوع شرعاً، بالأنبياء والأولياء والصّالحين، وتبيين التوسل المطلوب والمسنون، وهو التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته

---

(١) انظر : البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ١/ ١٢٦، وكتاب البيوع، باب الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما متشابهات، ٤/ ٢٩٠، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/ ١٢١٩، وانظر: شرح النووي ١١/ ٢٧.

(٢) انظر: هذه القواعد مع أدلتها بالتفصيل والأمثلة في القسم الثاني من مؤلفات الشيخ في الفقه، المجلد الثاني ص ٣، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١/ ٢٢٦، ٢٧٢.

(٣) والتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. والشرك شركان: أكبر يخرج من الملة، وأصغر، وخفي.

العليا، وبالأعمال الصّالحة التي قام بها الداعي نفسه، وبطلب الدعاء من المسلم الصّالح الحيّ القادر الحاضر.

(د) طرح البدع والخرافات والشعوذة وغيرها من المنكرات[1].

وبهذا كله أسس الشيخ مجتمعًا موحِّدًا مُخلِصًا قويًا في إيمانه وعقيدته[2]، وما ذلك إلا بفضل الله وحده ثم بحكمة هذا الشيخ الجليل التي نفع الله بها العباد في هذه الجزيرة وغيرها.

٦ ـ كتابته الرسائل بأساليب الحكمة والبيان:

لم يغفل الشيخ تبليغ التوّحيد بالقلم والرّسائل، بل اعتنى بذلك كثيراً، فقد قضى السنتين الأولين من إقامته في الدّرعية في مكاتبة العلماء والرؤساء والبلدان والقبائل المختلفة، بالإضافة إلى العناية بالتّربية والتعليم والتوجيه وغرس الفضائل التي سبق بيانها.

وبدأ بأهل نجد، وكاتب أمراءها وعلماءها، فكاتب علماء الرياض وأميرها دهام بن دواس، وكاتب علماء الخرج وأمراءها وعلماء بلاد الجنوب، والقصيم، وحائل، والوشم، وسدير، والأحساء، وعلماء الحرمين الشريفين، وغير ذلك.

ولم يغفل البلدان الخارجية، فقد كتب لعلماء الشام، ومصر، والعراق،

---

(١) ويمكن التفصيل في الأصول التي اعتنى بها الشيخ ودعا إليها أكثر من غيرها كالتالي: ١ـ توحيد العبادة، ٢ ـ التوسل الجائز والمحرم، ٣ ـ منعه شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، ٤ ـ منع البناء على القبور وإسراجها وكسوتها، ٥ ـ توحيد الأسماء والصفات، ٦ ـ إنكار البدع جميعها.

(٢) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢/٣٠٣، ٢/٣١٧، ١/٣١١، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية ص ٩، ٢٦٠، والشيخ محمد عبدالوهاب: عقيدته ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، للعلامة أحمد بن حجر آل بو طامي ص ٤٣ ـ ٤٧.

والهند، واليمن، وغير ذلك من البلدان، ولم يزل يكاتب الناس ويُقيم عليهم الحُجَجَ، ويذكّرهم ما وقع فيه أكثر الخلق من الشّرك والبدع[1].

واصل الشيخ ليله ونهاره في نشر الدعوة، والوعظ والتّدريس، وكتابة الرسائل العلمّية المدعومة بالأدلة من الكتاب والسنة، وبالحجّة والبرهان، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ولم يبدأ أحدًا بالعدوان، ورعًا منه، وأملاً في أن يهدي الله الضّالين، إلى أن حكموا عليه وعلى أتباعه بالكفر، وأباحُوا دماءهم وأموالهم، ولم يُثْبِتُوا دعواهم بحجّة من كتاب ولا سنة، مع رفضهم لعقيدة التّوحيد، وعدم قبولها، ونصرهم الشرك وأهله[2].

٧ ـ آخر مواقف الحكمة : الجهاد بالسّيف والسّنان :

بعد أن بدأ أعداء التوحيد بتكفير الشيخ وإهدار دمه ومن تبعه، وبعد أن بيّن لهم الشيخ نواقض الإسلام بأدلّتها من الكتاب والسنة[3]، فأعرضوا عن ذلك كلّه وكذبوا به، ورفضوا التوحيد، وحينئذ يكون آخر الطّب الكيّ، فأمر الشيخ بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله، ولم يَنْقَدْ لشرع الله، ولم تنفع فيه الآيات البينات.

واستمرت الحروب سنين عديدة، وكان النصر ـ بإذن الله ـ حليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، فكانت القرى والعشائر تسقط واحدة تلو الأخرى بيده، فنشر الله الدعوة وأظهرها

---

(١) انظر: تاريخ نجد، لابن غنام ١/ ٨٢، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ١/ ٢٦، والإمام محمد بن عبدالوهاب: دعوته وسيرته، لابن باز، ص ١٩، ٢٤، ٢٧.

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية لأحمد بن حجر، ص ٢٦، وروضة الأفكار لابن غنام ١/ ٨٣.

(٣) انظر: نواقض الإسلام في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ في: الرسائل الشخصية ص ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٢.

ونصرها، وقمع الباطل وأذلّ أهله الذين عارضوا التوحيد.

ثم توفي الشيخ - رحمه الله - يوم الاثنين آخر شهر شوال، سنة ١٢٠٦هـ، وله من العمر نحو ٩٢ سنة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[1]، فقد أنقذ الله بمواقفه الحكيمة هذه الجزيرة وما جاورها من الشرك، وبدد الظّلام، وأنار البلاد بنور التوحيد الخالص.

وهكذا ينبغي لكل داعية يرجو الله واليوم الآخر أن يكون حكيمًا في مواقفه، ناصرًا لدين الله، صابرًا محتسبًا مخلصًا، وبذلك يربح ويفوز في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

---

(١) انظر: روضة الأفكار لابن غنام ١/ ٨٤، وعنوان المجد لابن بشر ١/ ٢٧، وعلماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٤٠، ٤٣.

الفصل الثالث
حكمة القـول مع المدعوِّين

تمهيـــــــد : إنـزال الناس منازلهم .

المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين .

المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين .

المبحث الثالث : حكمة القول مع أهل الكتاب .

المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين .

تمهيـد : إنزال الناس منازلهـم :

الدّاعية الحكيم هو الذي يدرس الواقع، وأحوال الناس، ومعتقداتهم، وينزل الناس منازلهم، ثم يدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم وطبائعهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والاجتماعي، والوسائل التي يؤتون من جهتها، ولهذا قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[1].

وذُكِرَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنْزِلَ الناس منازلهم»[2].

وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[3].

وقد بين النبي ﷺ ذلك للدعاة إلى الله - عز وجل -، فقال لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن - داعيًا ومعلمًا وقاضيًا -: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب. . .» الحديث[4].

فبين ﷺ لمعاذ عقيدة القوم الذين سوف يقدم عليهم حتى يعرف حالهم، ويستعد لهم، ويقدم لهم ما يناسبهم، وما يصلح أحوالهم.

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/ ٢٢٥.

(٢) مسلم، في المقدمة، مع شرح النووي، ١/ ٥٥، وسنن أبي داود مع العون، ١٣/ ١٩١.

(٣) مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١١.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٣/ ٣٢٢، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وشرائع الإسلام ١/ ٥٠.

وقال ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**يا عائشة، لولا قومك حديثٌ عهدهم بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين: باب يدخل الناس، وباب يخرجون**»[1].

فترك ﷺ هذه المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفاسد[2].

فدراسة البيئة والمكان الذي تبلغ فيه الدعوة أمر مهمٌّ جدًّا، فإن الدّاعية يحتاج في دعوته إلى معرفة أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال ومواطن الانحراف معرفة جيدة، ويحتاج إلى معرفة لغتهم، ولهجتهم، وعاداتهم، والإحاطة بمشكلاتهم ونزعاتهم الخلقية، وثقافتهم، ومستواهم الجدلي، والشبه التي انتشرت في مجتمعهم، ومذاهبهم[3].

والدّاعية الحكيم يكون مدركًا لما حوله، مقدّرًا للظروف التي يدعو فيها، مراعيًا لحاجات الناس ومشاعرهم، وكل أحوالهم.

والدّاعية إلى الله ـ تعالى ـ لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه ولا مسدّدًا في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوهم، وهل هذا المجتمع من المسلمين العُصاة، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات؟ هل هذا المجتمع من أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من اليهود أم من النصارى؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين والماديين والدّهريين؟ أم من الوثنيين المشركين.

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ١/ ٢٢٤.

(٢) قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ تعالى: يستفاد منه ترك المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفسدة، وترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه. انظر: فتح الباري ١/ ٢٢٥.

(٣) انظر: شرح الإمام النووي على مسلم ١/ ٧٦، ١٩٧، وفتح الباري ١/ ٢٢٥، وكيف يدعو الداعية لعبدالله ناصح علوان ص ٧، ٣٧، ٤٧، ١٥٥، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٧.

فإذا عرف الـدّاعية هذا كله، فكيف يدعـو كل فئة من هذه الفئات بالحكمة؟ وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهكـذا، فالدّاعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يُشَخِّصُ المرض، ويعرف الداء ويُحددّه، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومـرضـه، مراعيًا في ذلك: قوة المريض وضعفِه، وتحمّله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطَنه، أو يقطع شيئًا من أعضائه، من أجل استئصال المرض طلبًا لصحة المريض، وهكذا الداعية الحكيم يعرف أمراض المجتمع، ويُحدّد الدّاء، ويعرف الدّواء، وينظر ما هي الشبه والعـوائق فيزيلها، ثم يقدم المادة المناسبة بدءًا بأمور العقيدة الإسلامية الصّحيحة الصّافية، مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة.

وبناء على ما تقدّم يكون من الحكمة تقسيم هذا الفصل إلى مباحث حسب أحوال الناس، وبيان كيفية دعوتهم بالحكمة القولية كالتالي:

المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين.

المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين.

المبحث الثالث: حكمة القول مع أهل الكتاب.

المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين.

المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين

تمهيـــــــد :

المطلـــب الأول : الأدلة الفطـرية .

المطلـــب الثاني : البراهين والأدلة العقليـة .

المطلـــب الثالث : الأدلة الحسية المشاهدة .

المطلـب الرابع : الأدلة الشـرعية .

تمهيـــد :

الإلحـاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء ، والظّلم والجور، والجدال والمِرَاء، يقال: لحد في الدين لحدًا، وألحدَ إلحادًا، لمن مال وعدل ومَارَى وجادَل وظلم(١) .

واللّحد: الشّق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؛ لأنه قد أُميل عن وسط القبر إلى جانبه(٢) .

والإلحـاد: هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يُسمّى ملحدًا(٣) .

والمـراد بالملحدين في هذا المبحث: هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر، وهم: من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرّف فيه، يدبّر أمـره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المـادة وقوانينها، واعتبار الحياة ـ وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان ـ من أثر التّطوّر الذّاتي للمادة(٤) .

وسـأتناول في هذا المبحث ـ بعون الله تعالى ـ كيفية حكمة القول في

---

(١) انـظر: القـامـوس المحيط، فصـل الـلام، باب الدال ص ١٠٤، والمعجم الوسيط مادة «لحد» ٢/ ٨١٧، ومختار الصحاح، مادة «لحد» ص ٢٤٧ ، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٥١٨، ٢/ ٢٦٨ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤/ ٢٣٦ .

(٣) انظر : الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، ص ٤٠ .

(٤) انظر : كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، لعبدالرحمن الميداني، ص ٤٠٩ .

الدعوة إلى الله مع هؤلاء الملحدّين المادّيين الطبيعيّين والدّهريّين في المطالب التالية :

المطلب الأول : الأدلّة الفطرية على وجود الله تعالى وربوبيته .

المطلب الثاني : البراهين والأدلّة العقليّة .

المطلب الثالث : الأدلّة الحسيّة المشاهدة .

المطلب الرابع : الأدلّة الشّرعيّـة .

المطلب الأول: الأدلة الفطرية:

الفطر: الشّق، والجمع منه فُطورٌ[1]، قال تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[2]، وفطر الله العالم: أوجده ابتداء[3]، وفطر الخلق: خلقهم وبدأهم[4]، ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾[5]، والفطرة: الخلقة التي خُلِقَ عليها كل موجود أول خلقة[6]، والخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، والدين[7]، والطبيعة السّليمة التي لم تُشَبْ بعَيْبٍ[8]، قال الرسول ﷺ: «**ما من مولود إلا يُولد على الفِطْرَة، فأبواه يُهَوِّدَانِهِ، أو يُنصِّرَانه، أو يُمَجِّسانِهِ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[9] هل تحسون فيها من جَدْعَاء؟**»[10]، ثم يقول أبو هريرة -رضي الله عنه-: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[11].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة: فطر ٢/ ٦٩٤، ومختار الصحاح مادة: فطر ص ٢١٢.

(٢) سورة الملك، الآية ٣.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مادة فطر ٢/ ٦٩٤.

(٤) انظر: القاموس المحيط، فصل الفاء، باب الراء ص ٥٨٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٧٩.

(٦) انظر: المعجم الوسيط، مادة فطر ٢/ ٦٩٤.

(٧) القاموس المحيط، فصل الفاء، باب الراء ص ٥٨٧.

(٨) انظر: المعجم الوسيط، مادة فطر ٢/ ٦٩٤.

(٩) يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئًا من العيب، لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلًا، فخرج عن الأصل وهو تشبيه واقع ووجه واضح. انظر: فتح الباري ٣/ ٢٤٩.

(١٠) البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ٣/ ٢١٩، وأخرجه في عدة مواضع انظرها: ٣/ ٢١٩، ٢٤٩، ٨/ ٥١٢، ١١/ ٤٩٣، وأخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/ ٢٠٤٧.

(١١) سورة الروم، الآية ٣٠.

فمن حكمة القول مع الملحدين أن يستخدم الدّاعية إلى الله ـ تعالى ـ في دعوته لهم الأدلة الفطرية، فيوضّح ويبيّن لهم أن المولود يُولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيىء لقبول الدين، فلو تُرِكَ عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنّما يعدل عنها من يعدل؛ لآفة من آفات البشر والتّقليد.. وكلّ مولود يُولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحدًا إلا وهو يُقرّ بأن له صانعًا وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره[1].

والمقصود بفطرة الله التي فطر الناس عليها: فطرة الإسلام[2]، والسّلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصّحيحة؛ فإنّ حقيقة الإسلام هو الاستسلام لله وحده.

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثل ذلك فقال: «**كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تُحسّون فيها من جدعاء؟**».

فأوضح أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارىء[3]. قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ: «**إني خلقتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كلّهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتَالَتْهُم عن دينهم، وحرّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم، وأَمَرَتْهُم أن يُشْرِكُوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا...**»[4].

وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية الفطرة مع الحق بمثل يوضّح ذلك، فقال: «ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من:

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/ ٤٥٧، وفتح الباري ٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

(٢) وقد جزم بذلك البخاري فقال: والفطرة الإسلام. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله ٨/ ٥١٢.

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٢٤٥، وفتح الباري ٤/ ٢٤٥.

(٤) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/ ٢١٩٧.

تَهوّدٍ، وتنصّرٍ، وتمجّسٍ، مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك كل ذي حس سليم يحب الحلو، إلا أن يعرض في طبيعته فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرًّا»[1].

وليس المراد بقوله ﷺ: «**يُولَدُ على الفِطْرَةِ**» أنه خرج من بطن أمه يعلم الدّين ويعتقد الإسلام بالفعل؛ لأن الله يقول: ﴿**وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[2].

ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، وقبوله وإرادته للحق، وإقراره بالرّبوبية، فلو خُلّي من غير معارض ومن غير مُغيِّر لما كان إلا مسلمًا ولم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه صارف، ومن ثم شُبِّهت الفطرة باللبن، فهي تستلزم معرفة الله ومحبته وتوحيده[3].

ويدل على ذلك رواية مسلم: «**ما من مولود يُولَدُ إلا وهو على هذه المِلّة حتى يُبيِّنَ عنه لِسَانه**»[4].

وقد أخبر الله ـ عز وجل ـ أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أنّ الله ربّهم ومليكهم وأنه لا إلـه إلا هو ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ..**﴾ الآية[5].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٧٥، والفتاوى لابن تيمية ٤/ ٢٤٧.

(٢) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ١٦/ ٢٠٨، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٢٤٧، ١٦/ ٣٤٤، ٤/ ٢٤٩، وفتح الباري ٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

(٤) مسلم، كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٠٤٨.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

وهذا يدلّ دلالة قاطعةً على أن كل إنسان قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم(1).

ومما يُبيِّن ذلك ويُوضِّحه أن العاقل إذا رجع إلى نفسه وعقله أدنى رجوع عرف افتقاره إلى الخالق ـ تعالى ـ في تكوينه وبقائه وتقلّبه في أحواله(2)، وإذا نظر إلى الخلائق علم فقرهم كلّهم إلى الخالق في كل شيء: فقراء إليه في الخلق والإيجاد، وفي البقاء والرّزق والإمداد، وفقراء إليه في جلب المنافع ودفع المضارّ.

فانظر إلى حالة الناس إذا كربتهم الشدائد، ووقعوا في المهالك، وأشرفوا على الأخطار، كيف تجد قلوبهم معلّقة بالله، وأصواتهم مرتفعة بسؤاله، وأفئدتهم تنظر إلى إغاثته، لا تلتفت يمنَةً ولا يسرَةً إلا إليه(3).

ومما يزيد ذلك وضوحًا أن الخلق متى شاهدوا شيئًا من الحوادث المتجدّدة كالرّعد والصّواعِق، والبرقِ والزّلازلِ، والبراكين المتفجّرة الثائرة، والريح الشديدة، وانهمار الأمطار الغزيرة، وفيضانات الأنهار، واضطراب الأمواج في البحار والمحيطات، متى شاهدوا ذلك دعوا الله وسألوه، وافتقروا إليه؛ لأنهم يعلمون أن هذه الحوادث المتجدّدة لم تَتَجَدّد بنفسها، بل لها مُحدث أحدثها، وإن كانوا يعلمون هذا في سائر المحدثات؛ لكن ما اعتادوا حدوثه صار مألوفًا لهم، بخلاف المتجدّد، ولو لم يكن إلا خلق الإنسان، فإنه من أعظم الآيات، فكلٌّ يعلم أنه لم يُحدِث نفسه، ولا أبواه أحدثاه، ولا أحد من البشر أحدثه، ويعلم أنه لا بدّ له من خالق خلقه،

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٢، ٣/ ٤٣٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٨٧، وجامع الرسائل لابن تيمية ١/ ١١، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٢/ ٣٣٧.

(2) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام لعبدالرحمن الأنباري ص ٢١١، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ١١٣.

(3) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ص ٢٥١، ٢٥٢.

وأن هذا الخالق موجود، حيّ، عليم، قدير، سميع، بصير، حكيم، حفيظ[1]، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]، وقال ـ سبحانه ـ تذكيراً لهذا الإنسان الجاحد: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[3]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[4].

فبين هذا أن الناس إذا غفلوا عن هذه الفطرة في حال السّراء فلا شكّ أنهم يلوذون إليها في حال الضّرّاء، لعلمهم الفطري أن الله الذي يكشف الشّدائد، ولا ملجأ منه إلا إليه، فيسألونه بلسان المقال ولسان الحال، فهل هذه الأمور تحصل إلا لأن الخليقة مفطورة على الاعتراف بربوبية الله ووحدانيته، وأنه النافع الضّارّ، وملكوت كل شيء بيده، إلا من فسدت فطرته بالعقائد الفاسدة[5].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٢، ١٢٩، ١٣١، ١٣٧.
(٢) سورة الذاريات، الآية ٢١.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٧.
(٤) سورة النحل، الآية ٥٣.
(٥) انظر: الرياض الناضرة ص ٢٥٢، وعقيدة المسلمين للبليهي ١/ ٧٠، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين ص ١٥.

المطلب الثاني : البراهين والأدلة العقلية

إذا كان المـادّيون والطبيعيّون والدّهريُّون يتظاهرون بإنكار وجود الله ـ تعالى ـ، فإنّ من الحكمة في دعوة هؤلاء إلى الله ـ تعالى ـ أن تُقدّم لهم البراهين والأدلة العقلية القطعية في المسالك الآتية:

المسلك الأول : التقسيم العقلي الحكيم .
المسلك الثاني : العدم لا يخلق شيئًا .
المسلك الثالث : الطّبيعة الصّماء لا تملك قدرة .
المسلك الرابع : الصّدفة العمياء لا تملك حياةً .
المسلك الخامس : المناظرات العقلية الحكيمة .
المسلك السادس : مبـدأ السّـببيّة .
المسلك السابع : التفكّر في المصنوع يدلّ على بعض صفات الصّانع .

المسلك الأول : التقسيم العقلي الحكيم :

يُستدلّ على كل من أنكر وجود الله ـ تعالى ـ وربوبيته بأمر لا يمكنهم إلا التسليم للحق والانقياد له، أو الخروج عن موجب العقل إلى الجنون والفطر المنحرفة، فيقال لكل من أنكر ذلك:

الأمور الممكن تقسيمها في العقل ثلاثة لا رابع لها:

١ ـ **إما أن تُوجد هذه المخلوقات** بنفسها صُدفة من غير مُحدث ولا خَالق خلقَهَا، فهذا مُحالٌ ممتنع تجزم العقول ببطلانه ضرورة، ويُعلم يقينًا أن من ظنّ ذلك فهو إلى الجنون أقرب منه إلى العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُوجِدٍ ولا مُحدِثٍ، فلا بدّ لكل حادث من مُحدث، ولا سبيل إلى إنكار ذلك، فإن وجود الشيء من غير مُوجد مُحالٌ وباطلٌ بالمشاهدة والحسّ والفطرة السّليمة.

٢ ـ وإما أن تكون هذه المخلوقات الباهرة هي المحدثة الخالقة لنفسها، فهذا أيضًا مُحالٌ مُمتنع بضرورة العقل، وكل عاقل يجزم أن الشيء لا يُحدِثُ نفسه ولا يَخْلُقه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟!

فإذَا بَطَلَ هذان القسمان عقلاً وفطرةً وبان استحالتهما، تعيّن القسم الثالث:

٣ ـ وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها: علويّها وسفليّها، وهذه الحوادث لابـدّ لها من مُحدث ينتهي إليه الخلق والملك والتّـدبير، وهو الله العظيم الخالق لكل شيء، المتصرّف في كل شيء، المدبّر للأمور كلها[1]، ولهذا ذكر الله ـ تعالى ـ هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي فقال: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾[2]، ولذلك تأثر جبير بن مطعم بسماعها من النبي ﷺ تأثرًا عظيمًا، قال ـ رضـي الله عنه ـ: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغـرب بالطّور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُـونَ. أَمْ خَلَقُـواْ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ. أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْـمُصَيْطِرُونَ﴾[3] كادَ قَلْبِي أن يَطِير»[4] «وذلك أول ما وقَرَ الإيمانُ في قلبي»[5].

فالمخلوق لا بدّ له من خالق، والمصنوع لا بدّ له من صانع، والمفعول

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ٦٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ١١٣، والـريـاض النـاضرة للسعـدي ص ٢٤٧، وتفسير السعدي ٧/ ١٩٥، وأضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٣٦٨، وشرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح عثيمين ص ١٥.

(٢) سورة الطور، الآية ٣٥.

(٣) سورة الطور، الآيات ٣٥ ـ ٣٧.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الطور، باب حدثنا عبدالله بن يوسف ٨/ ٦٠٣.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة، حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري ٧/ ٣٢٣.

لا بدّ له من فاعل، وهذه قضايا بدهيّة جليّة واضحة، يشترك في العلم بها جميع العُقلاء، وهي أعظم القضايا العقليّة، فمن ارتاب فيها أو شكّ في دلالتها فقد برهنَ على ضلالهِ، واختلال عقلهِ[1].

المسلك الثاني : العدم لا يخلق شيئا :

من القواعد العقلية التي ينبغي للدّاعية إلى الله أن لا يغفلها في دعوته مع الملحدين قاعدة: العدم لا يخلق شيئًا، فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئًا، لأنه غير موجود.

وإذا تأمل العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يوم، من إنسان وحيوان، وتفكّر في كل ما يحدث في الوجود من رياحٍ وأمطار، وليل ونهار، وما يجري في كل حين من حركات منتظمة للشّمس والقمر والنجوم والكواكب، إذا تأمل العاقلُ في هذا وغيره من التغيّرات المحكمة التي تجري في الوجود في كل لحظة، فإن العقل يجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى[2].

المسلك الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفاقد الشيء لا يعطيه :

من المعلوم عند جميع العُقلاء أن الذي لا يملك مالاً لا يسأل الناسُ منه المال، والجاهلُ لا يأتي منه العلم؛ لأن فاقد الشيء لا يُعطيه.

فمن زعم أن الطّبيعة[3] خلقته أو خلقت شيئًا فقد خالف العقل وحارب

---

(١) انظر: الرياض الناضرة لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٢٤٧، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص ١٣٨.

(٢) انظر: حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب، بقلم عبدالرحمن بن قاسم ص ٢٩، والإيمان للزنداني مع مجموعة من العلماء ص ٢١، وكتاب التوحيد للزنداني ١/ ٢١.

(٣) الطبيعة عند الماديين بمعنى المادة، والمادة بمعنى الطبيعة، وهي هذه المخلوقات بما هي عليه من صفات. انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، لأحمد العوايشه ص ١٢٨، والإيمان للزنداني ص ٣٦.

الحق، لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم عليم خبير، هاد رزّاق، حافظ رحيم، واحد أحد، والطبيعة الجامدة لا تملك مثقال ذرة من ذلك.

ومن العجيب أن كل من زعم أن الطبيعة تخلق شيئًا فقد خالف مقتضى العقول؛ لأن الطبيعة لا تملك خبرة، ولهم خبرة، ولا تملك إرادة، ولهم إرادة، ولا تملك علمًا، ولهم علم! أمَا علموا أن فاقد الشيء لا يُعطيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ . . .﴾[1]، فلا بد أن يكون الخالق كاملاً كمالاً مطلقاً، بحيث يكون:

١ ـ مستغنيًا عن غيره.

٢ ـ ويكون أولاً ليس له بداية.

٣ ـ وآخرًا ليس له نهاية.

٤ ـ لا يحدّه زمان.

٥ ـ لا يحدّه مكان.

٦ ـ قادرًا على كل شيء.

٧ ـ عالمًا بكل شيءٍ، ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهذه الخصائص لا يمكن أن تكون إلا لله الكامل من كل الوجوهِ، وبذلك يسقط ـ بحمد الله تعالى ـ قول المادّيين؛ لأن المادَّة لا تتصف بشيء من ذلك[2].

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٣.

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، لأحمد العوايشه ص ١٢٥، ١٨٢، ١٨٧، ومذكرة في العقيدة الإسلامية للدكتور ناصر بن عقيل الطريفي ص ٩.

يعتقد الملحدون بالصّدفة[1]، وهي أن جميع الأشياء والمخلوقات تم تكوينها على ما هي عليه بطريق الصّدفة، والمقابلة، وليس ذلك بطريق القصد والإرادة والتّدبير.

ومن حكمة القول مع هؤلاء أن يُقال لهم: من أين حصل لهذا العَالَم هذا النظام العجيب، والتّرتيب الحكيم الذي حارت فيه العقول؟ كيف ينسب ذلك إلى الاتّفاق والمصادفة ومجرّد البخت؟ وكيف اجتمعت تلك الأجزاء على اختلاف أشكالها، وتبايُن مواردها وقواعدها، وكيف حُفظت وبَقيت على تآلفها، وكيف تجدّدت المرَة بعد المرة؟!

إن مثل من يقول أو يعتقد أن هذا النظام والإبداع والإتقان وجِدَ بطريق الصّدفة لا غير، كمثل من وضع حروف الهجاء: أ، ب، ت. . . ، في صندوق ثم جعل يحركه طمعًا منه أن تتألف هذه الحروف من تلقاء نفسها، فيتركّب منها قصيدة بليغة، أو كتاب دقيق في الهندسة، أليس ذلك من السّفه المبين ونقص العقل؟! فإنه لو داوم على تحريك هذا الصندوق السنين والدّهور لم يحصل إلاّ على حروف.

ومثله كمن يقول: إن رجلاً أعمى غرزت له إبرة في لوحة، وأُعطي ألف إبرة، وقيل له: ارم هذه الإبر واحدة بعد الثانية، لتدخل الإبرة الأولى في ثُقب الإبـرة المغروسة في اللوحة، وتدخل الإبرة الثانية في ثقب الأولى، والثالثة في ثقب الثانية، وهكذا بطريق الصّدفة، حتى دخلت كل الإبر في بعضها بطريق الصّدفة، فهل عاقل يُصدّق بهذه العملية والتي قبلها؟

(١) الصدفة في اللغة: يقال: صادفه مصادفة: لقيه ووجده من غير موعد ولا توقع. انظر: المعجم الوسيط، مادة: صدف ٢/ ٥١٠.

لا يمكن أن يُصدّق عاقل بهذا، لأنه من قبيل المستحيل الذي لا تقبله العقـول ولا تُقرّه، فكيف يُصدّق عاقل أن الكون كله بما فيه من إبداع وتنظيم في كل ذرة من ذراته وُجِدَ بطريق الصّدفة؟

إن مخلوقًا يُصدّق بهذه التخيّلات لمجنون قطعًا، لا تصلح نسبته إلى العُقلاء، ولا يُذكر في عدادهم أبدًا ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

وهذا فيه دلالة عقلية قاطعة على أن الله هو الخالق لكل شيء ، وأن الصّدفة لا وجود لها ولا تصرف في مخلوقات الله ـ تعالى ـ، وبهذا تبطل شبه أهل الإلحاد والعناد الذين قالوا بالصّدفة، ولله الحمد[2].

المسلك الخامس : المناظرات العقلية الحكيمة :

من الحكمة في دعوة الملحدين والطبيعيين المادّيين أن يُناظروا بالمناظرات العقلية الحكيمة التي تُوضحّ لهم الحق، وتجعلهم يُسلّمون ويقرّون بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

ومن المناظرات التي أفحم بها المسلمون الملحدين ما ذُكِرَ عن أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ أنـه اجتمع بطائفة من الملحدين وناظرهم فغلبهم، ورجعوا على أنفسهم بالملام، وقيل: إنهم رجعوا إلى الحق وأسلَمُوا على يديه[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٠ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٩ ، والإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان ص ٦٥، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٣٤ ، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص ١٤٢ .

(٣) سبقت هذه المناظرة بتمامها في مواقف أبي حنيفة، ص ٢٨٨ ، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٧ ، والرياض الناضرة لسعدي ص ٢٥٨ ، وعقيدة المسلمين للبليهي ١/ ١٢٣ ، ومنهاج الجدل ص ١٣٩ .

المسلك السادس : مبدأ السببية :

إنّ الواقع والعقول السّليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يُشاهد أن حادثًا حدث من غير سبب، أو أنّ شيئًا وُجد من غير موجد، حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتصوّر العقل خلافه، ولا يأبى الإقرار به إلا عقل مفقود أو مريض كشأن المعتوهين، أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء ثم يقول: إنه انكسر بنفسه[1].

ولذلك أدرك الأعرابي هذه السببية عندما سُئِل: ما الدّليل على وجود الرّبّ؟ فقال: ـ سبحان الله ـ، إن البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير، فسماء ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فِجَاجٍ، وبِحَارٌ ذات أمواجٍ، ليل داجٍ، ونهار ساجٍ، ألا يدلّ ذلك على اللطيفِ الخبيرِ[2].

فكل مخلوق لا بدّ له من خالق، وكل أثر لا بدّ له من مؤثّر، وكل مُحدَثٍ لا بدّ له من مُحدِثٍ، وهذا هو قياس الشّمول.

أما قياس التّمثيل فكقول: هذا مُحدَث فيحتاج إلى مُحدِثٍ[3].

وبناء على هذه القاعدة فعالمنا هذا، من أرض وسموات، وإنسان وحيوان، وليل ونهار، وشمس وقمر، لابدّ له من مُحدث، ثم إن هذا العالم لا يبقى إلا بسبب يحفظه ويبقيه، كما أنه لم يحدث إلا بسبب أحدثه، وهذا لا يقدر عليه إلا الله الواحد القهّار[4].

---

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس ص ٢٨٤ ـ ٢٨٨ .

(٢) انظر: الرياض الناضرة ص ٢٥٨ ، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم ص ١٣٩ ، وموقف الإسلام من نظرية ماركس ص ٢٨٨ .

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٧٣، ١٢١ ـ ١٢٧ .

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢١، ومذكرة في العقيدة الإسلامية للدكتور ناصر الطريفي ص ٩ .

من القواعد التي يُردّ بها على الملحِدين قاعدة التفكر في المصنوع يدلّ على بعض صفات الصّانع ؛ لأن كل شيء يُوجد في المصنوع يدلّ على قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصّانع .

ومن هنا نعلم أن التفكّر في المخلوق يدلّ على بعض صفات الخالق .

إذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله ـ تعالى ـ وربوبيته : تفكر في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقة، ثم مُضغة، ثم عظامًا، فكُسِيَت العظام لحمًا، حتى صرت بشرًا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما يضطرك هذا التفكر والنظر إلى الاعتراف بالربّ القادر على كل شيء ، وأحـاط علمـه بكل شيء ، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنـه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النّطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعًا وبصرًا وعقلاً وقوىً باطنة وظاهرة، وينمّوها هذه التنمية العجيبـة، ويركبـوها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم، فهل في اقتدارهم وفي استطاعتهم وعلومهم أن يصلوا إلى ذلك؟ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾[1] .

ولا شك أن العاقل المنصف إذا تفكرّ في ذلك دلّه وأوصله إلى الاعتراف بعظمة الخالق، وقدرة القادر، وحكمة الحكيم، وخبرة الخبير، وعلم العليم .

وهـذا دليل عقـلي تضـطر فيه العقـول الصّحيحـة إلى معـرفـة ربهـا

(١) سورة الواقعة، الآيتان ٥٨، ٥٩ .

وعبوديته[1]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾[2]، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3].

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٠٥، ٣٠٦، ٨/ ٧٠-٧٣، ٣/ ٣٣٣، ١/ ٢٥٩، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٤٨ ـ ٢٥٧، والإيمان لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص ٢٢، وعقيدة المسلمين ١/ ١٠٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٢ ـ ١٤.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٢١.

المطلب الثالث : الأدلة الحسية المشاهدة

من الأدلّة التي تدلّ على وجود الله ـ تعالى ـ وربوبيّته وأنه الخالق لكل شيء المستحقّ للعبادة، الأدلّة التي يسمعها الناس ويشاهدونها ويَلْمَسُونَهَا، وهي على نوعين:

النوع الأول : إجابة الله ـ تعالى ـ للدّعوات في جميع الأوقات، فلا يُحصي الخلق ما يُعطيه الله للسائلين، وما يُجيب به أدعية الداعين، ويرفع به كرب المكروبين، فتحصل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم، والطّمع في فضله والرّجاء لرحمته، وهذا برهان مُشاهد مَحسوسٌ، لا ينكره إلا مُكابرٌ[1].

فكم خرج المؤمنون يطلبون ـ بقلوب وَجِلَةٍ تائبة ـ من ربهم أن يسقيهم الغيث، فكانت الإجابة على الفور في كثير من الأحيان، فيأتي الغيث إلى المدينة أو القرية التي خرجت تدعو ربها، والقرى أو المدن التي بجوارها لا يأتيها شيء، وكم رأى المضطرون تفريجًا لحالة الكرب بدعائهم[2]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ...﴾[3]، وعلى هذا يشهد مئات الملايين من المسلمين، ومن رأى هذه الإجابات من المنصفين في مشارق الأرض ومغاربها.

فمن الذي سمع دعاء المستغيثين فأجابهم فأنشأ السّحاب وأنزل المطر؟! هل هو وثن لا يقدر على فعل شيء؟! أم طبيعة صمّاء لا تملك إرادة ولا تدبيرًا، أم أن العدم الذي أنشأ وصمم، وأوجد وكوّن، وقدّر وأتقن، وسمع فأجاب، وهو العدم الذي لا وجود له؟!!

---

(١) انظر: الرياض الناضرة ص ٢٥٣، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٧.
(٢) انظر: الإيمان، لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص ٤٠، والرياض الناضرة ص ٢٥١.
(٣) سورة النمل، الآية ٦٢.

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها ربًّا حكيمًا قادرًا سميعاً بصيرًا مجيبًا[1]، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ يخطب، ثم قال: يا رسول الله هلكتَ الأموال، وانقطعت السُّبُلُ، فادع الله أن يُغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**». قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنًّا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّرَاب وبُطُونِ الأودية ومنابت الشّجر**»، فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»[2].

وهذا الحديث آية من آيات الله تدلّ على وجوده، وأنه القادر على كل شيءٍ، وقد حصل هذا للمسلمين كثيراً، ولهذا قال الشاعر:

وكم أصاب المسلمين من جَفَافٍ ... فنفروا ثِقَالهم مع الخِفَاف
وطلبوا من الإله الفرجَا ... فحقّقوا الفوز ونالوا المخرجا
فهل طبيعة أجابت أم وثن ... أم أنه السّميع كشّاف المحن[3]

---

(١) انظر: كتاب التوحيد، لعبد المجيد الزنداني ١/ ٤٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ٢/ ٥٠٧، وانظر: البخاري مع الفتح ٢/ ٥٠١، ٢/ ٥٠٨، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٢.

(٣) هذه الأبيات لعبد الرحمن قاضي، انظر: الإيمان لعبد المجيد الزنداني ص ٤٠ .

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صدق مع الله، وأتى بشروط الإجابة.

النوع الثاني : معجزات الأنبياء الحسّية، وهي آيات يُشاهدها الناس أو يَسمعونَ بها، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله - تعالى - تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم.

ومن أمثلة ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله - تعالى - أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفَلَقَ اثني عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ**﴾[1].

ومن آيات عيسى ﷺ أنه كان يُحيي الموتى ويُخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى: ﴿**وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ**﴾[2]، ﴿**وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى**﴾[3].

ومن آيات محمد ﷺ انشقاق القمر، فقد طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر، فانفلق فرقتين، فرآه الناس حقيقة في عهده ﷺ، قال تعالى: ﴿**ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ**﴾[4].

وهذه الآيات المحسوسة تدل دلالة قاطعة على وجود الله - تعالى -[5].

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٤) سورة القمر، الآيتان ١، ٢.

(٥) انظر: شرح أصول الإيمان، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٨.

المطلب الرابع : الأدلة الشرعية :

طريق الهداية الكاملة هو ما جاء عن الله ـ تعالى ـ، أو عن رسله **عليهم الصلاة والسلام**، وهي تجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي لمعرفة الله ـ تعالى ـ والإيمان به ـ عز وجل ـ، وتبعث المهتدي بها إلى العمل المزكّي للنفس، والمهيىء له إلى سعادة الدارين، بخلاف الهداية العقلية وحدها، فإنها ـ وإن أنقذت صاحبها من القلق النفسي والحيرة الفكرية ـ لا تزكّي نفسه، ولا تُقوّم أخلاقه، ولا تهيّئه لسعادة الدّارين، ولا تُخرجه من دائرة الكفر حتى يؤمن بالأدلة الشّرعية ويعمل بمقتضاها[1].

والكتب السماوية كلها تنطق بأن الله هو الخالق لكل شيء ، المستحقّ للعبادة، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد، دليل على أنها من ربّ حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من ربّ قادر على إيجاد ما أخبر به[2].

ودلالة القرآن الكريم نوعان :

(أ) خبر الله الصّادق، فما أخبر الله ـ تعالى ـ به، أو أخبر به رسوله ﷺ فهو حقّ وصدق[3]، ولا يمكن أن يكون في ذلك شيء مُناقضٌ لدليل عقلي ولا سمعي[4]، لأنّ ما أثبته السّمع الصّحيح لم ينفه العقل الصّريح[5]، والمعقول الصّريح يوافق ما جاءت به الرسل ولا يناقضه[6]، وكل ما عارض

---

(١) انظر: عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري ص ٣٩، ٤٩، ٦٣ .
(٢) انظر: شرح أصول الإيمان، لمحمد بن صالح العثيمين ص ١٧ .
(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٧١ .
(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) ١/ ١٧٢-١٨٠ .
(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩ .
(٦) انظر: المرجع السابق ٦/ ٥ .

الشّرع من العقليّات فليس دليلاً صحيحًا[1].

(ب) دلالة القرآن بضرب الأمثال، وبيان الأدلّة العقلية الدّالة على المطلوب، فهذه دلالة شرعيّة عقلية، فهي شرعيّة لأن الشّرع دل عليها وأرشد إليها وأثبتها، وعقلية لأنّها تعلم صحتها بالعقل[2]، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

ويمكن أن أقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله ـ تعالى ـ، وأنه ربّ كل شيء ومليكه ومدبّره، ويستلزم ذلك أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه على ذكر طريقين[4]:

الطريق الأول: توجيه الله ـ تعالى ـ الأنظار والقلوب إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول، فقد بيّن ـ سبحانه ـ في كتابه الآيات الكونية الباهرة الدالّة على وجوده ـ سبحانه ـ، وكمال قدرته، وعظيم تدبيره، وإتقان صنعه، ومن ذلك عجائب خلق الإنسان وعناية الله به، وبيانه ـ سبحانه ـ ما في عالم الحيوان من خلقه وتكوينه، وأجهزته، وتنويعه، وعالم النبات، وما فيه من غرائب وعجائب وسُنن تُحار فيها العقول، والرّياح السيّارة، وأعظم من ذلك كله توجيه الأنظار إلى خلق السّمٰوات والأرض، والليل والنهار، وما في ذلك من آيات تدّل على عظمة

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٥/ ٢٧٩ .

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦/ ٧١، ٧٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ٢١، ٢٢.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٥٤، ٧/ ٣٠٢، ٣٠٧، ٩/ ٤٠، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٣٧٧-٣٨٠، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٦٣، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٥٣-٢٦٧.

الخالق[1] قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني: معجزات الأنبياء، **عليهم الصلاة والسلام**، فقد أيد الله الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بالمعجزات الباهرة للعقول، والخارقة لسنن الكون وقوانين الحياة، ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم، فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام المعجزات علم أن هناك مرسلاً أرسلهم؛ لأن ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت المُرسِل، والعلم بالإضافة يستلزم العلم بالمضاف إليه، فالمعجزات نفسها يعلم بها صدق الرسول المتضمن لإثبات من أرسله، والآيات الباهرات التي يستدل بها على إثبات الخالق تدل المعجزة كدلالتها وأعظم[3].

---

(١) انظر: معالم الدعوة في القصص القرآني للدكتور عبدالوهاب بن لطف الديلمي ١/ ٢٥١، ومناهج الجدل ص ١٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٤.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٤٠، ٤١، ٤٣، ٧/ ٣٠٢-٣٠٧، وفتاوى شيخ الإسلام ١١/ ٣٧٧.

وخلاصة ما ذكر ابن تيمية في إثبات وجود الله - تعالى - كالتالي:

١ - الاستدلال بآيات الله في الكون.

٢ - أدلة الفطرة، فإن الخلق مفطورون على الإقرار بالخالق.

٣ - الاستدلال على الله بالله، فإنه عرفنا نفسه فعرفناه.

٤ - الاستدلال بمعجزات الرسل.

٥ - إجماع الأمم وأصحاب العقول والفطر السليمة.

٦ - المقاييس العقلية.

انظر: فتاوى شيخ الإسلام ٣٦/ ٢١-٢٣، وستجد جميع الإحالات إلى المواضع التي ذكرها ابن تيمية في فتاواه.

المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين

تمهيـــــد :

المطلـــب الأول : الحجج العقلية على إثبات ألوهية الله .

المطلـــب الثاني : ضعف جميع المعبودات من دون الله .

المطلـــب الثالث : ضرب الأمثال الحكيمة .

المطلـب الرابع : الكمال المطلق للإله الحق وحده .

المطلب الخامس : التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

المطلب السادس : الغلو في الصالحين سبب شرك البشر .

المطلب السابع : الشفاعة المثبتة والمنفية .

المطلب الثامن : الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده.

المطلب التاسع : البعث بعد الموت .

تمهيـد :

الـوثــني : من يتدين بعبادة الوثن[1]، يقال: رجل وثَنِيٌّ، وقوم وثنيُّون، وامرأة وثنيّة، ونساء وثنيّات[2]، واسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله. سواء كان ذلك المعبود قبراً، أو مشهدًا، أو صورة، أو غير ذلك[3].

وكل من دعا نبيًا أو وليًا أو ملكًا أو جنيًا، أو صرف له شيئًا من العبادة فقد اتخذه إلـهًا من دون الله[4]، وهذا هو حقيقة الشّرك الأكبر الذي قال الله ـ تعالى ـ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن

---

(١) الـوثن: الصنم، والجمع وُثُنٌ وأوثان: وهو التمثال يُعبد، سواء كان من خشب، أو حجر، أو نحاس، أو فضة أو غير ذلك. وقد كان الوثنيون يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله ـ تعالى ـ، كما بين ـ سبحانه ـ ذلك عنهم بقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. [سورة الزمر، الآية ٣]. انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الواو، ص١٥٩٧، وباب الميم فصل الصاد ص ١٤٦٠، والمعجم الوسيط مادة (وثن) ٢/ ١٠١٢، ومادة (صنم) ١/ ٥٢٦، والمصباح المنير، مادة (وثن) ص ٦٤٧، ٦٤٨، ومادة (صنم) ص ٣٤٩، ومختار الصحاح، مادة (وثن) ص ٢٩٥، ومادة (صنم) ص ١٥٦.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة (وثن) ٢/ ١٠١٢، والمصباح المنير، مادة (وثن) ص ٦٤٨.
قال ابن الأثير: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من خشب، أو حجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٥١، ٣/ ٥٦.
ثم قال: وقد يطلق الوثن على غير الصورة، ومنه حديث عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن». أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة التوبة، ٥/ ٢٧٨، برقم ٣٠٩٥، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٥٦.

(٣) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ص ٢٤٤.

(٤) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، ص ٢٤٢.

﴿يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1].

والمشركون يُدعَون إلى الله ـ تعالى ـ بالحكمة القولية على حسب عقولهم وأفهامهم.

وسأبيِّن ذلك ـ بإذن الله تعالى ـ في المطالب التالية:

المطلب الأول : الحجج والبراهين العقلية القطعية على إثبات ألوهية الله تعالى.

المطلب الثاني : ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه.

المطلب الثالث : ضرب الأمثال الحكيمة.

المطلب الرابع : الكمال المطلق للإله المستحق للعبادة وحده.

المطلب الخامس : التوحيد دعوة جميع الرسل، عليهم الصلاة والسلام،.

المطلب السادس : الغلوّ في الصّالحين سبب كفر بني آدم.

المطلب السابع : الشّفاعة المثبتة والمنفية.

المطلب الثامن : الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده.

المطلب التاسع : البعث بعد الموت.

---

(١) سورة النساء، الآية ٤٨.

المطلب الأول: الحجج العقلية القطعية على إثبات ألوهية الله تعالى:

من البراهين القطعية التي ينبغي للدعاة إلى الله تبيينها وتوضيحها لمن اتّخذ من دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ . لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1].

فقد أنكر ـ سبحانه ـ على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجارًا أو خشبًا، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرون على شيء من ذلك، ولو كان في السَّمَـٰوات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئًا والآخر لا يريد ذلك، أو أرادَ أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة!؛ وذلك:

- لأنه يستحيل وجود مرادهما معًا، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعًا للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيًّا ميتًا، متحركًا ساكنًا.

- وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

- وإن وُجِدَ مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإلـٰه القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٢١ ـ ٢٣.

• واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده من غير ممانع ولا مُدافع، ولا مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو الله الخالق الإلـه الواحد، لا إلـه إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر - سبحانه - دليل التمانع في قوله عز وجل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال:- ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾[2]. وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم - يدل على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلـهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٩١، ٩٢.

(٢) سورة الملك، الآية ٣.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٣٧-٣٨٢، ١/ ٣٥-٣٧، وتفسير البغوي ٣/ ٢٤١، ٣١٦، وابن كثير ٣/ ٢٥٥، ١٧٦، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٠٢، ٤٩٦، وتفسير عبدالرحمن السعدي ٥/ ٢٢٠، ٣٧٤، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ٣/ ٩٩، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص ١٥٨-١٦١.

المطلب الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه:

من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عُبِدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئًا من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإلـه الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسئَل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئًا[1].

وقد بين الله ـ عز وجل ـ ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَالَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ. وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ. إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ. أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ. إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ. وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ. وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٨٣، ٢١٩، ٢٧٧، ٤١٧، ٣/ ٤٧، ٢١١، ٣١٠، وتفسير السعدي ٢/ ٣٢٧، ٤٢٠، ٣/ ٢٩٠، ٤٥١، ٥/ ٢٧٩، ٤٥٧، ٦/ ١٥٣، وأضـواء البيـان للشنقيـطي ٢/ ٤٨٢، ٣/ ١٠١، ٣٢٢، ٥٩٨، ٥/ ٤٤، ٦/ ٢٦٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٦.

يُبْصِرُونَ﴾[1].

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[2].

ومن المعلوم يقينًا أن ما يعبده المشركون من دون الله من: الأنبياء أو الصالحين أو الملائكة أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغلٍ شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْب من ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف يُعبَدُ من هذه حاله؟[3] قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[4].

وقد أوضح وبين سبحانه أن ما عُبِدَ من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السَّمَـٰوات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له[5]، قال عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ . .﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف، الآيات ١٩١ ـ ١٩٨ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٥٦ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨، وتفسير السعدي ٤/ ٢٩١ .

(٤) سورة الإسراء، الآية ٥٧ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧، وتفسير السعدي ٦/ ٢٧٤ .

(٦) سورة سبأ، الآيتان ٢٢، ٢٣ .

المطلب الثالث : ضرب الأمثال الحكيمة :

ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم فسأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود كالتالي :

١ - قال الله - عز وجل -: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1] .

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تُعبَد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله - تعالى - في بطلان الشرك وتجهيل أهله[2] .

---

(١) سورة الحج، الآيتان ٧٣، ٧٤ .

(٢) انظر: أمثال القرآن لابن القيم ص ٤٧، والتفسير القيم لابن القيم ص ٣٦٨، وتفسير البغوي ٣/ ٢٩٨، وابن كثير ٣/ ٢٣٦، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٧٠، وتفسير السعدي ٥/ ٣٢٦ .

٢ ـ ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ. إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[1].

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين ـ سبحانه ـ أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتًا وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء، فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفًا إلى ضعفهم[2].

٣ ـ ومن أبلغ الأمثال التي تُبيّن أن المشرك قد تشتت شمله واحتار في أمره، ما بيّنه تعالى بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فهذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلهـة شتى شُبِّـهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات ٤١ ـ ٤٣.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/٤٦٨، وأمثال القرآن لابن القيم ص ٢١، وفتح القدير للشوكاني ٤/٢٠٤.

(٣) سورة الزمر، الآية ٢٩.

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب: كلَّا، لا يستويان أبدًا[1].

(١) انظر: تفسير البغوي ٤/ ٧٨، وابن كثير ٤/ ٥٢، والتفسير القيم ص٤٢٣، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٦٢، وتفسير السعدي ٦/ ٤٦٨، وتفسير الجزائري ٤/ ٤٣.

المطلب الرابع : الكمال المطلق للإله الحق المستحق للعبادة وحده :

بعد أن عرفنا صفات الآلهة الباطلة، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرًا ولا نفعًا، فهي لا تستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيءٍ، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل شيء ، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكَرَ فلا يُنسىَ ، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى ، ولا يُشرك معه غيره[1] .

وصفات الكمال المطلق لله ـ تعالى ـ، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال :

١ ـ **المتفرد بالألوهية** : لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبدا، القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء ، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السموات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا. لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[2] .

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فكل

(١) انظر : تفسير البغوي ١/ ٢٣٧، ٣/ ٧١، ٢/ ٨٨، ٣٧٢، وابن كثير ١/ ٣٠٩، ٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٢، ٢/ ١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠، ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، وتفسير السعدي ١/ ٣١٣، ٧/ ٦٨٦، ٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٩٧، ٤/ ٢٠٤، ٦/ ٣٦٤، ١/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢، وأضواء البيان ٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٧١ .

(٢) سورة مريم، الآيتان ٩٣، ٩٤ .

الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء ، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دل على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ . . .﴾ الآية[1].

٢ ـ وهو الإلـه الذي خضع كل شيء لسلطانه، فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، وإنسها وجنّها وملائكتها ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2].

٣ ـ وهو الإلـه الذي بيده النفع والضر، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقًا لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد الله ذلك، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .
(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٣ .
(٣) سورة يونس، الآية ١٠٧ .

٤ ـ وهو القادر على كل شيء ، ولا يعجزه شيء ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١].

٥ ـ إحاطة علمه بكل شيء ، شامل للغيوب كلها : يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون[٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣]، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦].

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة ، فإنه سيعبد الله وحده ؛ لأنه الإلـه المستحق للعبادة .

---

(١) سورة يس، الآية ٨٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، والسعدي ٢/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥ .

(٤) سورة يونس، الآية ٦١ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ٥٩ .

(٦) سورة الأنفال، الآية ٧٥ .

المطلب الخامس : التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام :

يجب أن يُبلّغ كل من أشرك بالله ـ تعالى ـ أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجة قد قامت على جميع الأمم، وما من أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له[1]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[4].

فبين سبحانه في هذه الآيات عن طريق العموم أن جميع الرسل دعوا إلى «لا إلـه إلا الله»، وخلع جميع المعبودات من دون الله[5]، وفصَّل ذلك في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ. .﴾[6]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾[7]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٤٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٧، والسعدي ٤/ ٢٠٢، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٦٨.
(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.
(٤) سورة الزخرف، الآية ٤٥.
(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٢٦٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية ٥٩.
(٧) سورة الأعراف، الآية ٦٥.

صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[1]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[2]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3].

وهذا بلاغ مبين من الله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فالداعية إلى الله - تعالى - يقوم بإيصال هذه الحكم القولية إلى الناس، ويبين لهم ذلك، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وما ربك بظلّام للعبيد.

(1) سورة الأعراف، الآية ٧٣.
(2) سورة الأعراف، الآية ٨٥.
(3) سورة المائدة، الآية ٧٢.

المطلب السادس: الغلو في الصالحين سبب شرك البشر:

من أعظم الحكم القولية في دعوة من تعلق بغير الله - تعالى - أن يبين لهم أن الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله - تعالى -، فقد كان الناس منذ أُهبِطَ آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[1].

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث الله نوحًا ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهى عن عبادة ما سواه[2]، وردّ عليه قومه: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[3].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم عُبِدت»[4].

وهذا سببه الغلو في الصالحين، فإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبور، ويُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تعلق

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، ٢/٥٤٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/١٠١، وعزاه إلى البخاري، وانظر: فتح الباري ٦/٣٧٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/١٠٦.

(٣) سورة نوح، الآية ٢٣.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة نوح، ٨/٦٦٧، برقم ٤٩٢٠.

عليه الستور، ويطاف به، ويستلم ويقبل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا، ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تَنَقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون[1].

ولهذا حذّر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله ـ تعالى ـ، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[2]، ولهذا حذر رسول الله ﷺ عن الإطراء فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله**»[3]، وقال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[4].

وحذر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم، ولهذا لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٩/ ٦٢، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٤٦.

(٢) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم...﴾، ٦/ ٤٧٨، ١٢/ ١٤٤، وانظر شرحه في الفتح ١٢/ ١٤٩.

(٤) النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى ٥/ ٢٦٨، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي ٢/ ١٠٠٨، وأحمد ١/ ٣٤٧.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٣، ٣/ ٢٠٨، ٧/ ١٨٧، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.. ١/ ٣٧٥.

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: **«لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. قالت عائشة - رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا[1].

وقال قبل أن يموت بخمس: **«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**[2].

وحذّر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثنًا يُعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: **«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[3].

ولعن ﷺ من اتخذ المساجد على القبور؛ لينفِّر عن هذا الفعل، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: **«لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»**[4].

ولم يترك ﷺ بابًا من أبواب الشرك التي تُوصِّل إليه إلا سدّه[5]، قال ﷺ:

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان ١/ ٥٣٢، ٣/ ٢٠٠، ٦/ ٤٩٤، ٧/ ١٨٦، ٨/ ١٤٠، ١٠/ ٢٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ١/ ٣٧٧.

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٧.

(٣) الموطأ للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة ١/ ١٧٢، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد ٢/ ٢٤٦: «اللهم لا تجعل قبري وثنا، ولعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣١٧، وانظر: فتح المجيد ص ١٥٠.

(٤) النسائي، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٤/ ٩٤، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور ٣/ ٢١٨، والترمذي، كتاب الصلاة، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا ٢/ ١٣٦، وابن ماجه في الجنائز، باب النهي عن زيارة النساء للقبور ١/ ٥٠٢، وأحمد ١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٢/ ٣٣٧، ٣/ ٤٤٢، ٤٤٣، والحاكم ١/ ٣٧٤، وانظر ما نقله صاحب فتح المجيد في تصحيح الحديث عن ابن تيمية ص ٢٧٦.

(٥) انظر: فتح المجيد ص ٢٨١.

«لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها»(1).

وقد بين ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيدًا عن قبره أو قريبًا، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيدًا: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**(2).

وقال ﷺ: **«إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»**(3).

وإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فغيره أولى بالنهي كائنًا ما كان(4).

وقد كان ﷺ يطهر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»(5).

وكما سد ﷺ كل باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: **«لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»**(6).

---

(1) مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٢/ ٦٦٨.

(2) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢/ ٢١٨ بإسناد حسن، وأحمد ٢/ ٣٥٧، وانظر: صحيح سنن أبي داود، ١/ ٣٨٣.

(3) النسائي في السهو، باب السلام على النبي ﷺ ٣/ ٤٣، وأحمد ١/ ٤٥٢، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ٢١، ص ٢٤، وسنده صحيح.

(4) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم ٦/ ١٦٥ - ١٧٤.

(5) مسلم، كتاب الجنائز، الأمر بتسوية القبر ١/ ٦٦٦.

(6) البخاري مع الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/ ٦٣، ومسلم بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/ ٩٧٦.

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من قول النبي ﷺ، ولهذا عندما ذهب أبـو هريرة ـ رضـي الله عنـه ـ إلى الـطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد. . .**»[1].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل ينهى عن ذلك»[2].

فتبين أن زيارة القبور نوعان:

النوع الأول: زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة، ولتذكر الموت، بشرط عدم شدِّ الرِّحال.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية[3]، وهذا النوع ثلاثة أنواع:

١ ـ من يسأل الميت حاجته، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام.

٢ ـ من سأل الله ـ تعالى ـ بالميت، كمن يقول: أتوسل إليك بنبيك، أو بحق الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو لا يُخرِجُ عن الإسلام كما يُخرِجِ الأول.

---

(١) النسائي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ٣/ ١١٤، ومالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة ١/ ١٠٩، وأحمد في المسند ٦/ ٧، ٣٩٧، وانظر: فتح المجيد ص ٢٨٩، وصحيح النسائي، ١/ ٣٠٩.

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٤.

(٣) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٣، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٣.

٣ ـ من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع[1].

فإذا سلك الداعية هذه المسالك في دعوة الوثنيين بالحكمة القولية وُفّقِ بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٦/ ١٦٥ ـ ١٧٤ .

المطلب السابع : الشفاعة المثبتة والمنفية :

الشفاعة لغة : يُقال: شفع الشيء : ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعًا[1].

واصطلاحًا : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرَّةٍ[2].

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلّق بغير الله - تعالى - ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

ويمكن أن يرد على من طلب الشفاعة من غير الله - تعالى - بالأقوال الحكيمة الآتية:

أولاً : ليس المخلوق كالخالق، فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاهٌ عظيمٌ ومقاماتٌ عاليةٌ فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرّب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسّلاطين، ليجعلوهم وسائطَ لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

١ - إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

٢ - أو يكون المِلكُ عاجزًا عن تدبير رعيته فلا بدّ له من أعوان؛ لذُلِّهِ وعجزه.

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين ص٩٤٧، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٨٥، والمعجم الوسيط ١/ ٤٨٧.

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين ص ٨٠.

(٣) سورة الزمر، الآية ٤٤.

٣ ـ أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبه من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمّته في قضاء حوائج رعيته.

والله ـ عز وجل ـ ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكًا لهم، وقد يكون معاونًا لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

(أ) تارة لحاجتهم إليه. (ب) وتارة لخوفهم منه.

(جـ) وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله ـ عز وجل ـ لا يرجو أحدًا ولا يخافه، ولا يحتاج إليه[1]، ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلّقات بغيره، وبيّن بطلانها، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ. وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ . .﴾[2].

فقد سدّت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سد وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكًا للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكًا لمالكها، أو ظهيرًا أو وزيرًا أو معاونًا له، أو وجيهًا ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده[3].

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ١٢٦ ـ ١٢٩.
(٢) سورة سبأ، الآيتان ٢٢، ٢٣.
(٣) انظر: التفسير القيم، لابن القيم ص ٤٠٨.

ثانيًا : الشفاعة شفاعتان :

(أ) شفاعة مثبتة : وهي التي تطلب من الله ولها شرطان :

الشرط الأول : إذن الله للشّافع أن يشفع ، لقوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1] .

الشرط الثاني : رضا الله عن الشّافع والمشفوع له ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2] ، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[3] .

(ب) الشفاعة المنفية : وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والشفاعة بغير إذنه ورضاه ، والشفاعة للكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[4] ، ويستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف عذاب أبي طالب[5] .

ثالثًا : الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع ، فلم يكن النبي ﷺ ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة ، أو الأنبياء ، أو الصالحين ، ولا يطلبوا منهم الشفاعة ، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولم يستَحِبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين ، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين ، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع ، فالحمد لله رب العالمين[6] .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٨ .

(٣) سورة طه، الآية ١٠٩ .

(٤) سورة المدثر، الآية ٤٨ .

(٥) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ٧/ ١٧٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا، برقم ٢١١، ١/ ١٩٥ .

(٦) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ١١٢، ١٥٨، ١٤/ ٣٩٩ - ٤١٤، ١/ ١٠٨ - ١٦٥، ١٤/ ٣٨٠، ٤٠٩، ١/ ١٦٠ - ١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٤٧، وأضواء البيان ١/ ١٣٧ .

المطلب الثامن : الإلـه الحق سخر جميع ما في الكون لعباده :

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله ـ تعالى ـ لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة : الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بين سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولاً : على وجه الإجمال :

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا. . .﴾[2]، ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الآية[3]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسيّة والمعنوية، فجميع ما في السمٰوات والأرض قد سُخّر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السمٰوات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر والكواكب، والثوابت والسيارات، والجبال والبحار والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

---

(١) سورة النحل، الآية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٩ .

(٣) سورة لقمان، الآية ٢٠ .

(٤) سورة الجاثية، الآية ١٣ .

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريبًا ولا شكًا على أن الله هو الحق، وأن ما يُدعى من دونه هو الباطل[1]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[2].

ثانيًا: على وجه التفصيل:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ. وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[3].

وقال عز وجل بعد أن ذكر نعماً كثيرة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ. أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٥٩، ٣/ ٧٢، وابن كثير ٣/ ٤٥١، ٤/ ١٤٩، والشوكاني ١/ ٦٠، ٤/ ٤٢٠، والسعدي ١/ ٦٩، ٦/ ١٦١، ٧/ ٢١، وفي ظلال القرآن ١/ ٥٣، ٥/ ٢٧٩٢، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٢٥ ـ ٢٥٣.

(٢) سورة الحج، الآية ٦٢، وانظر: سورة لقمان، الآية ٣٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات ٣٢ ـ ٣٤.

(٤) سورة النحل، الآيات ١٤ ـ ١٨، وانظر: الآيات ٣ ـ ١٢ من السورة نفسها.

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئاً منها؟

ومن المعلوم قطعًا أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها؟[1].

ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئًا، لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه .

(١) انظر: فتح القدير ٣/ ١٥٤، ٣/ ١١٠، وأضواء البيان ٣/ ٢٥٣.

المطلب التاسع : البعث بعد الموت :

استبعد المشركون والملحدون إعادة الأجساد بعد موتها، إذا تقطعت الأوصال، وتمزّقت الأجساد، وبليت العظامُ وتفتّت وتفرّقت في أجزاء الأرض، وتحلّل الجسد إلى ذرات ترابية، وربما أكلته السباع، فصار غذاء لها واختلط بأجزائها[1].

ومن الحكمة القولية في دعوة هؤلاء إلى الإيمان بالبعث أن تُسلَك معهم المسالك التالية:

المسلك الأول : الأدلة العقليـة .
المسلك الثاني : الأدلة الحسـيّة .
المسلك الثالث : الأدلة الشّرعية .

المسلك الأول : الأدلة العقلية :

أولًا : حكمة الله ـ تعالى ـ وعدله يقتضيان البعث والجزاء :

لقد شاء الله ـ عز وجل ـ أن يجعل الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار وعمل، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأمر بعبادته وحده، وجعل دارًا أخرى، وذلك من مقتضيات ملكه وحكمته وعدله؛ لِيُثيب المحسن على إحسانه، ويُجازي المسيء على إساءته، ولم يخلق الخلق عبثًا، ولم يتركهم هملًا، قال تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ. ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[2]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[3]،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٨، ٤/ ٢٢٢، ومناهج الجدل ص ٣١١، ومعالم الدعوة ١/ ١٩٨.
(٢) سورة الملك، الآيتان ١، ٢ .
(٣) سورة المؤمنون، الآية ١١٥ .

﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾[1].

وهو عز وجل لا يساوي بين الخبيث والطيب، والمحسن والمسيء، والكافر والمؤمن، وقد أنكر على من ظن ذلك[2] فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[3]، ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4].

ثانيًا: القادر على إيجاد الخلق قادر على إعادته، وهو أهون عليه.

الشيء إذا لم يكن ثم كان ثم أعدم فإن إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أفناه، وقد ردّ الله ـ سبحانه ـ على من أنكر البعث بهذا فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[5]، ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[6].

وغير ذلك من الأدلة القطعية التي تدل على أن من خلق الخلائق وابتدع

(١) سورة يونس، الآية ٤.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٨، والسعدي ٦/ ١٨٥، وأضواء البيان ٧/ ٣٠.
(٣) سورة الجاثية، الآية ٢١.
(٤) سورة القلم، الآيتان ٣٥، ٣٦.
(٥) سورة الروم، الآية ٢٧.
(٦) سورة مريم، الآيتان ٦٦، ٦٧.

خلقهم على غير مثال سابق قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى، وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى[1].

ثالثًا: الخالق لما هو أعظم قادر على خلق ما هو أصغر بلا شك:

من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السمٰوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، فخلقه لهذه المخلوقات العظيمة وقدرته عليها من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لا شك في قدرته الكاملة على خلق الأيسر الأضعف الأصغر، وهو أولى بالقدرة والإمكان من الأعظم[2]، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

رابعًا: اليقظة بعد النوم:

النوم يعتبر موتًا مصغّرًا، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضًا، وكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان وعملية الاستيقاظ تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما[4]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٢ - ٣٥، وأضواء البيان ١/ ٨٩، ١١٥، ٣/ ٢٢٣، ٧/ ٣٣٤ - ٣٣٦.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٢، وأضواء البيان ١/ ٨٩، ١١٦.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٣٣.

(٤) انظر: أضواء البيان ٤/ ٢٤، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٢٦٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٦٠.

ومن آيات الله العظيمة الباهرة الدالة على بعث الأرواح والأجساد ما أجراه الله سبحانه على أهل الكهف من نوم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسع سنين، ثم بعثهم بعد هذا النوم الطويل[1]: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ . . ﴾[2].

خامسًا : إخراج النار من الشجر الأخضر :

ومن الأدلة على بعث الأجساد والأرواح قدرة الله ـ تعالى ـ على إخراج النار اليابسة المحرقة من الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة مع تضادهما وشدة تخالفهما، فالقادر على أن يخلق من الشجر الأخضر نارًا أولى بالقدرة على أن يخرج إنسانًا حيًا من التراب كما خلقه أول مرة[3]، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[4].

المسلك الثاني : الأدلة الحسية :

من الأدلة الحسية التي شاهدها الناس ونقلها لنا أعظم الكتب والمهيمن عليها ما يأتي :

أولًا : إحياء الله الموتى في الحياة الدنيا :

فمن أعظم البراهين التي تدل على البعث إحياء الله ـ عز وجل ـ بعض الموتى في الحياة الدنيا؛ لأن من أحيا نفسًا واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[5].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/ ١٦٥، وابن كثير ٣/ ٧٨، والسعدي ٥/ ١٣، وأضواء البيان ٤/ ٢٢-٢٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٢١.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٨٣.

(٤) سورة يس، الآية ٨٠.

(٥) سورة لقمان، الآية ٢٨.

ومن هذا النوع الأمثلة التالية:

١ ـ قوم موسى حين قالوا: لن نُؤمن لك حتى نرى الله جهرةً، فأَمَاتَهُم الله ـ تعالى ـ ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(1).

٢ ـ قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة، ثم يضربوه ببعضها، ثم فعلوا فأحياه الله، فأخبر بمن قتله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(2).

٣ ـ قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾(3).

٤ ـ قصة الرجل الذي مرّ على قرية ميتة فاستبعد أن يُحييهَا اللهُ، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ

(١) سورة البقرة، الآيتان ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٧٢، ٧٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

٥ ـ قصة إبراهيم ﷺ حين سأل الله ـ تعالى ـ أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره أن يذبح أربعة من الطير ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتجتمع الأجزاء بعضها إلى بعض وتأتي إلى إبراهيم سعيًا[2]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

٦ ـ ما أخبر الله به عن عيسى ﷺ من أنه كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله تعالى: ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[4]، ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾[5].

فهذه أدلّة حسّية واقعة، وبرهان قطعيّ على القدرة الإلٰهية، وأن الذي أماتهم ثم أحياهم قادر على بعثهم يوم القيامة، فإنه لا يعجزه شيءٌ سبحانه[6].

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٩ .
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣١٥، والسعدي ١/ ٣٢١ .
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٠ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ٤٩ .
(٥) سورة المائدة، الآية ١١٠.
(٦) انظر: تفسير السعدي ١/ ٣٢١، ومناهج الجدل ص ٣٢٨ .

ثانيًا : إحيــاء الأرض بعد موتهــا :

إحياء الله الأرض بعد موتها بُرهان قاطع من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت؛ لأنه بُرهان حسيٌّ يتجدّد بين يدي الناس، ويشاهدون فيه آثار قدرة الله ـ تعالى ـ في الإحياء المتجدّد، ولأن من أخرج النّبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج فأحيَا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم[1] قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[2]، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

المسلك الثالث : الأدلة الشـرعيـة :

ردّ الله ـ تعـالى ـ شبـه المنكـرين للبعث، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ . قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[5]، ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ

---

(١) أضـواء البيـان ١/ ٩٠، ١١٦، ٣/ ٢٢٣، ٧/ ٣٣٦، وشرح أصـول الإيـمان لمحمـد بن صالح العثيمين ص ٤٩ .

(٢) سورة الروم، الآية ١٩ .

(٣) سورة الروم، الآية ٥٠ .

(٤) سورة فصلت، الآية ٣٩ .

(٥) سورة السجدة، الآيتان ١٠، ١١ .

هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾[1].

فبين سبحانه أنه يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم، ولا يخفى عليه أين تفرّقت، وإلى أين ذهبت، كل ذلك عنده في كتاب مَضْبُوطٍ محفوظٍ[2].

وأمر الله رسوله ﷺ أن يُقْسِمَ بربه ـ سبحانه ـ على وقوع البعث ووجوده، وأنه لا يغيب عن الله ـ تعالى ـ مثقال ذرة في السَّمَٰوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا يعجزه شيء[3]، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[4]، ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[5].

فإذا استخدم الداعية إلى الله ـ تعالى ـ في دعوته للوثنيين بالحكمة القولية ما جاء في هذه المطالب ومسالكها التفصيلية، كان مصيبًا مسددًا، مُنزِّلًا للناس منازلهم، سالكًا طريق الحكمة في دعوتهم بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة قٓ، الآيات ١ ـ ٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢١، ٣/ ٥٢٦، ٤/ ٣٧٥، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٦/ ٦١٣.

(٤) سورة يونس، الآية ٥٣، وانظر: سورة سبأ، الآية ٣.

(٥) سورة التغابن، الآية ٧.

المبحث الثالث : حكمة القول مع أهل الكتاب

تمهيـــــــــد :

المطلب الأول : حكمة القول مع اليهود .

المطلب الثاني : حكمة القول مع النصارى .

المطلب الثالث : البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها.

تمهيـد :

إن من حكمة القول في دعوة أهل الكتاب إلى الله ـ تعالى ـ أن يُجادَلُوا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولُطْفٍ ولِين كلام ، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرّد المجادلة والمغالبة وحبّ العلو، بل لا بد أن يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق، كما قال عز وجل[1]، ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2]، وقال عز وجل : ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3].

ونظير ذلك من الدعوة بالقول الحكيم قوله ـ عز وجل ـ لموسى وهارون : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ . فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4].

ومن ذلك القول اللين كقوله تعالى لموسى : ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٢، ٣/ ٤١٦، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٤٨، والسعدي ١/ ٣٨٩، ٦/ ٩٢، وأضواء البيان ٣/ ٣٨٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٤ .

(٤) سورة طه، الآيتان ٤٣، ٤٤ .

طَغَىٰ. فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ. وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[1].

وقد كان النبي ﷺ يستخدم القول الحكيم في دعوته إلى الله ـ عز وجل ـ، ومن ذلك ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ[2] عَلَيْكَ. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السَّامُ واللَّعْنَة! قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة، إن الله يحبّ الرّفق في الأمر كله**». فقلت: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت: وعليكم**»[3].

وكان ﷺ يستخدم ذلك حتى في رسائله، ففي كتابه إلى هرقل:

«**بسم الله الرحمـٰن الرحيم. من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم.**

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن تولّيتَ فإن عليك إثمَ الأرِيسِيِّينَ[4] و﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[5].

---

(1) سورة النازعات، الآيات ١٧ ـ ١٩.

(2) السام: الموت، وقيل: الموت العاجل، وقيل: تسأمون دينكم. انظر: الفتح ١١/ ٤٢، ٤٣، ١٠/ ١٣٥.

(3) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ١٠/ ١٣٥، ٤٤٩، ١١/ ٤٢، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم ٤/ ١٧٠٦.

(4) الأريسيين: أي إثم الفلاحين، والمعنى: فإن لم تدخل في الإسلام فإن عليك إثمك وإثمهم إذا لم يسلموا تقليدًا لك. انظر: فتح الباري ١/ ٣٩.

(5) البخاري مع الفتح واللفظ له، كتاب التفسير، باب: قل يا أهل الكتاب... ٨/ ٢١٥، وكتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ١/ ٣٢، ومسلم في كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/ ١٣٩٦.

وعلى أساس دعوة أهل الكتاب بالجدال بالتي هي أحسن والقول الحكيم، فسأتحدث عن ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ في المطالب الآتية:

المطلب الأول : حكمة القول مع اليهود.

المطلب الثاني : حكمة القول مع النصارى .

المطلب الثالث : البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها.

المطلب الأول : حكمة القول مع اليهود :

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله ـ عز وجل ـ أن يسلكَ معهم الداعية المسلم المسالك التالية :

المسلك الأول : الأدلة العقلية والنقلية على نسخ الإسلام لجميع الشرائع .

المسلك الثاني : الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة .

المسلك الثالث : إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود .

المسلك الرابع : الأدلّة على إثبات رسالة عيسى ومحمد، **عليهما الصلاة والسلام**.

المسلك الأول : الأدلة العقلية والنقلية على نسخ[1] الإسلام لجميع الشرائع :

دعـوة الـرسـل ـ **عليهم الصلاة والسلام** ـ إلى توحيد الله تعالى دعوة واحدة، فقد اتفقوا جميعًا على دعوة الناس إلى إفراد الله بالعبادة، لا إلـه إلا هو، ولا ربّ سواهُ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ**﴾[2]، ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ**﴾[3].

فأصل دين الأنبياء صلى الله **عليهم** وسلم واحد، وهو التّوحيد، وإن

---

(١) النسـخ في اللغة : الإزالة، وفي الاصطلاح : رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه . انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٥٠، ومناهل العرفان ٢/ ٧١.

(٢) سورة النحل الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .

اختلفت فروع الشرائع[1]، ولهذا قال ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات[2]، أمهاتهم شتّى، ودينهم واحد، [وليس بيني وبين عيسى نبي]**»[3].

ثم ختم الله ـ تعالى ـ الشرائع كلّها بشريعة محمد ﷺ، فأرسله الله إلى جميع الثقّلين: من إنس وجنّ، ونسخت شريعته جميع الشرائع السّابقة، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ**﴾[4].

وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي أو نصراني، ثم يمــوت ولم يؤمن بالـذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[5].

والله ـ تعالى ـ حكيم عليم ﴿**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ**﴾[6]، ولا غرابة في أن يرفع شرع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق من علاّم الغيوب تبـارك وتعـالى، ولكن اليهود والنصارى[7] أنكروا نسخ الشّريعة

---

(١) انظر: فتح الباري ٦/ ٤٨٩ .
(٢) أولاد العلات: الإخوة من أب وأمهاتهم شتى. (الضرائر). فتح الباري ٦/ ٤٨٩ .
(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب قوله الله ـ تعالى ـ: ﴿واذكر في الكتاب مريم...﴾، ٦/ ٤٧٧، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ﷺ، ٤/ ١٨٣٧، وما بين المعكوفين من البخاري ٦/ ٤٧٨، ومسلم ٤/ ١٨٣٧ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ٨٥ .
(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ .
(٦) سورة الأنبياء، الآية ٢٣ .
(٧) لتداخل أقوال النصارى مع اليهود في النسخ، فسأذكر الرد عليهم جميعًا في هذا المسلك ـ إن شاء الله تعالى ـ.

الإسلاميّة لجميع الشّرائع السّابقة[1]، فيكون الردّ عليهم بالقول الحكيم كالآتي:

أولًا: الأدلــة العقليــة:

١ ـ ليس هنالك محظور في النسخ عقلاً، وكل ما لم يترتب عليه محظور كان جائزًا عقلاً، فالنسخ جائز عقلاً.

٢ ـ الله ـ تعالى ـ يأمر بالشيء على قدر ما تقتضيه المصلحة، فقد يأمر بالشيء في وقت، وينهى عنه في وقت آخر، لأنه ـ سبحانه ـ أعلم بمصالح عباده، والطبيب الحكيم يأمر المريض بشرب الدواء، أو استعمال دواء خاصّ في بعض الأزمنة وينهاه عنه في زمن آخر، بسبب اختلاف مصلحته عند اختلاف مزاجه، والملك الذي يُشفق على رعيته ينقلهم في بعض الأزمنة إلى نوع من السياسة غير النوع الأول، لما في ذلك من المصالح، وقد يسوس الوالد الحكيم ولده في وقت باللطف، وفي وقت آخر بالتأديب، على قدر ما يرى في ذلك من المصلحة[2]، والله ـ عز وجل ـ ﴿... لَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]، وهو سبحانه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة بالغة، فهو يُحيي ثم يُميت ثم يُحيى، وينقل الدولة

---

(١) ثم افترق اليهود والنصارى إلى ثلاث طوائف:
(أ) طائفة الشمعونية من اليهود، قالوا: النسخ ممتنع عقلًا وسمعًا، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتأخرين.
(ب) وطائفة العنانية من اليهود، قالوا: النسخ جائز عقلًا، لكنه لم يقع سمعًا، فهو ممتنع.
(جـ) طائفة العيسوية من اليهود، قالوا: النسخ جائز عقلًا وواقع سمعًا، إلا أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ ما قبلها من الشرائع، وإنما هي للعرب خاصة، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتقدمين. انظر: مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٨٢، ٨٣.

(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام، لكمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧هـ، ص ٣١٩، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٨٣.

(٣) سورة الروم، الآية ٢٧.

من قوم أعزّة إلى أذلّة، ومن قوم أذلّة إلى أعزّة، ويُعطي مَن شاء ما شاء، ويمنع من شاء[1]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[2].

٣ - يلزم من يقول بوقوع النسخ سمعًا وجوازه عقلاً أنهم ماداموا يجوزون أن يأمر الشارع عباده بأمر مؤقت ينتهي بانتهاء وقته، وقد وقع ذلك سمعًا فليجوزوا نسخ الشريعة الإسلامية للأديان السابقة[3].

ثانيًا: الأدلّة النقليّة السّمعيّة، وهي نوعان:

النوع الأول: ما تقوم به الحُجَّة على منكري النسخ من اليهود والنصارى الذين لم يعترفوا برسالة محمد ﷺ.

النوع الثاني: ما تقوم به الحُجَّة على من آمن برسالة محمد ﷺ، ولكنهم قالوا: إنها خاصة بالعرب[4].

النوع الأول: تقوم الحجّة على من أنكر نبوّة محمد ﷺ مطلقًا بالأدلة الواردة في التوّراة والإنجيل، والداعية المسلم إذ يُورد الأدلّة من كتبهم لا يعتقد أن هذه النّصوص كما أُنزلت، بل يحتمل أن تكون مما وقع عليه التحريف والتغيير؛ فإن اليهود والنصارى قد غيرّوا وبدَّلُوا كثيرًا من كتبهم، ولكن المسلم يقيم عليهم الحجّة بما بين أيديهم من التوراة والإنجيل[5] لا

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٨٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٨٦.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٧/ ٢٧.

(٥) تنقسم أخبار كتب اليهود والنصارى إلى ثلاثة أقسام:

(أ) ما عُلِمَ صحته بنقله عن النبي ﷺ نقلًا صحيحًا، أو كان له شاهد صحيح من الشرع يؤيده، فهذا القسم صحيح مقبول.

(ب) ما عُلِمَ كذبه لكونه يناقض ما عُرِفَ من شريعة محمد ﷺ، أو لا يتّفق مع العقل الصحيح، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

(جـ) ما هو مسكوت عنه، وليس من النوع الأول ولا الثاني، وهذا القسم يتوقف عنه المسلم فلا =

لثبوتها، ولكن لإلزامهم بالتسليم، أو يعترفوا بالتحريف ومن ذلك ما يلي:

١ ـ جاء في التوراة أن الله ـ تعالى ـ أمر آدم أن يزوّج بناته من بنيه، وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثى، فكان يزوّج توأمة هذا للآخر، ويزوج توأمة الآخر لهذا، إقامة لاختلاف البطون مقام اختلاف الآباء والأمهات والأنساب، ثم حرّم الله ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين واليهود والنصارى[١].

٢ ـ جاء في السفر الأول من التوراة أن الله ـ تعالى ـ قال لنوح عند خروجه من السفينة: «إني جعلت كل دابة مأكلاً لك ولذريّتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب، ما خلا الدم فلا تأكلوه»، ثم اعترفوا بعد ذلك بأن الله حرم كثيراً على أصحاب الشرائع، ومن ذلك الخنزير في شريعة موسى، وهذا عين النسخ[٢].

٣ ـ أمر الله إبراهيم ﷺ بذبح ولده، ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به، وقد أقرّ منكرُواْ النّسخ بذلك[٣].

٤ ـ الجمع بين الأختين كان مباحًا في شريعة يعقوب ﷺ، ثم حُرِّمَ في شريعة موسى ﷺ[٤].

= يصدقه ولا يكذبه، ويجوز حكايته، لقوله ﷺ: «لا تصدّقُوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل..»، البخاري مع الفتح ٨/ ١٧٠، ١٣/ ١١٦، وقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج..» في البخاري مع الفتح ٦/ ٤٩٦، وانظر: التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٧٩.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٥٢، ٣٨٣، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٨٧، وإظهار الحق، لرحمة الله الهندي ١/ ٥١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٥٢، ٣٨٣، ومناهل العرفان ٢/ ٨٧، وإظهار الحق ١/ ٥١٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٥٢، ومناهل العرفان ٢/ ٨٧، وإظهار الحق ١/ ٣١٥.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ١٨١، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٢٤، وابن كثير ١/ ١٥٢، ٣٨٣، ومناهل العرفان ٢/ ٨٨، وإظهار الحق ١/ ٥١٥.

٥ ـ أمر الله ـ تعالى ـ من عَبَدَ العِجْلَ من بني إسرائيل أن يقتَتِلوا، ثم أمرهم برفع السيف عنهم[1].

وغير ذلك كثير.

<u>النـوع الثاني</u> : تقوم الحجّة به على من آمن بنبوة محمد ﷺ واعترف بها؛ ولكنـه جعلهـا خاصّة بالعرب دون غيرهم، فهؤلاء متى سلّموا واعترفُوا برسالته ﷺ وأنه صادقٌ فيما بلغه عن الله ـ عز وجل ـ من الكتاب والسنة وجب عليهم الإيمان والتصديق بكل ما ثبت عنه، وما جاء به من عموم الرسالة، والنسخ الثّابت بالكتاب والسنة[2]، ومن هذا النوع ما يأتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3].

٢ ـ وقـال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ. فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ. قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْـمُشْرِكِينَ﴾[4].

---

(١) ابن كثير ١/ ١٥٢، ومناهل العرفان ٢/ ٨٧، وانظر ذلك من القرآن في سورة البقرة، الآية ٥٤.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١/ ٣٧، ١/ ٣١ ـ ١٧٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٧/ ٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ١٠٦، ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران، الآيات ٩٣ ـ ٩٥.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١].

٤ ـ وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[٢].

٥ ـ وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

٦ ـ وقال جل وعلا: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤].

٧ ـ إجماع سلف الأمة على أن النسخ وقع في الشريعة الإسلامية، كما أن النسخ وقع بها لجميع الشرائع السابقة[٥].

وبهذه الأدلة العقلية والنقلية السمعية ـ التي دلت على جواز النسخ عقلاً

---

(١) سورة النساء، الآيتان ١٦٠، ١٦١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤٦.

(٣) سورة النحل، الآية ١٠١.

(٤) سورة الرعد، الآيتان ٣٨، ٣٩.

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٢٢، ٨٤، ١/ ٣٢٦، وابن كثير ١/ ١٥١، ٣٨٢، ٥٨٥، ٢/ ١٨٦، ٥٢٠، ٥٨٧، والشوكاني ١/ ٣٦١، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٢١-٣٢٨، والسعدي ١/ ٤٠١، ٤/ ١١٦، ٢٤١، ومناهل العرفان ٢/ ٨٩.

ووقوعه[1] نقلاً وسمعًا ـ سقطت أقوال منكري النسخ وأقوال من أنكر عموم رسالة النبي ﷺ[2]، ولله الحمد والمنّة.

المسلك الثاني: الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة:

من حكمة القول في دعوة اليهود إلى الله ـ عز وجل ـ أن يُبيِّنَ لهم بالجدال بالتي هي أحسن أن الكتب التي بأيديهم قد دخلها التحريف والتبديل والتغيير[3].

واليهود والنصارى يُقرّون أن التوراة كانت طول مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، وتقرّ اليهود أن سبعين كاهنًا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة، وذلك بعد المسيح ﷺ في عصر القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم، ومن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يُؤْمَن من تحريف غيره.

واليهود تُقرّ أيضًا أن السّامرة حرّفُوا مواضع من التوراة وبدّلوها تبديلاً ظاهرًا، وزادوا ونقصُوا، والسّامرة تدَّعي على سائر اليهود بأن التوراة التي بأيديهم مُحرّفة مبدّلة[4].

والـذي يحكم بين الجميع هو كلام الله ـ عز وجل ـ المنزل على محمد

---

(1) وهناك شبهات لمنكري النسخ قد تضمن الرد عليها الأدلة السابقة، وانظر أيضًا الرد عليها في الفصل لابن حزم ١/ ١٨١ ـ ٢٠٠، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣١٧ ـ ٣٤٠، ومناهل العرفان ٢/ ٩٣ ـ ١٠٤.

(2) وستأتي الأدلة القطعية على إثبات رسالة محمد ﷺ وشمولها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(3) لا شك أنه يجب على كل مسلم الإيمان بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله، وهذا هو أصل دين المسلمين، فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد، فهو كافر حلال الدم عند المسلمين. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٣٣، ولكن الكلام الآن هو في بيان وقوع التحريف والتبديل في التوراة.

(4) انظر: الفصل لابن حزم ١/ ١٠٢، ١٨٧، ١٩٧، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٨، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٥٨١.

ﷺ، المهيمن على ما سبقه من الكتب المصدِّق لها، فقد سَجَّلَ التحريف وأثبته على أهل الكتاب، ونسب إليهم أنواعًا من تحريفهم للتوّراة، كالتالي:

النوع الأول: إلباس الحق بالباطل:

كان بنو إسرائيل يخلطون الحق بالباطل، بحيث لا يتميّز الحق من الباطل، وقد سجّل القرآن الكريم هذا الجرم عليهم، قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ . وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ . وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الآية[1]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الآية[2].

ومن أبلغ الصور وأقبحها في إلباس الحق ادعاء الكهنة والأحبار في التوراة التي بأيديهم أن هارون ﷺ هو الذي جمع الذهب من بني إسرائيل واشترك معهم في صناعة العجل الذهبي، ووافقهم على عبادته من دون الله ـ تعالى ـ، وفي الوقت نفسه يبرءون السامري.

فهارون الذي تحمّل المشاق ﷺ في سبيل إقرار فرعون بالتّوحيد جعلوه داعية إلى الشرك والكفر، ولكن القرآن الكريم كان لهذه الدعوى بالمرصاد، فكذّبهم، وبين حقيقة الأمر[3]، قال تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ

---

(١) سورة البقرة، الآيات ٤٠ ـ ٤٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧١.

(٣) انظر: الفصل لابن حزم ١/ ٢٥٦، وهداية الحيارى لابن القيم ص ٥٨٢.

مُوسَىٰ . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى. قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ . .﴾ الآيات[1]، فهذا هو الصِّدْقُ حقًّا، إنَّما عمل لهم العجل السامري، أما هارون فنهاهم ولكنهم عصوه وكادوا يقتلونه[2].

النــوع الثاني : كتمــان الحــق :

لا شكّ أن الله حقٌّ، ولا يقول إلا حقًّا، والتوراة التي أُنزلَت على موسى كلهـا حقٌّ؛ لأنها كلام الله ـ تعـالى ـ؛ ولكن بني إسرائيل كانوا يكتمون الحقّ، قاصدين بذلك إخضاع كتاب الله لأهوائهم وشهواتهم، فالآيات التي يرون فيها منفعة لهم عاجلة أو تكون في جانب حجتهم يقرُّونها، أما الآيات التي يرون أن فيها دليلاً عليهم فيكتمونها، ولهذا سجل الله عليهم هذا الكتم في كتـابه، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

ومن أعظم ما كتمه أهل الكتاب هو ما وجدوه في كتبهم من صفات محمد ﷺ، واختيار الله له رسولاً إلى الناس أجمعين، وقد كانوا يعرفونه في كتبهم كما يعـرفـون أبناءهم، ولكنهم إذا سُئلواُ عن ذلك كتموه[4]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُــونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُــونَ﴾[5]، ﴿ٱلَّـذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ

---

(١) انظر: سورة طه، الآيات ٨٧ ـ ٩١ .
(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ٤٥٦، وهداية الحيارى ص ٥٨٢ .
(٣) سورة آل عمران، الآية ٧١، وانظر: سورة البقرة، الآية ٤٢ .
(٤) انظر: تفسير البغوي ١/ ٦٧، ١٦٢، ٣١٥، وابن كثير ١/ ٨٥، ٩٥، ٣٧٤ .
(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٦ .

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقد بيّن عز وجل صفاته ﷺ الكاملة في التوراة والإنجيل، فقال عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ. ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[2].

ومع هذه الأوصاف العظيمة التي كانوا يعرفونها مكتوبة عندهم، أنكروا نبوته ﷺ، وكتموا ما علموه[3].

النوع الثالث: إخفاء الحق:

الإخفاء قريب من الكتمان[4]، وقد كان أهل الكتاب يخفون من أحكام التوراة الشيء الكثير، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٢٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

(٣) انظر الأمثلة من نصوص التوراة التي بينت صفات النبي ﷺ واضحة جلية، ولكن اليهود كتموا ذلك، في: الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ٢٠١ - ٣٢٩، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ٢٩٩ - ٣٣٢، وهداية الحيارى لابن القيم ص ٥٢٢ - ٥٨٠، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٥١ - ٣٦٣، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي ١/ ٣٣٥ - ٥٠٨.

(٤) انظر: هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٢٤، ويمكن أن يقال الفرق بين الكتمان والإخفاء: بأن الكتمان هو ما كتموه من أوصاف النبي وأمته حقدًا وكراهة، والإخفاء هو إخفاء كل ما فيه خزي لهم ومخالفة، والله أعلم. انظر: التوراة دراسة وتحليل لمحمد شلبي ص ٨٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ١٥.

ومن الأحكام التي أخفاها اليهود حكم رجم الزاني المحصن، فقد جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: «**كيف تفعلون بمن زنى منكم؟**». قالوا: نُحَمِّمهما ونضربهما. فقال: «**لا تجدون في التوراة الرجم؟**». فقالوا: لا نجد فيها شيئًا. فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم، فأْتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدارسها الذي يدرسها منهم كفّه على آية الرّجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرّجم، فنزع يده[1] عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرّجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما... الحديث[2].

ولهذا قال سبحانه: ﴿**يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟**﴾ إلى قوله: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]، وقال: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾[4].

فأنكر سبحانه على أهل الكتاب المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم: التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمّهم[5].

---

(١) وفي رواية أخرى للبخاري: فقال عبدالله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. انظر: البخاري مع الفتح ٢/ ١٦٦.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾. ٨/ ٢٢٤، ١٢/ ١٦٦، ١٣/ ٥١٦.

(٣) سورة المائدة، الآيات ٤١ ـ ٤٣ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ٢٣ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٦، وأضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٥٧.

النوع الرابع : لَيُّ اللسان :

من أنواع تحريف اليهود للتوراة: ليُّ اللسان، فهم يلوون ألسنتهم ويعطفونها بالتحريف، ليلبسوا على السّامع اللفظ المنزل بغيره، ويفتلون ألسنتهم حين يقرؤون كلام الله ـ تعالى ـ لإمالته عما أنزله الله عليه إلى اللفظ الذي يريدونه[1]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

ومن التحريف بلَيِّ اللسان ما كان يفعله اليهود مع رسول الله ﷺ بقولهم: ﴿واسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ) ويقصدون معنى: اسمع لا سمعت، أي: يدعون على النبي ﷺ وقد كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ راعنا، من المراعاة، والمعنى: فَرِّغ سمعك لكل منا، فلما سمع اليهود هذه اللفظة اغتنموا الفرصة في التحريف، لأن معناها عندهم السبّ والطعن بمعنى: يا أحمق[3]، ولكن الله ـ عز وجل ـ كشف سترهم، فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٣٢٠، وابن كثير ١/ ٣٧٧، وهداية الحيارى ص ٥٢٤، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧٨ .

(٣) انظر: تفسير البغوي ١/١٠٢، ٤٣٨، وابن كثير ١/ ١٤٩، ٥٠٨، وفتح القدير للشوكاني ١/ ١٢٤، ٤٧٤.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٦ .

ونهى الله المؤمنين عن صفات اليهود فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

النوع الخامس: تحريف الكلام عن مواضعه:

أثبت الله ـ عز وجل ـ على أهل الكتاب هذا النوع من التحريف، فقال عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ...﴾[2]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ...﴾[3]، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ...﴾[4].

وهذا النوع من التحريف له أربع صور كالتالي:

١ ـ **تحريف التبديل**: وهو وضع كلمة مكان كلمة، أو جملة مكان جملة.

٢ ـ **تحريف بالزيادة**: ويكون بزيادة كلمة أو جملة.

٣ ـ **تحريف بالنقص**: وهو إسقاط كلمة، أو جملة من الكلام المنزل على موسى ﷺ.

٤ ـ **تحريف المعنى**: تبقى الكلمة أو الجملة كما هي، ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين، ثم يختارون المعنى الذي يتّفق مع أهوائهم وأغراضهم[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٤.
(٢) سورة النساء، الآية ٤٦.
(٣) سورة المائدة، الآية ١٣.
(٤) سورة المائدة، الآية ٤١.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٧، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٦٠، ٣٦١، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي ١/ ٣٣٧ ـ ٥٠٨، والتوراة: دراسة وتحليل، للدكتور/ محمد شلبي شتيوي ص ٨٣.

وهذه الصور لها أمثلة كثيرة من التوراة لا يتسع المقام لذكرها[1].

وقد بين الله ـ عز وجل ـ أن أهل الكتاب يعلمون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، لما يجدونه في كتبهم من نعته ﷺ وأمته، وما شرفه الله به من الشريعة الكاملة[2]، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[3]، ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

ومن رحمة الله ـ تعالى ـ بهم وكرمه أنه عندما ذكر ما فعلوه من العظائم دعاهم إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[5]، فلو آمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه ورسله لكفر عنهم سيئاتهم وأدخلهم الجنة[6]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ

---

(١) انظر: الأمثلة على تحريف التبديل في الفصل لابن حزم ١/ ٢٠٧ ـ ٢٢٤، وإغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤، وهداية الحيارى ص ٥٨٢، والمناظرة الكبرى، ص ٤٦٥ ـ ٤٧٥، والأمثلة على تحريف الزيادة في: إظهار الحق ١/ ٣٣٨-٣٧٤، والتوراة دراسة وتحليل ص ٩٠-٩٤، وأمثلة النقص في إظهار الحق ١/ ٤١٤-٤٥٦، والتوراة دراسة وتحليل ٩٥-٩٨، وأمثلة التأويل في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ٣٣١، ٣٣٢، ٣٦١-٣٦٣، وهداية الحيارى ص ٥٢٦-٥٣٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية، ٧١، وانظر: آل عمران: الآيتان ٩٨، ٩٩.

(٥) سورة النساء، الآية ٤٧.

(٦) انظر: تفسير السعدي ٢/ ٣١٩.

إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

المسلك الثالث : إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود

لا شك أن من حكمة القول مع أهل الكتاب في دعوتهم إلى الله ـ عز وجل ـ الاستشهاد عليهم بشهادة علماء أهل الكتاب المنصفين، الذين وفقهم الله ـ تعالى ـ وقبلوا الحق، وبيّنوه ولم يكتموه، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[3].

وأذكر على سبيل المثال من هؤلاء العلماء الذين يعترف اليهود بأنهم كانوا منهم فأقروا بالإسلام وأنه الدين الحق ما يلي:

١ ـ عبدالله بن سلامَ رضي الله عنه وأرضاه :

لو لم يسلم من اليهود في زمن النبي ﷺ إلا سيّد اليهود على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، وخيرهم وابن خيرهم، باعترافهم وشهادتهم، لكان في مقابلة كل يهوديّ على وجه الأرض، فكيف وقد تابعه من الأحبار والرُّهبانِ من لا يُحصِي عددُهم إلا الله[4].

وقد آمن هذا الرجل بالله وبرسوله ﷺ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلا نبيٌّ. قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ٦٥، ٦٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٠ .

(٣) سورة يوسف، الآية ٢٦ .

(٤) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥١٤، ٥٢٥ .

يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**خبَّرني بهنَّ آنفًا جبريلُ**» قال ابن سلام: ذلك عدوّ اليهود من الملائكة. فقال رسول الله ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**»، [قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله] قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، فادعهم [فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي]، [فأرسل نبيَ الله ﷺ فأقبلوا]، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًّا، وأنيِّ جئتكم بحقٍّ فأسْلِمُوا**» قالوا: ما نعلمه ـ قالوا للنبي ﷺ، قالها ثَلَاث مرارًا ـ فقال رسول الله ﷺ: «**فأي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟**» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، [خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا]، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، حاشا لله ما كان ليسلم. قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: «**أفريتم إن أسلمَ**». قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: «**يا ابن سلام اخرج عليهم**» [فخرج عليهم عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله]، [يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله، وأنه جاء بحقٍّ فقالوا: كذبت]، [شرُّنا وابن شرِّنا، ووقعوا فيه]، [فأخرجهم رسولُ الله ﷺ].[1].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ٦/ ٣٦٢، ومناقب الأنصار، باب هجرة النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٥٠، وباب حدثني حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل ٧/ ٢٧٢، وكتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله: ﴿مَن كان عدوًّا لجبريل﴾. ٨/ ١٦٥، وألفاظ الحديث من المواضع الأربعة، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢١٠.

وعن عبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قبله، وقيل قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ ثلاثاً، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبيّنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أول شيءٍ سمعته تكلم به أن قال: «**يا أيُّها الناس، أفشُوا السلامَ، وأطعِمُوا الطعامَ، وصلُوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نِيامٌ، تدخلُوا الجنةَ بسلام**»[1].

وقد أثنى الله على هذا العالم الرباني، فعن سعد بن أبي وقاصٍّ قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي[2] على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية[3]: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ**﴾[4].

٢ ـ زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود رضي الله عنه:

قال ـ رضي الله عنه ـ: ما من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدّة الجهل عليه إلا حلمًا، وقد اختبرتها، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وأشهدك

---

(١) ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، ٢/ ١٠٨٣ بلفظه، والترمذي في صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار ٤/ ٦٥٢، وأحمد في المسند ٤/ ٤٥١، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٢٢٢.

(٢) قد ثبت عنه ـ ﷺ ـ أنه شهد لأناس كثير بالجنة، ومنهم العشرة المبشرون بالجنة، فقيل بأن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ يعني من الأحياء، لأن عبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ عاش بعد موتهم، ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد وسعيد، ويؤخذ هذا من قول سعد رضي الله عنه: يمشي على الأرض. انظر: فتح الباري ٧/ ١٢٩، ١٣٠.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبدالله بن سلام ٧/ ١٢٨، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن سلام ٤/ ١٩٣٠.

(٤) سورة الأحقاف، الآية ١٠.

أن شطْرَ مالي ـ فإني أكثرها مالاً ـ صدقة على أمة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم. فخرج عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وآمن به، وصدّقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم تُوُفِّيَ في غزوة تبوك مُقبلاً غير مُدبِرٍ[1]، رضي الله عنه ورحمه.

٣ ـ من أسلم عند الموت:

أتى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يُعزِّي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشـدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخـرجي؟**» فقـال برأسه هكذا، أي: لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنّا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «**أقيموا اليهودي عن أخيكم**»، ثم وَلِيَ كفنه، وحَنَّطَهُ، وصلّى عليه ﷺ[2].

هذه ثلاثة أمثلة لاعترافات أحبار اليهود بأن محمدًا ﷺ حقًّا، وأن صفته موجودة في التوراة، ويعرفه اليهود كما يعرفون أبناءهم ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني، وقال: رجاله ثقات ٨/ ٢٤٠، وتقدم تخريجه كاملاً مطولاً في مواقف النبي ﷺ الفردية، والقصة هنا مختصرة، فارجع إليها في المجمع ٨/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) أحمد في المسند ٥/ ٤١١، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي، له شواهد في الصحيح عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٢، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٣٤.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ إثبات نبوة عيسى ومحمد، عليهما الصلاة والسلام، وذلك بما ظهر على يديهما من المعجزات الباهرات، والآيات البيّنات الظّاهرة التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها، كالتالي:

(أ) البراهين والبينات على صدق نبوة عيسى ابن مريم ﷺ :

ثبتت نبوة عيسى ﷺ بما ظهر على يده من المعجزات الخارقة للعادات من: إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم، وإبراء الأكْمَه، والأبْرَص، وخلق الطير من الطين بإذن الله، والإخبار بالغيوب، وإنزال الطعام من السماء، وولادته من أمٍّ بغير أبٍ، وكلامه في المهد[1]، وغير ذلك من المعجزات[2].

ومعجزات عيسى لم تكن دون معجزات موسى، **عليهما الصلاة والسلام**، فكلا الرسولين اشتركا في المعجزات والآيات الظاهرة، فإن قيل إن أحدَهما قد تعلّمها بحيلةٍ فالآخر يمكن أن يُقال ذلك في حقّه، وقد أخبرا جميعًا أن الله ـ تعالى ـ هو الذي أجرى ذلك على أيديهما، وأنه ليس من صنعهما، فتكذيب أحدهما وتصديق الآخر تفريق بين المتماثلين، وليس هناك دليل على أن موسى ﷺ تلقىَّ المعجزات عن الله ـ تعالى ـ إلا وهو يدلُّ على أن عيسى ﷺ تلقاها عن الله ـ تعالى ـ، فإن أمكن القدح في معجزات عيسى أمكن القدح في معجزات موسى، وإن كان ذلك باطلاً فهذا باطل أيضًا[3]، ولا شكّ أنه لا يمكن القدح في شيء من ذلك أبدًا.

---

(١) انظر الأدلة على هذه المعجزات في سورة آل عمران، الآية ٤٩، وسورة المائدة الآية ١١٠، والآيتان ١١٤، ١١٥.

(٢) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام، للأنباري ص ٣٤٧، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٤٧.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٧.

(ب) الحُجَجُ والبراهين على صدق نبوة محمد ﷺ :

ظهر على يده ﷺ من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثـر من سائر الأنبياء، والعهد بهذه المعجزات قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبـرّهم، ونَقْلُهـا ثابت بالتَّوَاتُر قرنًا بعد قرن، وأعظمها مُعجزة: القرآن، لم يتغير ولم يتبدّل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به، كأنه يُشاهدُه عيانًا، وقد عجز الأوّلون والآخرون عن الإتيان بمثله ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى ﷺ إن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ، ولا يمكن لنصراني أن يُقِرّ بنبوة المسيح ﷺ إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ؛ لأن من كفـر بنبـوة نبي واحـد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُـرِيـدُونَ أَن يَتَّخِـذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِـكَ سَبِيلًا . أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا . وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

ولا ينفـع أهـل الكتـاب شهادة المسلمين بنبوة موسى وعيسى **عليهما الصلاة والسلام**؛ لأن المسلمين آمنوا بهما على يد محمد ﷺ، وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به، فلولاه ما عرفنا نبوّتهما، ولا سيما

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٨ .

(٢) سورة النساء، الآيات ١٥٠ - ١٥٢ .

وليس بأيدي أهل الكتاب عن أنبيائهم ما يُوجب الإيمان بهم؛ فلولا القرآن ومحمد ﷺ ما عرفنا شيئًا من آيات الأنبياء المتقدمين، فمحمد ﷺ وكتابه هو الذي قرّر نبوة موسى وعيسى، لا اليهود والنصارى، بل نفس ظهوره ومجيئه تصديقًا لنبوتهما؛ فإنهما أخبرا بظهوره، وبشّرا بظهوره: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(١)، فلما بعث كان بعثه تصديقًا لهما، قال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(٢).

فمجيئه تصديق لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذبًا لم يصدق من قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء(٣).

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٤)، ولم يجسر أحد منهم على ذلك - مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته - لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة(٥)، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة الصف، الآية ٦.

(٢) سورة الصافات، الآية ٣٧.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٧٨ - ٨٣، ودقائق التفسير لابن تيمية ٣/ ٣٤، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٥٠، ٣٥١، وهداية الحيارى ص ٦٣٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ٩٤.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ٩٩، وتفسير ابن كثير ١/ ١٢٨، ١٢٩، وتفسير السعدي ١/ ١١٤.

(٦) سورة الجمعة، الآيتان ٦، ٧.

وغير ذلك من دلائل نبوته وصدقه[1]، ﷺ التي سأذكرها ـ إن شاء الله ـ في آخر مطلب من مطالب حكمة القول مع أهل الكتاب.

---

(١) ومن دلائل نبوته ﷺ في هذا الزمن ما نُشر في صحيفة البلاد السعودية، في عددها رقم ٩٤٢٢، في ١٥/٨/١٤١٠هـ، الموافق ١٢ مارس ١٩٩٠م، ودخل في الإسلام بسبب ذلك أربع قُرى نيجيرية، وهذا نص المنشور:

لقي أحد الضالين والمستهزئين بالإسلام حتفه أثر تشكيكه في الإسلام والقرآن وإعلانه أمام جمع من الناس قائلاً: إن كان القرآن والإسلام حقًا فإني أسأل الله ألا أرجع بيتي حيًا.

ويشاء الله أن يلقى هذا الكافر حتفه قبل أن يعود إلى منزله فعلاً!

هذا وقد وقعت هذه الحادثة في قرية (بوب) في ولاية غونفولى بشمال نيجيريا وأسلم على أثرها أهل القرية وثلاث قرى مجاورة. ويقول شهود عيان رأوا الحادثة: إن المكذِّب ويُدعى عمر غيمو وهو قس في كنيسة باتيسى بقرية بوب وقف خطيبًا في الكنيسة وبدأ في التطاول على الإسلام والقرآن الكريم وردد العديد من الأكاذيب والأباطيل والافتراءات على الإسلام والقرآن الكريم. ثم قال في نهاية خطبته: (إن كان القرآن والدين الإسلامي حقًا فأسأل الرب ألا يرجعني إلى بيتي حيًا). وخرج القس من الكنيسة وهو على ثقة تامة بأنه لن يصيبه شيء وسيصل إلى منزله في صحة وعافية ليتخذ ذلك فيما بعد دليلاً يؤكد به للناس افتراءه وأكاذيبه. ويشاء الله ـ عز وجل ـ وعلى الرغم من أن الطريق إلى منزله لا توجد به أي أخطار تهدد حياة الإنسان، يشاء الله أن تتعثر قدماه وهو يعبر جدول ماء صغير وسقط فيه حتى مات وسارع إليه جماعة من المسيحيين في دهشة وذهول ونقلوه إلى المستشفى والتي رفضت إستلامه لوفاته، فذهبوا به إلى مستشفى آخر وثالث وكان التأكيد أنه قد لاقى حتفه ليسقط في ايديهم لحدوث الوفاة بهذه البساطة ودون حدوث أي إصابة أو جرح. والأعجب من ذلك أن أحد المارة كان قد حاول في البداية إنقاذ هذا المستهزىء عند تعثره فلقى مصرعه . . .

تجدر الإشارة إلى أن هذا القس كان مسيحياً، ثم أسلم، وعاش فترة بين المسلمين يتعامل معهم ويتعاملون معه إلا أنه نكص على عقبيه وارتد عن الإسلام وأصبح حربًا على دين الله إلى أن لقى مصيره المحتوم.

المطلب الثاني : حكمة القول مع النصارى :

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ أن يسلك معهم الداعية المسلم المسالك الحكيمة الآتية :

المسلك الأول : إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية لله تعالى .

المسلك الثاني : البراهين على إثبات بشرية عيسى وعبوديته لله تعالى .

المسلك الثالث : البراهين على إبطال قضية الصلب والقتل .

المسلك الرابع : البينات على إثبات وقوع النسخ والتحريف .

المسلك الخامس : إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصارى .

المسلك الأول : إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية لله تعالى :

المقصود بالتثليث عند النصارى ثلاثة أشياء : الأب ، والأبن ، ورُوحُ القدس .

وقالوا : الأب هو الذات ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو الحياة[1] ، ويعبرون عن ذلك بأن الله ـ تعالى عن كفرهم ـ ثلاثة أقانيم ،

---

(١) اختلف النصارى في تفسير هذا الكلام على أقوال :

١ ـ فكثير منهم يقول : الأب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو الحياة .

٢ ـ ومنهم من يقول : الأب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو القدرة .

٣ ـ وقيل : الأقانيم ثلاثة : جواد ، حكيم ، قادر ، فقالوا : الجواد الأب ، والحكيم الابن ، والقادر : روح القدس .

٤ ـ وقيل : الذات الأب ، والنطق الابن ، والحياة روح القدس .

٥ ـ ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم فيقول : موجود ، حي ، عالم ، أو موجود ، عالم ، قادر .

٦ ـ ومنهم من يقول : موجود ، حي ، حكيم .

٧ ـ ومنهم من يقول : قائم بنفسه ، حي ، حكيم .

وكلهم متفقون على أن المتجسد في المسيح ـ على زعمهم ـ والحالّ فيه هو أقنوم الكلمة ، وهو الذي يسمونه الابن دون الأب ، ـ تعالى الله عن قولهم ـ . =

والأقنوم في لغتهم هو الأصل[1]، والثلاثة أسماء إله واحد[2] في زعمهم الباطل عقلاً وشرعًا.

والرّدُّ على عقيدة التثليث وإبطالها[3]، ودعوة أصحابها إلى الله بالقول الحكيم يتلخّص في الأمور الآتية:

١ ـ التوحيد دين الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأتباعهم:

إن عقيدة التثليث لم تكن في أمّةٍ من الأمم السابقة من عهد آدم **عليه الصلاة والسلام**، إلى رفع عيسى ﷺ.

وعقيدة التوحيد هي دين الأنبياء وأتباعهم، كما أن كتب العهد القديم عند أهل الكتاب ناطقة بأن الله واحد، أزليٌّ، أبديٌّ، حيٌّ لا يموت، قادر يفعل ما يشاء، ليس كمثله شيء، لا في الذات ولا في الصفات، وعبادة غير الله حرام، وحرمتها مصرحة في مواضع شتّى، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى نقل الشواهد[4].

= انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٩٠، ٩٤، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٨.

وفرق النصارى الثلاث: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية متفقون على أن معبودهم ثلاثة، ولكنهم اختلفوا في تفسير الأقانيم الثلاثة، وفي الحلول والاتحاد. انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٩٥، والفصل لابن حزم ١/ ١١٠ ـ ١١٢، وإظهار الحق ١/ ٥٧٦، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٨، والبداية والنهاية ٢/ ١٥٠، ودقائق التفسير ٣/ ٣٠، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٧٣.

قال ابن حزم في الفصل ١/ ١١٢: ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه... لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف، وتالله لولا أنا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان.

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٠٠، ١١٢، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٥٩، والفصل لابن حزم ١/ ١١٩.

(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام ص ٣٦٣، ٣٦٤، والجواب الصحيح ٢/ ١١٢.

(٣) انظر: اليهودية والمسيحية، للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٤١١ ـ ٤٣٩.

(٤) انظر: إظهار الحق، لرحمة الله الهندي ١/ ٥٤٣، ٥٧٧.

٢ ـ النصارى تلقوا عقيدة التثليث عن أصحاب المجامع :

إن المصادر النصرانية الموثوق فيها لا تملك سوى الإقرار بأن دعوة عيسى ﷺ كانت توحيد الله الخالص من الشرك، إلى بداية القرن الرابع الميلادي(١)، وذلك أن الله ـ عز وجل ـ بعث عبده ورسوله عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل، فجدد لهم الدين، وصدّق لما بين يديه من التوراة، وأحل لهم بعض الذي حُرم عليهم، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، فعادوه وكذّبوه، ورموه وأمه بالعظائم، وأرادوا قتله، فطهّره الله ـ تعالى ـ منهم، ورفعه إليه، ولم يصلوا إليه بسوء، وأقام الله ـ تعالى ـ للمسيح أنصارًا دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلاثمائة سنة، ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير، ولم يبق بأيدي النصارى منه إلا بقايا: كالختان، والاغتسال من الجنابة، وتعظيم السبت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرمته التوراة إلا ما أحلت لهم بنصها، ثم استحلوا الخنزير، وأحلوا السبت، وعوضُوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان، والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس فصلوا إلى المشرق، وعظموا الصليب وعبدوه، وعندما أخذ دين المسيح ﷺ في التغير والفساد اجتمعت النصارى عدة مجامع، ثم يفترقون على الاختلاف والتلاعن، ومن أهم هذه المجامع: مجمع نيقية عام ٣٢٥م، فقد جمع الملك قسطنطين ـ باني القسطنطينية ـ ألفين وثمانية وأربعين أسقفًا (٢٠٤٨) من جميع بلدان العالم، وكانوا مختلفي الآراء والأديان، واتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا (٣١٨) على أن المسيح ابن الله ـ تعالى عن كفرهم ـ وأنه مساوٍ له في

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٢٧٠، وهداية الحيارى ص ٦٢٢، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٦٤.

الجوهر، وأنه نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وحمل به، ثم ولد من مريم، وقُتِلَ وصُلِبَ، ودُفِنَ، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، وقالوا: نؤمن بروح القدس، وأجبر الملك الناس على هذه العقيدة التي أسسها هؤلاء الأساقفة.

ثم عُقِدَ مجمع آخر عام ٣٨١م، وحضره مائة وخمسون أسقفًا (١٥٠)، وأجمعوا على أن روح القدس خالق غير مخلوق، وبهذا المجمع تم لهم التثليث، وقالوا: بأن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وفرض ملوك النصارى هذه العقيدة على الناس.

ثم عُقِدَ مجمع سنة ٤٣١م، وحضره نحو مائتي أسقف (٢٠٠)، وقرّروا أن مريم ولدت إلٰها...!

واستمرت المجامع تُعقد بعد ذلك، وأشهرها المجامع العشرة التي عُقِدَت على مرّ العصور، وكلهم يُكفِّر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، فدينهم الذي ابتدعوا قائم على اللعنة[1].

فثبت بهذا الاستعراض أن دين المسيح ﷺ هو التوحيد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، وأن المجامع النصرانية هي التي فرضت عقيدة التثليث، وألزم الملوك الناس بذلك بالسيف والعطاء[2].

فَعُلِمَ قطعًا بأن عقيدة التثليث عقيدة وثنية مصدرها المجامع النصرانية، بدءًا بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على النصارى، ولكن بالقول الحكيم، وبالرّفق واللين، والجدال بالتي هي أحسن.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ١١٥، ٢/ ٩٠-١٣٥، ٣/ ٢٢-٤٥، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٧٠-٢٨١، وهداية الحيارى ص ٦٤٦-٦٥٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٥٠، ١٥١، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٠٢-٢١٦.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢/ ٢٢٨.

٣ ـ بطلان كون الثلاثة إله واحد :

قال المثلثة : الأب ، والأبن ، وروح القدس : الثلاثة أسماء إله واحد ، ورب واحد ، وخالق واحد ، ومسمى واحد ، لم يزل ولا يزال شيئًا حيًّا ناطقًا : أي الذات والنطق والحياة[1] ، ويعبرون عن ذلك بأن الله ـ تعالى عن كفرهم ـ ثلاثة أقانيم ، وحينئذ يرد عليهم بالقول الحكيم بالآتي :

أولاً : لم خصصتم الأقانيم بالثلاثة؟ فإنه قد ثبت أنه : موجود ، حي ، عليم ، قادر ، سميع ، بصير ، كريم ، خالق ، رازق . . . ، فيلزمكم على قولكم هذا أن تُثبتوا أقنومًا رابعًا وهو القدرة ، وخامسًا وهو: السمع ، وسادسًا وهو: البصر ، وسابعًا وهو: الكرم ، وثامنًا وهو: الخلق ، وتاسعًا وهو: الكلام . . . وسائر الصفات الثابتة ، فإن أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته متعددة كثيرة ، ومنها تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة[2] .

فإذا كانت أسماء الله كثيرة فالاقتصار على ثلاثة أسماء أو ثلاث صفات باطل مردود[3] .

ثانيًا : قولكم : الأبُ الذي هو ابتداء الإثنين ، والابن النطق الذي هو مولود منه كولادة النطقَ من العقل : كلام باطل ؛ لأن صفات الكمال لازمة لذات الله ـ تعالى ـ أولاً وآخرًا ، فهو لم يزل ولا يزال حيًّا ، عالمًا ، قادرًا ، فلم يَصِرْ حيًّا بعد أن لم يكن حيًّا ، ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً ! !

---

(١) فالذّات عندهم : الأب الذي هو ابتداء الإثنين ، والنطق : الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل ، والحياة : هي روح القدس ، ثم يعبرون عن ذلك بأن الله ـ تعالى ـ ثلاثة أقانيم ، ـ تعالى الله عن ذلـك ـ ، والأقنوم في لغتهم : هو الأصـل . انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٠٠ ، ١١٢ ، والداعي إلى الإسلام ص ٣٥٩ ، والفصل لابن حزم ١/ ١١٩ .

(٢) البخـاري مع الفتـح ، كتـاب الشروط ، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار ٥/ ٣٥٤ ، ١١/ ٢١٤ ، ومسلم ، كتاب الذكر ، باب أسماء الله ـ تعالى ـ . . . ٤/ ٢٠٦٣ .

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١١٣ .

ثالثًا : قولكم في النطق : إنه الابن، وإنه مولود من الله ـ تعالى ـ: إن أردتم به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة له، فيكون روح القدس أيضًا ابنًا ثانيًا، وإن أردتم أنه حصل منه بعد أن لم يكن لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن، وهذا مع كونه باطلاً وكفرًا فيلزم مثله في الحياة وأنه صار حيًّا بعد أن لم يكن حيًّا، تعالى الله وتقدس عن ذلك !!

رابعًا : إن تسمية حياة الله : روح القدس، لم ينطق به شيء من كتب الله المنـزلـة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من التّبديل والتّحريف للكلم عن مواضعه.

خامسًـا : إنكم تدعـون أن المتجسّد بالمسيح هو الكلمة، الذي هو العلم، وهـذا إن أردتم به نفس الـذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس، وهذا عندكم وعند جميع الناس باطل.

سادسًا : العلم صفة، والصّفة لا تَخْلُق ولا تَرزُقُ، والمسيح نفسه ليس هو صفـة قائمـة بغـيرهـا باتفـاق العقـلاء، وأيضًا هو عند المثلِّثةِ خالق للسمٰوات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الإلٰـه المعبود هو الإلٰـه الحيّ العليم القـدير، وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام، فلو قال قائل : يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله اغفر لي وارحمني . . . كان هذا باطلاً في صريح العقل، ولهذا لم يُجَوِّزْ أحد من أهل الأديان السماوية أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله : اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإلٰـه المتكلم بهذا الكلام ـ وهو الله وحده ـ: اغفر لي وارحمني.

والمسيح عند المثلِّثة هو الإلٰـه الخالق الذي يقال له : اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفس علم الله وكلامه لم يجز أن يكون إلٰهًا معبودًا، فكيف إذا

لم يكن هو نفس علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه حيث قال: (كن)، فكان، فتبيّن بذلك أن كلمات الله كثيرة لا نهاية لها، ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة بل غايته أن يكون كلمة واحدة، إذ هو المخلوق بكلمة من كلمات الله عز وجل[1].

سابعًا: مما لا يَشكُّ في صحته عاقل أن عقيدة التثليث باطلة مردودة بصريح النقل وصحيح العقل، ومن المعلوم عند سائر أهل الملل أن الله موجود، حيّ، عليم، متكلّم، قدير لا تختصّ صفاته بثلاثة، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدلّ على ذلك، وهو: لفظ الأب، والابن، وروح القدس، فإن هذه الألفاظ لا تدّل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني، بل ذلك مما ابتدعه النصارى، ولم يدل عليه شرع ولا عقل[2].

فتبين أن جميع كتب الأنبياء - **عليهم الصلاة والسلام** - تُبْطِل مذهب النصارى، فهم بين أمرين:

١ - الإيمان بكلام الأنبياء وبطلان دينهم (عقيدة التثليث).

٢ - تصحيح دينهم وتكذيب الأنبياء **عليهم الصلاة والسلام**[3].

٤ - إبطال عقيدة التثليث بما في كتب النصارى:

من الأدلّة التي تُلزم أصحاب التثليث أن يبين لهم بالقول الحكيم ما في كتبهم التي يعترفون بها، فإن فيها ما يبطل قولهم وعقيدتهم في التثليث، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١١٢ - ١١٦، بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ٩١.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ٢١٣.

(أ) جاء في إنجيل يُوحنَّا، أن المسيح ﷺ قال في دعائه: «إن الحياة الدائمة إنما تَجبُ للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أرسلت اليسوع المسيح»[1].

وهذه حقيقة شهادة أن لا إلـه إلا الله، ولا معبود بحقٍّ سواه.

(ب) وقال: «إن الله ـ عز وجل ـ ما أكل ولا يأكل، وما شرب ولا يشرب، ولم ينم ولا ينام، ولا ولد له ولا يلد ولا يولد، ولا رآه أحد ولا يراه أحد[2] إلا مات»[3].

وبهذا يظهر سرّ قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[4].

وغير ذلك من الأمثلة كثير لا يتسع المقام لذكرها[5].

٥ ـ إبطـال القرآن الكريم لعقيـدة التثليث:

القـرآن الكريم هو الأصل في تصحيح العقائد، وما سبق من القول الحكيم مع النصارى إنّما هو مخاطبتُهم على قدرِ عقولهم بالأدلّة العقليةِ، وبالواقع من تاريخهم، وما جاء في كتبهم، مما يبطل عقيدة التثليث، ويُثبِتُ أن عقيدة التّوحيد هي دين الأنبياء جميعًا، **عليهم الصلاة والسلام**.

والقرآن الكريم ـ المحفوظ من الله عن التبديل والتحريف ـ يتولّى الرد

(١) هداية الحيارى لابن القيم ص ٦٢٠.
(٢) المقصود بنفي الرؤية هنا في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، وهو أعظم نعيم أهل الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ
(٣) انظر: هداية الحيارى ص ٦٢١.
(٤) سورة المائدة، الآية ٧٥.
(٥) انظر كثيراً من الأمثلة على ذلك في: هداية الحيارى ص ٦٢٠ ـ ٦٢٢، وإظهار الحق ٢/ ٢٥-٣٩.

على هذه القضّية بأوجز عبارة وأوضحها، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾[1]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقال عز وجل مبينًا حقيقة عيسى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ. لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3].

وأخبر الله عن المسيح أنه لم يأمر الناس إلا بما أمره الله به، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ١٧ .

(٣) سورة المائدة، الآيات، ٧٢ - ٧٥ .

وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا . لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا . تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا . أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا . وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾[2]، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3]، فهل بعد هذا القول بيان؟ وهل بعد هذه الحجج من حجج؟[4].

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[5] فقد بينها الله تعالى أعظم بيان وأكمله وأبلغه.

(أ) فالكلمة التي ألقاها الله إلى مريم هي: (كن)، فكان عيسى بـ «كن»، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان عيسى، فالكن من الله قوله: (كن)، وليس الكن مخلوقاً[6]، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ١١٦، ١١٧.
(٢) سورة مريم، الآيات ٨٨ - ٩٣.
(٣) سورة التوبة، الآية ٣٠.
(٤) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٧٩ - ٢٨١، ودقائق التفسير ٣/ ٢٨، ٢٩.
(٥) سورة النساء، الآية ١٧١.
(٦) فتاوى ابن تيمية ٢٠/ ٤٩٣، ودقائق التفسير ٣/ ٣١، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٩١.

﴿يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ. قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس كما يقول النصارى، وذلك:

١ ـ قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنه﴾، وهي نكرة في سياق الإثبات يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، وليس هو كلامه كلّه كما يقول النصارى.

٢ ـ ومنها أنه بين مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنه﴾، وأنه مخلوق حيث قال: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أن الله قال له: ﴿كن﴾، وهذا تفسير كونه كلمة منه.

٣ ـ وقال: اسمه المسيح عيسى ابن مريم.

٤ ـ وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ٤٥ ـ ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٣) سورة مريم، الآيتان ٣٤، ٣٥.

٥ ـ وأنه من المقربين.

وهذه كلها صفة مخلوق، والله ـ تعالى ـ وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيءٌ من ذلك.

٦ ـ وقالت مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى[1].

(ب) أما الروح التي قال تعالى فيها: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، فلا يجب أن يكون منفصلاً من ذات الله، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[2]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[3]، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[4].

فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة.

وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلى مريم، وهي مخلوقة ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[5]، ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[7].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٩٩ ـ ٣٠٠، ٢/ ١٤٠، ٢٢٧.
(٢) سورة الجاثية، الآية ١٣.
(٣) سورة النحل، الآية ٥٣.
(٤) سورة النساء، الآية ٧٩.
(٥) سورة مريم، الآيات ١٧ ـ ١٩.
(٦) سورة الأنبياء، الآية ٩١.
(٧) سورة التحريم، الآية ١٢.

فَعُلِمَ بذلك أن الروح الذي أرسله الله إلى مريم هو روح القدس، وهو الملك جبريل، عليه السلام، وهو مخلوق، وهو الذي خَلَقَ المسيح من نفخه ومن مريم، فإذا كان الأصل مخلوقًا فكيف الفرع الذي حصل به؟

أما قوله عن المسيح: ﴿وروحٌ مِّنهُ﴾ فخص بذلك لأنه نفخ في أمه من الروح، فحملت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز بأن حملت به من نفخ الروح، فلهذا سمي روحًا منه[1].

أما إضافة الروح إلى الله في قوله: ﴿فأرْسَلْنَا إليها رُوحَنَا﴾، فهي إضافة مخلوق إلى خالقه، كقوله تعالى: ﴿ناقةَ آللهِ وسُقْيَـاهَا﴾[2]، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ آللهِ﴾[3]، والمضاف إلى الله ـ تعالى ـ نوعان:

(أ) إن كان صفة مضافة إلى الله لم تقم بمخلوق: كعلم الله، وقدرة الله، والقرآن كلام الله، وحياة الله، كان صفة لله تعالى.

(ب) وإن كان المضاف عينًا قائمة بنفسها أو صفة فيها، أو صفة لغير الله: كالبيت، والناقة، والعبد، والروح كان مخلوقًا مضافًا إلى خالقه ومالكه.

لكن هذه الإضافة (ناقة الله)، (بيت الله)، (عباد الله)، (روح الله)، إضافة مخلوق إلى خالقه تقتضي التشريف، وبهذا يتبيّن أنه لا يوجد للنصارى حجّة إطلاقًا، فسقط قولهم بحمد الله تعالى[4].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ٣٠٢، ٣٠٣، ودقائق التفسير ٢/ ٣٤١، ٣/ ٣٢، والبغوي ١/ ٥٠١، وابن كثير ١/ ٥٩١، ٤/ ٣٩٥، وفتح القدير ١/ ٥٤٠.

(٢) سورة الشمس، الآية ١٣.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٦.

(٤) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١١٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٨ ـ ١٤٠، ١٤٢، ودقائق التفسير ٢/ ٣٤٣.

ومن حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله أن يُبين لهم أن عيسى ﷺ، عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، خلقه عز وجل ، وبيّن لعباده أنه مخلوق، وأن ذلك لا يُعجزه قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ. ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْـمُمْتَرِينَ﴾[1] .

فقد خلق الله ـ تعالى ـ هذا النوع على الأقسام الممكنة، ليُبيِّن عموم قدرته، فخلقَ آدمَ من غير ذكرٍ ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكرٍ بلا أنثى ، كما قال تعالى : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2]، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء، فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح ، فإذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو عز وجل خلق آدم من تراب، ثم قال له : كن، فكان، فكان لما نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له : كن، فكان، ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتًا وناسوتًا، بل كله ناسوت، فكذلك المسيح كله ناسوت[3] .

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يُباهل النصارى على حقيقة عيسى ﷺ، وأنه

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٥٩، ٦٠ .
(٢) سورة النساء، الآية ١ .
(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٢٩٤، ودقائق التفسير لابن تيمية ٢/ ٣٣٤، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٨ .

عبدالله ورسوله، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(١).

وقد امتثل النبي ﷺ قول الله فدعاهم إلى المباهلة، فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته، فأقروا بالجزية وهم صاغرون.

وهذا كله يُبين أن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه مخلوق، ويُبين أن النصارى بامتناعهم عن المباهلة وعن الدخول في الإسلام كانوا ظالمين(٢).

وقد بين عز وجل حقيقة عيسى، ووصفه وأمه وصفًا كاملًا لا يدع مجالًا للشّك، ويقطع كل شبهة ترد على بشرية عيسى وأمه، فقال عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا. وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُ..﴾ الآيات(٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٩٥، ودقائق التفسير ٢/ ٣٣٤، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٩٨، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٨، وانظر: ص ٤٢٦، من هذا الكتاب(الهامش).

(٣) سورة مريم، الآيات ١٦ ـ ٣٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٥٩.

وهو ﷺ عبد الله ورسوله، وأحد أنبيائه ورسله الكرام، ويتصف بصفات البشر، ويأكل الطعام كما يأكله البشر[1]: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[2].

وقد شهد رسول الله ﷺ بالجنة لمن شهد أن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، فقال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[3].

وحذر ﷺ عن الغلوّ، وبين أنه من أسباب تأليه النصارى لعيسى ابن مريم[4].

وبهذه البراهين القطعيّة من الأدلّة العقلية والنقلية يتّضح لكل ذي لُبٍّ أن عيسى عبد الله ورسوله، وابن أَمَتِهِ، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، ومَنْ وصفه بغير ذلك من الصِّفات التي لم يصفه بها ربه وخالقه فقد خرج عن مقتضى العقل والنقل إلى الجنون أو الجحود والظلم: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[5]، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٨٢ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٥ .

(٣) البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يا أهلَ الكتاب لا تغلُوا في دينكم﴾، ٦/ ٤٧٤، ومسلم، في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ١/ ٥٧، وانظر زيادة للحديث في البخاري مع الفتح ٦/ ٤٧٤، ومسلم ١/ ٥٧.

(٤) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها...﴾، ٦/ ٤٧٨، وكتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ١٢/ ١٤٤.

(٥) سورة النساء، الآية ١٧٢ .

أن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

المسلك الثالث : البراهين الدالة دلالة قطعية على إبطال قضية الصلب والقتل:

زعم النصارى أن اليهود قتلوا عيسى ﷺ وصلبوه وقُبِرَ، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء[٢]، وقد كذبهم الله فيما زعموا، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٣].

ومن الحكمة القولية في دعوتهم إلى الله وإبطال مذهبهم أن يُردّ عليهم بالآتي:

١ ـ الأدلـة العقليـة :

(أ) بما أنكم أجمعتم أيّها النصارى على القول بالاتحاد والصلب والقتل[٤]، فهل كان الاتحاد موجودًا في حالة الصلب والقتل أم لا؟

فإن قلتم كان موجودًا، لزمكم القول بأن ابن الله القديم ـ في زعمكم ـ مات وصُلِبَ، لأن جواز القتل كجواز الموت والحركة والسكون والافتراق، وفيه جواز موت الأب والروح، وهذا لا يقولون به.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٧٩، ٨٠ .

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١١٦، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٧٧، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٧٣، وهداية الحيارى ص ٦١٨.

(٣) سورة النساء، الآية ١٥٧ .

(٤) قالوا: إن الإلـه اتحد مع الإنسان فصار شيئًا واحدًا، ويعنون بالاتحاد: اتحاد الكلمة بجسد المسيح ولا يسمون الكلمة التي هي العلم عندهم ابنًا إلا بعد تدرعها بالمسيح، فالمسيح عندهم مع ما تدرع به: ابن. . انظر: الفصل لابن حزم ١/ ١١٧، والداعي إلى الإسلام ص ٣٦٥، والملل للشهرستاني ١/ ٢٢٢، ودقائق التفسير ٢/ ٣٤٦.

فإن قالـوا: إنّ الاتحـاد بَطل، قيل لهم: فيجب ألا يكـون المقتـول مسيحًا؛ لأن الجسد عند انتقاض الاتحاد ليس بمسيح، فبطل قولكم بأن المسيح قُتِلَ وصلب.

(ب) أنتم تزعمون أن المسيح قُتِلَ وصُلِبَ، والمسيح في عقيدتكم كان لاهـوتًا وناسوتًا، فيلزم من ذلك إطلاق القول بقتل إلٰهكم، لأن المسيح عندكم إلـه مُطلق، ومن ضرورة ذلك إطلاق القول بقتل الإلـه وموته، وذلك مروق عن الدين[1].

فإن قالوا: إنما قُتِلَ الناسوتُ دون اللاهوتِ. قيل لهم: هذا باطل من وجهين:

١ ـ أن ناسوته لم يصلب وليس فيه لاهوتًا.

٢ ـ ذكركم ذلك دعوى مُجردة فيكفي في مقابلتها المنع[2].

(جـ) إذا كان عيسى ابن الله ـ تعالى ـ قديم الروح بزعمكم فكيف قدر اليهود على أن يقتلوا ابن الله، وهو إلـه عندكم، والإلـه لا يُقتل!!.

فإن قالوا: إنما قُتِلَ الهيكل دون الرّوح، قيل لهم: قد بطل الاتحاد الذي ادعيتموه، فكان يجب أن يمنع الروح واللاهوت عن القتل وإتلاف الهيكل والناسوت، فدلّ ذلك على أنه كان عبدًا لله ورسولاً له، لا ابنًا له[3].

٢ ـ أخبار القتل والصلب مصدرها اليهـود :

من المعلوم يقيناً أن أخبار المسيح والصّلب والقتل إنما تلقاها النصارى عن اليهـود، وقـد ثبت أنه لم يحضر أحد منهم، وإنما قال اليهود: قتلناه

---

(١) انظر : الداعي إلى الإسلام ص ٣٧٨ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ٢/٢٩٧ ، ودقائق التفسير ٢/ ٣٣٦، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٩٠ .

(٣) انظر : الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٧٨، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/ ٢٧٩-٢٩٤.

وصلبناه، وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعظائم، وأجمعت اليهود على أن عيسى ﷺ، لم يَدَّعِ شيئًا من الإلهية التي نسبها إليه النصارى، فحينئذ يقال للنصارى: إن صدقتم اليهود في القتل والصلب فصدقوهم في أنه ليس بإله، بل هو عبد مخلوق![1].

ومن العجيب أن النصارى يُعظِّمون الصّليب، وكان من مقتضى العقول أن يُحرِّقوا كل صليب وجدوه؛ لأنه قد صُلِبَ عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم.. فبأي وجه بعد هذا يستحقّ الصليب التعظيم[2].

٣ ـ تناقض الأناجيل في قضية الصلب :

وقع في قضية الصلب في الأناجيل المعتمدة عند النصارى أكثر من ثلاثين تناقضًا، وحينئذ يطبق على هذه التناقضات قاعدة: كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[3].

وهذا يدّلُ على أن كل ما تعلّق بالصلب اشتبه أمره على النصارى، وغابت عنهم الحقيقة، فهم لا يزالون مختلفين، وبهذا يسقط قولهم؛ لأنهم لا علم لهم ولا دليل يعتمدون عليه[4].

٤ ـ إبطال القرآن الكريم لقضية الصلب والقتل :

أوضح الله في القرآن الكريم أمر الصلب وبيّنه وجَلّاهُ وأظهره، وأوضحه عنه رسوله ﷺ المؤيد بالمعجزات والبيّنات والدلائل الواضحات، فقال تعالى: ﴿... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) انظر: هداية الحيارى ص ٦٣٧ ـ ٦٣٩، والجواب الصحيح ٢/ ٢٨٣.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢/ ٨٥، وهداية الحيارى ص ٤٩٥، والفصل لابن حزم ١/ ١٢٣ ـ ١٢٨.

(٣) انظر أمثلة هذه التناقضات مع إحالتها إلى الأناجيل في: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٦٢ ـ ١٠٨، والإنجيل دراسة وتحليل للدكتور/ محمد شلبي ص ٩٤ ـ ١٢١.

(٤) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٠٤.

اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1].

فعيسى ﷺ لم يُقْتَل ولم يُصلب، بل رفعه الله إليه، ولم يمت، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . . .﴾[2]، وقال تعالى حكاية عن المسيح: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

والوفاة هنا بمعنى القبض، كما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته، فيكون معنى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ أي: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي[4].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعم اليهود والنصارى، فدلّ ذلك على أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بالمسيح قبل موته، وذلك إذا نزل في آخر الزمان[5] آمنت اليهود والنصارى بأنه

---

(١) سورة النساء، الآيات ١٥٥ ـ ١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٧ .

(٤) ورجح هذا القول الطبري في تفسيره ٣/ ٢٠٣ .
وهناك أقوال أخرى في معنى الوفاة هنا، فمنهم من قال: النوم، وهم الأكثر، كما قاله ابن كثير ١/ ٣٦٧، ومنهم من قال في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك.
انظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٠٢-٢٠٤، والبغوي ١/ ٣٠٨، وزاد المسير ١/ ٣٩٦، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٢٨٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٧، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٣٤٢.

(٥) انظر خبر نزول عيسى آخر الزمان وحكمه بالشريعة الإسلامية في البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ٦/ ٤٩٠، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ ١/ ١٣٥.

رسول الله، ليس كاذبًا كما يقول اليهود، ولا هو الله كما يقول النصارى[1]، ثم بعد أن يحكم بشريعة محمد ﷺ يموت كما يموت البشر قبل يوم القيامة.

فاتضح بذلك ـ بحمد الله ـ أن عيسى لم يُقتل، ولم يُصلب، ولم يَمت حتى الآن، فبطل قول النصارى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ والله المستعان.

المسلك الرابع: البينات الواضحات على وقوع النسخ والتحريف في الأناجيل:

من حكمة القول في دعوة النصارى إلى الله ـ تعالى ـ أن يبين لهم بالأدلة العقلية والنقلية أن دين الإسلام قد نسخ جميع الشرائع السابقة، وأن ما وجد من الكتب السابقة فهو بين أمرين: إما حق قد نسخته الشريعة الإسلامية، وإما كلام محرف أو خلط فيه الحق بالباطل[2].

ومن المعلوم أن النصارى يقسمون الكتب إلى قسمين:

١ ـ كتب العهد القديم[3].

٢ ـ كتب العهد الجديد[4].

---

(١) انظر: فتح الباري ٦/ ٤٩١، ٤٩٢، ٤/ ٤١٤، ٥/ ١٢١، وشرح النووي ٢/ ١٩٠.

(٢) أما إثبات نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع السابقة، فقد قدمت عليه الأدلة العقلية والنقلية في المطلب الأول من حكمة القول مع اليهود، فأغنى ذلك عن إعادته هنا. انظر: ص ٤٠٤.

(٣) كتب العهد القديم هي ما يدعي النصارى أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى، وأشهر هذه الكتب خمسة: ١ـ سِفْر التكوين. ٢ـ سِفر الخروج. ٣ـ سِفر الأخبار. ٤ـ سِفر العدد. ٥ـ سِفر الاستثناء.

وبمجموع هذه الكتب يسمى بالتوراة. انظر إظهار الحق، لرحمة الله الهندي ١/ ٩٥ ـ ٩٨، واليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٩٩ ـ ١٨٣.

(٤) كتب العهد الجديد هي ما يدعي النصارى أنها كتبت بالإلهام بعد عيسى ﷺ، وأشهرها الأناجيل الأربعة: ١ـ إنجيل متىّ. ٢ـ إنجيل مُرقُس. ٣ـ إنجيل لُوقَا. ٤ـ إنجيل يُوحَنّا. انظر: إظهار الحق ١/ ٩٥ـ٩٨، واليهودية والمسيحية، ص ٣١٣ ـ ٣٥٢.

أما كتب العهد القديم فقد تقدم إثبات وقوع التحريف فيها بالأدلة العقلية والنقلية[1].

وأما كتب العهد الجديد فلا شكّ أن القول بالتحريف في كتب العهد الجديد عند النصارى أيسر عليهم من القول بالتحريف في العهد القديم؛ لأنهم لا يدّعون أن الأناجيل منزلة من عند الله ـ تعالى ـ على المسيح، ولا أن المسيح ﷺ أتاهم بها، بل كلّهم مُجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال في أزمان مختلفة[2]، ولهذا قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «الإنجيل بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، ويقع في ذلك الصح والخطأ»[3].

ولسعة هذا الموضوع سأقتصر على ما يثبت وقوع التحريف في الأناجيل بالأمثلة التالية:

١ ـ النتيجة التي لا مفرّ من التسليم بها أن الأناجيل القانونية الموجودة الآن ما هي إلا كتب مؤلفة، وهي تبعًا لذلك معرّضة للخطأ والصواب، ولا يمكن الادعاء ولو لحظة أنها كتبت بإلهام؛ فلقد كتبها أناس مجهولون، في أماكن غير معلومة، وفي تواريخ غير مؤكدة، والشيء المؤكد أن هذه الأناجيل مختلفة غير متآلفة، بل إنها متناقضة مع نفسها، ومع حقائق العالم الخارجي، لأنها فشلت في تنبؤات كثيرة، كالقول بنهاية العالم، وهذا القول قد يضايق النصراني العادي، بل قد يصدمه؛ ولكن بالنسبة للعالم النصراني

---

(١) انظر حكمة القول مع اليهود: المسلك الثاني من المطلب الأول، ص ٤١١.

(٢) انظر: الفصل لابن حزم ٢/ ١٣، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٩، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٤٧.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٩.

فقد أصبح ذلك عنده حقيقة مسلم بها[1]، لما أجراه من أبحاث، ولما علمه من واقع الأناجيل.

٢ ـ الشواهد على التحريف من الأناجيل:

(أ) جاء في إنجيل مرقس: أن المسيح قال لتلاميذه: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلّها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلّمون بألسنة جديدة، يحملون حيّات، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون»[2].

ففي هذا النص حجة على النصارى من وجهين:

الوجه الأول: قولهم عن عيسى: إنه أمرهم أن يبشروا بالإنجيل، فدلّ ذلك على أن إنجيلاً أتاهم به وليس هو عندهم الآن، وإنّما عندهم أربعة أناجيل متغايرة، وليس منها إنجيل أُلِّف إلاّ بعد رفع عيسى ﷺ بأعوام كثيرة، فصحّ أن ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح أنه أتاهم به وأمرهم بالتبشير به ذهب عنهم؛ لأنهم لا يعرفون له أصلاً، وهذا ما لا يمكن سواه.

الوجه الثاني: قولهم: إنه وعد كل من آمن بدعوة التلاميذ أنهم يتكلمون بلغات لا يعرفونها، وينفون الجنّ عن المجانين، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون، ويحملون الحيّات، وإن شربُوا شربة قتّالة لا تضرهم، وهذا وعد ظاهر الكذب؛ فإن ما من النصارى أحد يتكلم بلغة لم يتعلّمها، ولا منهم أحد ينفي جنيًا، ولا من يحمل حية فلا تضره، ولا

---

(١) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٥ ـ ٥٠، فهناك تجد كثيراً من الأمثلة على هذه التناقضات.

(٢) انظر: الفصل لابن حزم ٢/ ١٣٩، وعزاه المحقق إلى إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦/ ١٥-١٨.

من يضع يده على مريض فَيُشفى، ولا منهم أحد يُسقى السم فلا يضره، وهم معترفون بأن يوحنا ـ صاحب الإنجيل ـ قتل بالسم وحاشا لله أن يأتي نبي بمواعيد كاذبة، وهذا دليل على تحريف النصارى وتناقضهم وتكذيبهم أنفسهم»[1].

(ب) ومن ذلك ما جاء في إنجيل متّى أن عيسى ﷺ دعا على شجرة تينٍ خضراءَ، فيبست التينة في الحال، فتعجب التلاميذ من ذلك، فقال لهم عيسى: «الحقّ أقول لكم إن كان لكم إيمانٌ، ولا تشكُّوا أمر التينة فقط، بل إن قلتم أيضًا لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون»[2].

وهذا فيه حُجّة على النصارى، وذلك أن الأمر لا يخلو من أن يكون النصارى مؤمنين بالمسيح ﷺ، أو غير مؤمنين، فإن كانوا مؤمنين، فقد كذبوا المسيح فيما نسبوه إليه في هذه المقالة ـ وحاشا له من الكذب ـ فليس منهم أحد قدر على أن يأمر حبة من خردل بالانتقال فتنتقل، فكيف على قلع جبل وإلقائه في البحر!

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار، ولا يجوز أن يصدق كافر[3].

وبهذا يتبيّن أن الأناجيل وقع فيها تَحْريفٌ عظيم، ولا يعتمد عليها، ولا مخرج من هذا التيه إلا بالدخول في الإسلام.

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم ٢/ ١٣٩.

(٢) انظر: الفصل لابن حزم ٢/ ١٣٩، وعزاه المحقق إلى إنجيل متى، الإصحاح ٢١/ ١٨-٢٢.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الإمام الحافظ، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفى سنة ٤٥٦هـ، ٢/ ٩٨.
وانظر: الفصل لابن حزم ٢/ ١٤-٢٠٠، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٢ ـ ٤٥٢.

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله الاستشهاد عليهم بشهادة المنصفين من علماء النصارى، ومن وفقه الله منهم للإسلام، فإن هذا من باب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾[1]، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ ـ النَّجَاشي ملك الحبشة رحمه الله ورضي عنه

عندما قرأ جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على النّجاشي[2] صدرًا من سورة مريم، بكىَ النّجاشي حتى اخضلّت لحيته، وبكى أساقِفَتُه حين سمعوا ما تُلِيَ عليهم، وقال النجاشي للوفد: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ فقالَ جعفر ـ رضي الله عنه ـ: يقول فيه قول الله: هو روح الله، وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر. . . فتناول النجاشي عودًا فرفعه، فقال: يا معشرَ القِسِّيسِينَ والرُّهبان، ما يزيد على ما تقولون في ابن مريم ما تزن هذه، وقال للوفد: مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بَشّرَ به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله. . .[3].

٢ ـ سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه :

قصة سلمان مشهورة عجيبة[4]، فقد عاش مع مجموعة من علماء النصارى، وعندما كان مع آخر عالم من هؤلاء بعمورية بالروم حضرته

(١) سورة يوسف، الآية ٢٦ .
(٢) أصحمة ملك الحبشة، أسلم وحسن إسلامه، وهو معدود في الصحابة، ولم يُهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صحابي من وجه، توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه. انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٢٨-٤٤٣ .
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٣٨ .
(٤) انظر : قصته وإسلامه ـ رضي الله عنه ـ في سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥ ـ ٥٥٦ .

الـوفـاةُ، فأوصى سلمان الفارسي وقال: «قد أظَلَّكَ زمان نبي يُبعَثُ من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبـوّة، يأكل الهدية ولا يأكل الصّدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلّكَ زمانه».

وسافر سلمان ووجد العلامات التي وصفت له فأسلم رضي الله عنه[(١)].

٣ ـ هـرقـل عظـيم الـروم :

قال هرقـل لأبي سفيان في آخـر حديثـه: «... وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرّسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمـركم أن تعبدوا اللهَ ولا تُشرِكُوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصّلاة والصّدق والعفاف فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدميّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظنّ أنه منكم، فلو أنيّ أعلم أنيِّ أخلص إليه لتجشّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه...»[(٢)].

ثم قال للروم بعد ذلك: يا معشر الروم هل لكم في الفلاحِ والرّشد، وأن يثبت مُلككم فتبايعوا هذا النبي؟[(٣)] ولكن رغب في ملكه وضَنَّ به، فلم يسلم!

وهذا مما يبين أن عدول أهل الكتاب ومنصفيهم قد شهدوا لرسول الله ﷺ وأنه رسول الله حقًّا، فلا يقدح قدح المكذبين بعد ذلك[(٤)].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ١/ ٣٢، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ٣/ ١٣٩٦، وتقدم تخريجه أيضاً.

(٣) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ١/ ٣٣.

(٤) انظر: هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٢٥.

وقد أسلم الجمُّ الغفير من علماء النصارى وشهدوا بأن محمدًا ﷺ رسولُ الله إلى الناس أجمعين، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

فحري بجميع النصارى أن يسيروا على طريق علمائهم المنصفين، ويسلموا لله رب العالمين.

فينبغي للداعية إلى الله أن لا يُغفل هذا المسلك في دعوته للنصارى إلى الله تعالى[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٢ .

(٢) ممن سلك هذا المسلك من العلماء المعاصرين: فضيلة الشيخ/ عبدالمجيد الزنداني ـ وفقه الله وحفظه ـ، فهو يستشهد على النصارى بشهادة علمائهم، فأسلم على يديه الجم الغفير ـ فجزاه الله خيرا .

المطلب الثالث : البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها :

من أعظم الأقوال الحكيمة في دعوة أهل الكتاب وغيرهم من الكفّار أن تبين لهم البراهين والأدلّة القطعيّة الدالّة على صدق رسالة محمد ﷺ إلى الناس أجمعين :

ولا شكَّ أن الآيات والبيّنات الدالّة على نبوته ﷺ وعموم رسالته كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، وجميع الأنواع تنحصر في نوعين :

(أ) منها : ما مضى وصار معلومًا بالخبر الصّادق كمعجزات موسى وعيسى .

(ب) ومنها : ما هو باق إلى اليوم كالقرآن، والعلم والإيمان اللذين في أتباعه، فإن ذلك من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، والآيات التي يظهرها الله وقتًا بعد وقتٍ من كرامات الصّالحين من أمته، وظهور دينه بالحجّة والبرهان، وصفاته الموجودة في كتب الأنبياء قبله وغير ذلك[1]، وهذا باب واسع لا أستطيع حصره؛ ولكن سأقتصر في إثبات نبوته ﷺ وعموم رسالته على المسالك الآتية :

المسلك الأول : معجزات القرآن العظيم .

المسلك الثاني : معجزاته ﷺ الحسّية .

المسلك الثالث : عموم رسالته ﷺ .

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٦٧ ـ ٧١ .

المسلك الأول : معجزات القرآن العظيم :

المعجزة لغة : ما أُعجِزَ به الخصم عند التحدي[1].

وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله على يد من يختاره لنبوّته؛ ليدلّ على صدقه وصحّة رسالته[2].

والقرآن الكريم كلام الله المنزّل على محمد ﷺ هو المعجزة العظمى، الباقية على مرور الدّهور والأزمان، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة[3]، قال ﷺ: **«ما من الأنبياء نبيّ إلا أُعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**[4].

وليس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته ﷺ في القرآن، ولا أنه لم يؤت من المعجزات الحسّية كمن تقدّمه، بل المراد أن القرآن المعجزة

---

(١) انظر : القاموس المحيط، باب الزاي، فصل العين، ص ٦٦٣ .

(٢) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، ١/ ٦٦، والمعجم الوسيط، مادة: عجز، ٢/ ٥٨٥، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور صالح الفوزان ٢/ ١٥٧.

والفرق بين المعجزة والكرامة: هو أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوّة والتحدي للعباد. أما الكرامة: فهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا التحدي، ولا تكون الكرامة إلا لعبد ظاهره الصلاح، مصحوباً بصحة الاعتقاد والعمل الصالح. أما إذا ظهر الأمر الخارق على أيدي المنحرفين فهو من الأحوال الشيطانية. وإذا ظهر الأمر الخارق على يد إنسان مجهول الحال؛ فإن حاله يعرض على الكتاب والسنة كما قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة). انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥١٠، وسير أعلام النبلاء، ١٠/ ٢٣، والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان، ص ٣١١.

(٣) انظر : الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٩٣ .

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي ٩/ ٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ١/ ١٣٤.

العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أُعطِيَ معجزة خاصة به، تحدّى بها من أُرسِلَ إليهم، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، ولهذا لما كان السحر فاشيًا في قوم فرعون جاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السّحرة، لكنها تلقف ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولما كان الأطباء في غاية الظهور جاء عيسى بما حيّر الأطباء، من: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبْرَصِ، وكل ذلك من جنس عملهم، ولكن لم تصل إليه قدرتهم.

ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعل الله - سبحانه - معجزة نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم الذي[1] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

ولكن معجزة القرآن الكريم تتميز عن سائر المعجزات؛ لأنه حجة مستمرّة، باقية على مرّ العصور، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، أما القرآن فلا يزال حجة قائمة كأنما يسمعها السّامع من فم رسول الله ﷺ، ولاستمرار هذه الحجة البالغة قال ﷺ: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يومَ القيامةِ**»[3].

والقرآن الكريم آية بيّنة، معجزة من وجوه متعدّدة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله - تعالى - وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالِم ما فتح الله عليه

---

(١) انظر: فتح الباري ٩/ ٦، ٧، وشرح النووي على مسلم ٢/ ١٨٨، وأعلام النبوة للماوردي ص ٥٣، وإظهار الحق ٢/ ١٠١.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٦/ ٦٩، وتقدم تخريج الحديث.

به منها[1]، وسأقتصر على أربعة وجوه من باب المثال لا الحصر بإيجاز كالتالي:

الوجه الأول: الإعجاز البياني والبلاغي:

من الإعجاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والتركيب المعجز، الذي تحدّى به الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾[3].

وبعد هذا التحدّي انقطعوا فلم يتقدّم أحد، فمدّ لهم في الحبل وتحدّاهم بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[4]، فعجزوا فأرخى لهم في الحبل فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[5]، ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن

---

(1) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧٤، ٧٥، وأعلام النبوة للماوردي ص ٥٣ ـ ٧٠، والبداية والنهاية ٦/ ٥٤، ٦٥، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٩٠ ـ ١٢٤، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٢٧ ـ ٣٠٨.

(2) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(3) سورة الطور، الآيتان ٣٣، ٣٤.

(4) سورة هود، الآية ١٣.

(5) سورة يونس، الآية ٣٨.

كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

فقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي: فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فثبت التحدّي، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان، كما أخبر قبل ذلك، وأمر النبي وهو بمكة أن يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

فعم بأمره له أن يخبر جميع الخلق معجزًا لهم، قاطعًا بأنهم إذا اجتمعوا لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله من حين بُعِثَ ﷺ إلى اليوم والأمر على ذلك[3].

والقرآن يشتمل على آلاف المعجزات؛ لأنه مائة وأربع عشرة سورة، وقد وقع التحدي بسورة واحدة، وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، والقرآن يزيد بالاتفاق على ستة آلاف ومائتي آية، ومقدار سورة الكوثر من آيات أو آية طويلة على ترتيب كلماتها له حكم السورة الواحدة، ويقع بذلك التحدي والإعجاز[4]، ولهذا كان القرآن

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧١-٧٧، والبداية والنهاية ٦/ ٦٥.

(٤) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن نجم ص ١٠٠، وفتح الباري ٦/ ٥٨٢، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٣٦، ١/ ٢٣١، ٢٣٢.

الكريم يغني عن جميع المعجزات الحسّية والمعنوية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الوجه الثاني: الإخبار عن الغيوب:

من وجوه الإعجاز القرآني أنه اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يعلمها، وهذا مما يدلّ على أن القرآن كلام الله ـ تعالى ـ الذي لا تخفى عليه خافية: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

والإخبار بالغيوب أنواع:

النوع الأول: غيوب الماضي: وتتمثل في القصص الرائعة وجميع ما أخبر الله به عن ماضي الأزمان.

النوع الثاني: غيوب الحاضر: أخبر الله رسوله ﷺ بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأطلع عليه رسوله ﷺ.

النوع الثالث: غيوب المستقبل، أخبر الله رسوله ﷺ بأمور لم تقع، ثم وقعت كما أخبر، فدلّ ذلك على أن القرآن كلام الله، وأن محمدًا ﷺ رسول الله[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٤٢٤ ـ ٤٢٨، وإظهار الحق ٦٥-١٠٧، ومناهل العرفان ٢/ ٢٦٣، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٦٣.
وقد أخبر ﷺ بأمور غيبية كثيرة جدًا. انظر: جامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣١١-٣٣١.

الوجه الثالث : الإعجاز التّشريعي :

القرآن العظيم جاء بهدايات كاملة تامّة، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان؛ لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيءٍ ، خالق البشرية والخبير بما يُصلحها ويُفسدها، وما ينفعها ويضرّها، فإذا شرع أمرًا جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1] .

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنّقص، فَيُلْغُونَ غدًا ما وضعوه اليوم؛ لأن الإنسان محلّ النقص والخطأ، والجهل لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غدًا في أوضاع الإنسان وأحواله وفيما يصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهذا دليل حسيّ مُشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تصلح الخلق وتقوّم أخلاقهم، وعلى أن القرآن كلام الله سليم من كل عيب، كفيل برعاية مصالح العباد، وهدايتهم إلى كلِّ ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[3] .

وبالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله ـ تعالى ـ مدارها على

---

(١) سورة الملك، الآية ١٤ .

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٤٧ ، وأثر تطبيق الحدود في المجتمع الإسلامي، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١١٧ ، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٢٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩ .

ثلاث مصالح :

المصلحة الأولى : درء المفاسد عن ستة أشياء[1]: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنّسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية : جلب المصالح[2]: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، وسدّ كل ذريعة تؤدي إلى الضّرر.

المصلحة الثالثة : الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

فالقرآن الكريم حلّ جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانبًا من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها[3].

الوجه الرابع : الإعجاز العلمي الحديث :

يتصل بما ذكر من إعجاز القرآن في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلة نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث، مصداقًا لقوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾**[4].

لقد تحقّق هذا الوعد من ربنا في الأزمنة المتأخرة، فرأى الناس آيات الله في آفاق المخلوقات بأدقّ الأجهزة والوسائل: كالطائرات، والغواصات، وغير ذلك من أدقّ الأجهزة الحديثة التي لم يمتلكها الإنسان إلا في العصر الحديث.. فمن أخبر محمدًا ﷺ بهذه الأمور الغيبية قبل ألف وأربعمائة

---

(١) درء المفاسد هو المعروف عند أهل الأصول بالضروريات. انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

(٢) جلب المصالح يعرف عند أهل الأصول بالحاجيات. انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

(٣) انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٠٩-٤٥٧، فقد أوضح هذا الجانب بالأدلة العقلية والنقلية جزاه الله خيراً وغفر له.

(٤) سورة فصلت، الآية ٥٣.

وعشرة أعوام؟ إن هذا يدلّ على أن القرآن كلام الله، وأن محمداً رسول الله حقًّا.

وقد اكتُشِفَ هذا الإعجاز العلمي: في الأرض وفي السماء، وفي البحار والقفار، وفي الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك، ولا يتّسع المقام لذكر الأمثلة العديدة على ذلك[1].

المسلك الثاني: معجزات النبي ﷺ الحسية:

معجـزات النبي ﷺ الحسيّة الخارقة للعادة كثيرة جدًّا[2]، لا أستطيع حصرها، وسأقتصر بإيجاز على ذكر تسعة أنواع منها على سبيل المثال، كالآتي:

النـوع الأول: المعجزات العلوية، ومنها:

١ ـ **انشقاق القمر**: وهذه من أمهات معجزاته ﷺ الدالّة على صدقه، فقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حِرَاء بينهما[3]، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ. .﴾ الآيات[4].

---

(١) انظر أمثلة كثيرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/ ٢٧٨ـ٢٨٤، وكتاب الإيمان، لعبد المجيد الزنداني ص ٥٥ـ٥٩، وكتاب التوحيد للزنداني أيضًا ١/ ٧٤ـ٧٧.

(٢) قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «قد جمعت نحو ألف معجزة». انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ١٥٨.

ومعجزاته ـ ﷺ ـ تزيد على ألف ومائتين، وقيل: ثلاثة آلاف معجزة. انظر: فتح الباري ٦/ ٥٨٣.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ٧/ ١٨٢، ٦/ ٦٣١، ٨/ ٦١٧، ومسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ٤/ ٢١٥٩.

(٤) سورة القمر، الآيتان ١ـ٢.

٢ - صعوده ﷺ ليلة الإسراء والمعراج إلى ما فوق السمٰوات : وهذا ما أخبر به القرآن الكريم ، وتواترت به الأحاديث، قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وهذه الآية من أعظم معجزاته ﷺ، فإنّه أُسرِيَ به إلى بيت المقدس، وقطع المسافة في زمن قصير، ثم عُرِجَ به إلى السمٰوات، ثم صعد إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الجنة، وفرضت عليه الصلوات، ورجع إلى مكـة قبل أن يُصبح ، فكذبته قريش، وطلبوا منه علامات تدلّ على صدقـه، ومن ذلك علامات بيت المقدس، لعلمهم بأنه ﷺ لم ير بيت المقدس قبل ذلك، فجلَّى الله له بيت المقدس ينظر إليه ويخبرهم بعلاماته وما سألوا عنه[2].

وغير ذلك من الآيات العلوية، كحراسة السماء بالشّهب عند بعثته ﷺ .

النوع الثاني : آيـات الجـوّ :

١ - من هذه المعجزات طاعةُ السَّحاب له ﷺ، بإذن الله - تعالى - في حصوله ونزول المطر وذهابه بدعائه ﷺ[3].

٢ - ومن هذا النوع نصر الله للنبي ﷺ بالرِّيح التي قال تعالى عنها:

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١ .

(٢) انظر: البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء ٧/ ١٩٦ ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ١/ ١٥٦ .

(٣) انـظر: البخـاري مع الفتـح ، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ٢/ ٤١٣، ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٤ .

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [1]، وهذه الرِّيحُ هي ريح الصَّبا، أرسلها على الأحزاب، قال ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدُّبُورِ» [2]، وغير ذلك.

النوع الثالث: تصرّفه في الحيوان: الإنس، والجنّ والبهائم:

وهذا باب واسع، منه على سبيل المثال:

(أ) تصرفه في الإنس:

١ ـ كان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يشتكي عينيه من وجع بهما، فبصَقَ رسول الله ﷺ فيهما ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به وجع [3].

٢ ـ انكسرت ساق عبدالله بن عتيك ـ رضي الله عنه ـ فمسحها رسول الله ﷺ، فكأنها لم تنكسر قطُّ [4].

٣ ـ أُصِيبَ سلمة بن الأكوع بضربة في ساقه يوم خيبر، فنفث فيها رسول الله ﷺ ثلاث نفثات، فما اشتكاها سلمة بعد ذلك [5].

(ب) تصرفه في الجنّ والشياطين:

١ ـ كان ﷺ يُخرِج الجنّ من الإنس بمجرد المخاطبة. فيقول: «**اخرج عدوّ الله أنا رسول الله**» [6].

٢ ـ أخرج الشيطان من صدر عثمان بن أبي العاص، فضرب صدر

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٩.

(٢) مسلم، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر ١/ ٦١٦.

(٣) انظر: البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل ٦/ ١٤٤، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي ـ رضي الله عنه ـ ٤/ ١٨٧٢.

(٤) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع ٧/ ٣٤٠.

(٥) انظر: المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٧٥.

(٦) مسند أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦: رجال أحمد رجال الصحيح.

عثمان بيده ثلاث مرات وتفل في فمه وقال: «**اخرج عدوَّ الله**» فعل ذلك ثلاث مرات، فلم يُخالط عثمان الشيطان بعد ذلك[1].

(جـ) تصـرّفه في البهائم:

وقد حصل له مرارًا، ومن ذلك أنه جاء بعير فسجد للنبي ﷺ، فقال أصحابه: يا رسول الله! تسجد لك البهائم والشّجر، فنحن أحقّ أن نسجد لك، فقال ﷺ: «**اعبُدُوا ربَّكمُ، وأكْرِمُوا أخَاكمُ، ولو كنتُ آمرًا أحدًا أن يَسْجُدَ لأحدٍ لأمْرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لِزَوْجِهَا. . .**»[2].

النوع الرابع: تأثيره في الأشجار والثمار والخشب:

(أ) تأثيره في الأشجار:

١ ـ جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو في سفر. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال الأعرابي: ومن يشهد لك على ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذه السَّلَمَة**»[3]، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطىء الوادي، فأقبلت تخدّ[4] الأرضَ خدًّا حتى قامَتْ بين يَدَيْه، فأشهدها ثلاثًا، فشهِدتْ ثلاثًا أنه كما قال، ثم رجعَتْ إلى مَنْبَتِهَا[5].

٢ ـ أراد رسول الله ﷺ أن يقضي حاجته وهو في سفر، فلم يجد ما يستتر

---

(١) ابن ماجه، كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه، بسند حسن ٢/ ١١٧٤، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٢٧٣.

(٢) مسند أحمد ٦/ ٧٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩/ ٩: إسناده جيد، وانظر: معجزات من هذا النوع مسند الإمام أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣-١٢.

(٣) شجرة من شجر البادية، انظر: المصباح المنير، مادة «سلم»، ١/ ٢٨٦، ومختار الصّحاح، مادة «سلم»، ص ١٣١.

(٤) أي: تشقها أخدودًا. وانظر: المصباح المنير، مادة (خدّ) ١/ ١٦٥، ومختار الصحاح مادة (خدّ) ص ٧٢.

(٥) الدارمي، في المقدمة، باب ما أكرم الله نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/ ١٧، وإسناده صحيح، وانظر: مشكاة المصابيح برقم ٥٩٢٥، ٣/ ١٦٦٦.

به، فأخذ بغصن شجرة وقال: «**انقادي عليَّ بإذنِ اللهِ**»، فانقادت معه كالبعير المخشوم[1] حتى أتى الشجرةَ الأخرى ففعل وقال كذلك، ثم أمرهما أن تلتئما عليه فالتأمتا، ثم بعد قضاء الحاجة رجعت كل شجرة، وقامت كل واحدة منهما على ساق. . .[2].

(ب) تأثيره في الثّمار :

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «**إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنيّ رسول الله؟**» فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: «**ارجع**»، فعاد، فأسلم الأعرابي[3].

(جـ) تأثيره في الخشب :

كان ﷺ يخطب في المدينة يوم الجمعة على جذع نخل، فلما صنع له المنبر وَرقِيَ عليه صاحَ الجذْعُ صيَاحَ الصبي، [وخارَ كما تَخُورُ البقرة، جزعًا على رسول الله ﷺ فالتزمه رسول الله ﷺ وضمه إليه وهو يئنّ، ومسحه حتى سكن][4].

---

(١) الذي جعل في أنفه عودًا، ويشد فيه حبل ليذلّ وينقاد إذا كان صعبًا. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ١٤٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ٤/ ٢٣٠٦.

(٣) الترمذي، كتاب المناقب، باب حدثنا عباد، ٥/ ٥٩٤، وأحمد ١/ ١٢٣، والحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ٢/ ٦٢٠.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦٠٢، وما بين المعكوفين عند أحمد في المسند، ٢/ ١٠٩.

النوع الخامس: تأثيره في الجبال والأحجار وتسخيرها له:

(أ) تأثيره في الجبال:

صعد النبي ﷺ أحدًا، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه ﷺ برجله، وقال: **«اثبت أحد، فإن عليك نبي، وصِدِّيق، وشهيدان»**[1].

(ب) تأثيره في الحجارة:

وقال ﷺ: **«إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلِّم عليّ قبل أن أُبعثَ، إنيِّ لأعرفه الآن»**[2].

(جـ) تأثيره في تراب الأرض:

عندما كان رسول الله ﷺ في معركة حنين، واشتدّ القتال، نزل عن بغلتـه وقبض قبضة من تراب الأرض، واستقبل به وجوه القوم، فقال: **«شَـاهَـتِ الـوُجُـوهُ»**، فما خلق الله إنسـانًـا منهم إلا ملأ عينيه من تلك القبضة، فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين[3].

النوع السادس: تفجير الماء، وزيادة الطعام والشراب والثمار:

(أ) نبع الماء وزيادة الشراب:

هذا النوع حصل لرسول الله ﷺ مراتٍ كثيرة جدًّا[4]، ومن ذلك:

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: لو كنت متخذًا خليلاً. ٧/ ٢٢، ٤٠، ٧/ ٥٣.

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ٤/ ١٧٨٢.

(٣) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠٢. وحصل له مثل ذلك في معركة بدر.

(٤) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/ ٥٨٠، من حديث ٣٥٧١ - ٣٥٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ١/ ٤٧١ - ٤٧٧.، وجامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣٣٤ - ٣٥١.

١ ـ عطش الناس في الحديبية، فوضع يده ﷺ في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كالعيون، فشربُوا وتوضّؤوا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[١].

٢ ـ قدم ﷺ تبوك، فوجد عينها كشراك النّعل، فَغُرِفَ له منها قليلاً قليلاً، حتى اجتمع له شيء قليل، فغسل فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر، وبقيت العين إلى الآن[٢].

٣ ـ قصة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقدح اللّبن، وزيادة لبن القدح حتى شرب منه أضياف الإسلام[٣].

(ب) زيادة الطعام وتكثيره لما جعل الله فيه ﷺ من البركة:

١ ـ كان النبي ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه في غزوة، فأصابهم مشقة، فأمر ﷺ أن يجمعوا ما معهم من طعام وبسطوا سفرة، وكان الطعام شيئًا يسيرًا فبارك فيه، وأكلوا، وحشَوْا أوعيتهم من ذلك الطعام[٤].

٢ ـ بقي الصّحابة والنبي ﷺ في غزوة الخندق ثلاثة أيام لا يذوقون طعامًا، فذبح جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ عناقًا، وطحنت زوجته صاعًا من شعير، ثم دعا النبي ﷺ، فصاح النبي ﷺ بأهل الخندق يدعوهم على هذا الطعام اليسير، ثم جاء النبي ﷺ وبصقَ في العجين وبارك، وبصقَ في البرمة وبارك، قال جابر ـ رضي الله عنهما ـ: وهم ألف،

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨١، ٧/ ٤٤١، ٤٤٣، ١٠/ ١٠١، ومسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ٣/ ١٤٨٤.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ٤/ ١٧٨٤.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١/ ٢٨١.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو ٦/ ١٢٩، ومسلم، اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت ٣/ ١٣٥٤.

فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغطّ كما هي[1]، وإن عجيننا ليخبز كما هو[2].

وهذا باب واسع لا يمكن حصره.

(جـ) زيادة الثمار والحبوب :

١ ـ جاء رجل يستطعم النبي ﷺ فأطعمه شطْرَ وَسْق شَعِير، فما زال الرجل يأكل منه وأهله حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: «**لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم**»[3].

٢ ـ كان على والد جابر دين، وما في نخله لا يقضي ما عليه سنين، فجاء جابر إلى رسول الله ﷺ ليحضر الكيل، فحضر، ومشى حول الجرن، ثم أمر جابرا أن يكيل فكال لهم حتى أوفاهم، قال جابر ـ رضي الله عنه ـ: «وبقي تمري وكأنه لم ينقص منه شيء»[4].

النوع السابع : تأييد الله له بالملائكة :

أيد الله رسوله بالملائكة في عدة مواضع، نُصرةً له ولدينه، منها على سبيل المثال:

١ ـ في الهجرة، قال المولى ـ جل وعَلا ـ : ﴿... **فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا**﴾[5].

---

(١) أي: تغلي ويسمع غليانها. انظر: الفتح ٧/ ٣٩٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ٧/ ٣٩٥، ٣٩٦، ومسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباع غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ٣/ ١٦١٠.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ٤/ ١٧٨٤.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨٧، ٧/ ٣٥٧، وانظر شرح روايات الحديث في الفتح ٦/ ٥٩٣.

(٥) سورة التوبة، الآية ٤٠ .

٢ ـ في بدر، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1].

٣ ـ في أُحدٍ، قاتل جبريل وميكائيل ـ عليهما السلام ـ عن يمين النبي ﷺ وعن يساره[2].

٤ ـ في الخندق، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿... إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[3].

٥ ـ في غزوة بني قُرَيْظَةَ: جاء جبريل إلى النبي ﷺ بعد أن وضع السلاح من غزوة الخندق واغتسل، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم، فسأله النبي ﷺ: «إلى أين؟» فأشار إلى بني قريظة، فخرج ﷺ، ونصره الله عليهم[4].

٦ ـ في حنين، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿... وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[5].

النوع الثامن: كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس:

هذا النوع من أعظم الآيات الدالّة على صدق رسالة محمد ﷺ، ومن ذلك:

١ ـ كفاه الله ـ تعالى ـ المشركين والمستهزئين، فلم يصلوا إليه بسوء، قال

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: إذ همت طائفتان... ٧/ ٣٥٨، ومسلم في كتاب الفضائل، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد ٤/ ١٨٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٩.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤٠٧، ومسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد ٣/ ١٣٨٩.

(٥) سورة التوبة، الآية ٢٦.

تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ...﴾[1].

٢ ـ كفاه الله أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

٣ ـ وعصمه تعالى من جميع الناس بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3].

وهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس، فكلٌّ من هذه الأخبار الثلاثة قد وقع كما أخبر الله ـ تعالى ـ، فقد كفاه الله أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة، ونصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم، وانتقم ممن عاداه.

ومن ذلك أن رجلاً نصرانيًّا أسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتدّ وعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يَدْرِي محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنه قومه، فأصبح وقد أخرجته الأرض من بطنها، فأعادوا دفنه، وأعمقوا قبره، فأصبح وقد أخرجته الأرض منبوذاً على ظهرها، فأعادوا دفنه وأعمقوا له، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من الناس فتركوه منبوذاً[4].

---

(١) سورة الحجر، الآيتان ٩٤ ، ٩٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٣٧ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧ .

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٦٢٤، ومسلم، صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٥، برقم ٢٧٨١ .

النوع التاسـع : إجابة دعواته ﷺ :

الأدعية التي دعا بها النبي ﷺ وشُوهدت إجابتها كالشمس في رابعة النهار كثيرة جدًّا، لا تُحصر ولا يتّسع المقام لذكر أكثرها، ولكن منها على سبيل المثال:

١ ـ قال ﷺ لأنس ـ رضي الله عنه ـ: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»[1]، [**وأطل حياته واغفر له**][2]، قال أنس: فوالله إنّ مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم[3]، [وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة][4].

وكان له ـ رضي الله عنه ـ بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك[5].

٢ ـ ودعا ﷺ لأم أبي هريرة بالهداية فهداها الله فورًا، وأسلمت[6].

٣ ـ وقال ﷺ لعروة بن أبي الجعد البارقي: «**اللهم بارك له في صفقة يمينه**»، فكان يقف في الكوفة ويربح أربعين ألفًا قبل أن يرجع إلى أهله[7]، [وكان لو اشترى التراب لربح فيه][8].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصيام، باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨، و١١/ ١٤٤، ومسلم، في فضائل الصحابة، باب فضائل أنس ٤/ ١٩٢٨.

(٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٣، وانظر: فتح الباري ١١/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٩.

(٣) مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل أنس ٤/ ١٩٢٩ .

(٤) البخاري مع الفتح، باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨.

(٥) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أنس ٥/ ٦٨٣، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٢٣٤.

(٦) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة ٤/ ١٩٣٨ .

(٧) أحمد في المسند ٤/ ٣٧٦ .

(٨) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب حدثنا محمد بن المثنى ٦/ ٦٣٢ .

٤ ـ ودعاؤه ﷺ على بعض أعدائه، فلم تتخلّف الإجابة، كأبي جهل، وأمّية، وعقبة، وعتبة. . .[١].

٥ ـ ودعاؤه يوم بدر، ويوم حنين، وعلى سراقة بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وغيره كثير[٢].

والحقيقة أن العاقل المنصف يقف أمام هذه الدلائل والبينات مذعورًا، ولا يسعه إلا أن يقول: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

المسلك الثالث: عموم رسالته ﷺ

إنّ أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنّهم، عربهم وعجمهم، كتابيِّهم ومجوسيِّهم، رئيسهم ومرؤوسهم، وأنه لا طريق إلى الله ـ عز وجل ـ لأحد من الخلق إلا بمتابعته ﷺ باطنًا وظاهرًا، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهما من الأنبياء، **عليهم الصلاة والسلام**؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ. فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[٣].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح ١/ ٣٤٩، ومسلم ٣/ ١٤١٨، وتقدم تخريجه ص ١٤٩.

(٢) انظر: دعاءه يوم بدر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ٣/ ١٣٨٤، ويوم حنين في مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الطائف، ٣/ ١٤٠٢، وقصة سراقة في البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٧/ ٢٣٨، وانظر: ص ١٧٥ و ١٧٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ٨١، ٨٢.

الميثاق: لئن بعث محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه»[1].

ولهذا جاء في الحديث: «**لو كان موسى حيًّا بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني**»[2].

ومن خالف عموم رسالة النبي ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

١ ـ إما أن يكون المخالِفُ مؤمنًا بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول: رسالته خاصة بالعرب.

٢ ـ وإما أن يكون المخالف منكرًا للرسالة جملةً وتفصيلاً.

• فأما المعترف له بالرسالة؛ ولكنه يجعلها خاصة بالعرب فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله ـ تعالى ـ، ومن ذلك عموم رسالته، ونسخها للشرائع قبلها، فقد بيّن ﷺ أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، وأرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين، وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم، وضرب الجزية عليهم، وذلك كلّه بعد امتناعهم عن الدخول في الإسلام، أما كونه يؤمن برسول ولا يصدّقه في جميع ما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٧٧، ١٩١ـ٢٠٠، وفتاوى ابن تيمية ١٩/ ٩ـ٦٥، بعنوان: إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١ـ١٧٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٣٣٤، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٥٤ـ٤٥٦، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٠٣ـ٣٠٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٣٨، وله شواهد وطرق كثيرة ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ١٧٣ـ١٧٤، وانظر: مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني، ١/ ٦٣، ٦٨.

• وأما المنكر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقًا، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة ﷺ، ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجنّ، فإمَّا أن يأتي بما يُناقض المعجزة القائمة وإلا لزمه الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التّصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ، وإن ذهب يُكابر ويُعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ وقع في العجز وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شكّ أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القرآن معجزة قائمة مستمرة خالدة[1].

وحينئذ يلزم جميع الخلق العمل بما فيه والتحاكم إليه.

وقد صرح القرآن الكريم بأن محمدًا ﷺ رسول إلى جميع الناس، وخاتم النبين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3]، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[4].

وهذا تصريح بعموم رسالته لكل من بلغه القرآن.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ١٤٤، ١٦٦، ومناهج الجدل في القرآن الكريم ص٣٠٣، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور/ صالح بن فوزان ٢/ ١٨٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية ١.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٩.

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وبلغ ﷺ الناس جميعًا أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامّة، قال ﷺ: **«أعطيت خمسًا لم يُعْطَهُنّ أحد من الأنبياء قبلي»**، وذكر منها: **«وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعثت إلى الناس كافّةً»**... الحديث[5].

وقال ﷺ: **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وُضِعت هذا اللبنة؟» قال: «فأنا اللَّبِنةُ، وأنا خاتم النبيين»**[6].

وعموم رسالته ﷺ لجميع الإنس والجنّ في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الرسالات، يقضي ويدلّ دلالة قاطعة على أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٠.

(٢) سور الأحزاب، الآية ٤٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٤) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ١/ ٥٣٣، ومسلم، كتاب المساجد، ١/ ٣٧٠، برقم ٥٢١.

(٦) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ٦/ ٥٥٨، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠.

إلا كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته، واتباع ما جاء به، فقد قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[1].

وبعون الله ـ تعالى ـ ثم بهذه المسالك الثلاثة الآنفة الذكر ـ تقوم الحجة وتثبت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجنّ، في كلّ زمان ومكان إلى قيام الساعة: ﴿**قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾[2]، ﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**. . .﴾ الآية[3].

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٤.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.

المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين

تـوطئـة :

المطلب الأول : الموعظة الحسنة وأنواعها .

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب .

المطلب الثالث : حكمة القول التصويرية .

توطئـة :

إنّ من حكمة القول في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ أن يُخاطب الناس على قدر عقولهم، وأحوالهم، وعقائدهم، وأوضاعهم، وليس من الحكمة أن يُخاطب المسلم ـ في توجيهه وإرشاده وحثّه على الالتزام والتمسّك بدينه ـ كما يُخاطب الملحد، أو الوثنيّ، أو اليهوديّ، أو النصرانيّ، أو غيرهم من الكفار.

ولا شك أن المسلمين ينقسمون إلى قسـمين :

القسم الأول من المسلمين : وهم الذين ينقادون للحق ولا يعاندون، فهؤلاء يكفي في دعـوتهم بالقـول الحكيم أن يبينَّ لهم الحق علمًا وعملاً واعتقادًا، وحينئذ ينقادون لذلك ـ بإذن الله تعالى ـ.

أمـا القسم الثاني من المسلمين : وهم الذين عندهم غفلة وشهوات وأهواء، وهم عُصاة المسلمين، فهذا القسم تكون دعوتهم بالحكمة القولية حسب المطالب التالية:

المطلب الأول : الموعظة الحسنة وأنواعها .

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب .

المطلب الثالث : حكمة القول التصويرية .

المطلب الأول : الموعظة الحسنة وأنواعها :

والموعظة : هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يُلينّ القلوب، ويؤثّر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمرّدة، ويزيد النفوس المهذّبة إيمانًا وهداية[1]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

والداعية إلى الله ـ تعالى ـ ينبغي أن يكون وعظه للناس بالقول الحكيم على نوعين: تعليم، وتأديب.

النوع الأول : وعظ التعليم :

وهذا النوع يكون ببيان عقائد التّوحيد، وبيان الأحكام الشرعيّة الخمسة: من الواجب، والحرام، والمسنون، والمكروه، والمباح، ويراعي في ذلك كله ما يُناسب كل طبقة، والحثّ على التمسك بها، والتحذير من التهاون فيها.

ومن تدبر أسلوب القرآن علم أن الأحكام ينبغي أن تُساق إلى الناس مساق الوعظ الذي يُلينّ القلوب، ويبعثها على العمل، ولا تسرد سردًا خالية من وسائل التأثير، ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١٩/ ١٦٤، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٥، والتفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ص ٧١.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٦ .

(٣) سورة النور، الآية ١٧ .

﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ. نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فالأمر بتقوى الله بعد النهي عن إتيان النساء في المحيض، والأمر بإتيانهن في موضع الحرث، والأمر بالتقديم لأنفسنا تحذيرًا من مخالفة هذا الهدي الإلهي، وقوله: ﴿واعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَٰقُوهُ﴾ إنذار للذين يُخالفون عن أمره بأنهم يُلاقون جزاء مخالفتهم في الآخرة، ويحاسبون على أعمالهم. وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ المؤْمِنِينَ﴾ تبشير للطائعين الذين يقفون عند الحدود، ويتبعون هدى الله ـ تعالى ـ، والمبشر به عام يشمل منافع الدنيا، ونعيم الآخرة، وحصول كل خير، واندفاع كل شرّ ـ رتّب على الإيمان ـ داخل في هذه الآية.

ومما يزيد ذلك وضوحًا وبيانًا أن الله ـ عز وجل ـ بعد أن ذكر أحكام الفرائض وتقسيم التركات ختم ذلك بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ. وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2].

وهذان مثالان يُبينان أن الداعية إلى الله إذا سلك في هذا النوع طريقة القرآن الكريم فإنه سيجتذب الأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب ويلينها، وحينئذ تستقبل العقائد والأحكام بإذن الله ـ عز وجل ـ للعمل والتطبيق برغبة واشتياق[3].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) سورة النساء، الآيتان ١٣، ١٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٦، ٤٦٢، وتفسير السعدي ١/ ٢٧٨، ٢/ ٣٥، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ص ١٤٣.

النوع الثاني : وعظ التأديب :

وهـذا يكون بتحديد الأخلاق الحسنة : كالحلم والأناة، والشّجاعة، والوفاء، والصبر، والكرم . . . ، وبيان آثارها ومنافعها في المجتمع، والحثّ على التخلّق بها والتزامها، وتعريف وتحديد الأخلاق السيّئة : كالغضب، والعجلة، والغـدر، والجـزع، والجبن، والبخـل، . . . والتحـذير عن الاتصاف بها من طريقي : التّرغيب والتّرهيب.

وينبغي للداعية إلى الله أن يستشهد في كل من النوعين بما جاء فيه من الكتـاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ، وآثار الصحابة والتابعين والأئمة المجتهـدين، وأحـوالهم في ذلك؛ فإن لهذا شأنًا عظيمًا يوصّل إلى الغاية المقصودة متى صدر من قلب سليم نقيّ متخلّق بما يدعو إليه؛ لأن الموعظة في الغـالب إذا صدرت من القلب وقعت في القلب، وإن خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان.

وإذا أراد الداعية أن تكون موعظته مُؤثرة بليغة، فإن عليه الآتي :

١ ـ ينظر إلى المنكرات المنتشرة، ولا سيما ما كان منها قريب العهد، وحديثه على ألسنة الناس.

٢ ـ ثم يقدم من هذه المنكرات أكبرها ضررًا، وأسوأها أثرًا، فيجعلها محور خطابته، وموضع موعظته.

٣ ـ ثم يفكـر فيما ينشـأ عن هذا المنكـر من الأضرار: الخلقية، والاجتماعية، والصحية، والمالية.

٤ ـ ثم يستحضر ما جاء في ذلك من الآيات، والأحاديث الصحيحة، أو الحسنة، وأقوال الصحابة، والأبيات الشعرية الحكيمة.

٥ ـ ثم يأخذ في كتابة الموضوع إن شاء كتابته، ويضمنه ما فيه من تلك المضارّ، وما ورد فيه عن الشارع، محذرًا من الوقوع فيه، حاثًّا على التوبة منه.

أما إذا أراد الحثّ على العمل الصالح النافع، فيتبع ما يلي:

١ - يفكر في مزاياه وآثاره الحسنة تفكيرًا عميقًا.

٢ - يستحضر ما يُناسبه من الكتاب وصحيح السنة وآثار الصحابة.

٣ - ثم يسلك في الكتابة المسلك السابق.

فإذا كتب الموضوع، فإن شاء حفظه وألقاه، وإن شاء ذكر مضمونه، وذِكْرُ المضمون أحسن الأمرين، حتى لا يكون مقيدًا بعبارة خاصة، ويتخيرّ من العبارات ما يُؤدي إلى المعاني التي حصل عليها ببحثه وتفكيره.

وإن شاء عدم الكتابة واكتفى برسم الموضوع في مخيلته وتسطيره في ذاكرته التي قواها بالمران والتجارِب والممارسة كان ذلك أحسن وأكمل، وبتوفيق الله - عز وجل -، ثم بإعداد الموضوع واستحضاره بأدلّته تمامًا، وتقسيمه بحسب نقطه إلى أقسام، يكون الداعية في مأمن من الزّلل بإذن الله تعالى.

وبعد ذلك ينبغي أن يراعي في حال التأدية والإلقاء استعداد السّامعين، فينزل في العبارة مع العامة على قدر عقولهم متجنّبًا الألفاظ البعيدة عن أفهامهم، ويتوسّط مع أوساط الناس، ويتأنّق مع الخاصّة، فيكون مع جميع الطبقات حكيمًا يضع الأشياء في مواضعها، وبكلّ حال عليه أن يختار المعاني النفيسة، وتنسيقها، وشرحها بالدقّة، وإبلاغها أذهان السّامعين، وإنفاذها في قلوبهم، ودفع السآمة والملل عنهم، بإيراد الشواهد عليه من الحكم النثرية والشعرية، والفكاهات الأدبية، بشرط التزام ظلال الكتاب والسنة، وبذلك يكون الداعية مُوفّقًا مُؤثرًا بإذن الله - تعالى -، إذا قصد إبلاغ الناس بإخلاص وصدق ورغبة فيما عند الله - تعالى -[1].

---

(١) انظر: هداية المرشدين ص ١٤٥، ١٩٢.

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب :

من حكمة القول في أسلوب الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ مع عصاة المسلمين وغيرهم أن يسلك الداعية في دعوته إلى الله مسلكي : التّرغيب والتّرهيب؛ لأنه أسلوب له تأثيره في نفوس كثير من البشر؛ فإن الإنسان جُبلَ على حبّ الخير، والرّغبة في الحصول على كل محبوب، كما طُبِعَ على بغض الشرّ، وما يُصيبه من بلاء في النفس، أو المال، أو الأهل، وحينئذ فغريزة حبّ الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يُحقق لها كل خير، ويحميها من كل شرّ، سواء كان ذلك عاجلاً أو آجلاً؛ ولذلك فالترغيب والترهيب يفيض بهما بحرَا الكتاب والسنة[(١)]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا . وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(٢)].

فالقرآن يهدي لأقوم الطّرق، وأوضح السبل، ومن هدايته الترغيب بوعد الطّائعين الحافظين لحدود الله ـ تعالى ـ بعظيم الخير، وتبشيرهم بحسن المثوبة، والتّرهيب بوعيد المخالفين الذين تعدّوا حدود الله ـ تعالى ـ بشديد العذاب، وإنذارهم بسوء العاقبة، ومن المعلوم يقينًا أن الوعد بالخير يعمّ خير الدنيا والآخرة وسعادتهما، والوعيد يشمل نقم الدنيا والآخرة وشقاءهما[(٣)].

وهذا يجعل الداعية إلى الله ـ تعالى ـ يهتم اهتمامًا بالغًا بهذين الأسلوبين الحكيمين، وسأتناول ذلك ـ بإذن الله تعالى ـ بشيء من الإيضاح في المسلكين الآتيين:

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ٣٠١، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٩٤، وهداية المرشدين ص ١٩٢.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٩، ١٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٢٦، والسعدي ٤/ ٢٦٤.

المسلك الأول : التّرغيب والتّبشـير .

المسلك الثاني : التّرهيب والإنـذار .

المسلك الأول : الترغيب والتبشـير :

من الحكمة القولية في الدعوة إلى الله أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك ما يُفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله ـ تعالى ـ لنيل السعادة في الدنيا والآخرة .

والترغيب قسمـان :

القسم الأول : الترغيب في جنس الطاعات .

القسم الثاني : الترغيب في أنواع الطاعات .

القسـم الأول : التّرغيب في جنس الطاعات :

وهذا القسم له أنواع وصور متعدّدة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

النوع الأول : التّرغيب بالوعد بالخير العاجل في الدنيا :

عندما يتحقّق الإيمان والاستقامة عليه بطاعة الله ـ تعالى ـ وتقواه تحصل السّعادة والبركات العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، وما في الآخرة أعظم، ومن صور هذه الخيرات ما يأتي :

١ ـ التّرغيب بالوعد بالحياة الطيبة والسلامة من كل مكروه، قال تعالى ترغيبًا في صالح العمل مع الإخلاص فيه والمتابعة : **﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**(١) .

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٧ .

٢ ـ التّرغيب بالوعد بالاستخلاف في الأرض والتّمكين: قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

٣ ـ التّرغيب بالوعد بالإمداد بأنواع الخيرات والزيادة مع الشكر، قال تعالى عن نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2]، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3].

٤ ـ التّرغيب بالمدّ في العمر إلى استيفاء الآجال، وعدم المعاجلة بالعقوبة: قال تعالى: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[4]، فمن عبدَ الله واتقاه، وأطاع رسوله ﷺ، وتاب من جميع المعاصي، غفر الله له ذنوبه، ومدّ في عمره، ودفع عنه الهلاك إلى حين استيفاء أجله[5].

٥ ـ التّرغيب بالوعد بأنواع التأييد والنصر والتوفيق:

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥ .
(٢) سورة نوح، الآيات ١٠ ـ ١٢ .
(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧ .
(٤) سورة إبراهيم، الآية ١٠ .
(٥) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٢٧، ٤/ ٣٩٧، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٢٥، وتفسير السعدي ٤/ ١٢٧، ٧/ ٤٨١ .

(أ) الوعد بولاية الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1].

(ب) الوعد بالدفاع عنهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[2].

(جـ) الوعد بالكفاية: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3].

(د) الوعد بالنصر: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

(هـ) الوعد بالعزة والعلو: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[6].

(و) الوعد بمحبة الله للمؤمنين: وهذا باب واسع، قد ذكر الله فيه أنه يحبّ التّوابين، والمتطهّرين، والمتّقين، والمحسنين، والصّابرين، والمتوكّلين، والمقسطين، والذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص[7].

(ز) الوعد بمحبة عباد الله للمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٧ .

(٢) سورة الحج، الآية ٣٨ .

(٣) سورة الطلاق، الآية ٣ .

(٤) سورة الروم، الآية ٤٧ .

(٥) سورة المنافقون، الآية ٨ .

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٣٩ .

(٧) انظر: سورة البقرة، الآية ٢٢٢ ، وآل عمران، الآيات ٧٦ ، ١١٦ ، ١٣٤ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، والمائدة، الآية ٤٢ ، والتوبة، الآيتان ٤ ، ٧، والصف، الآية ٤ .

(٨) سورة مريم، الآية ٩٦. وانظر البخاري مع الفتح ١١/ ٣٤٠، ١٣/ ٤٦١ ، ومسلم ٤/ ٢٠٣٠ .

(ح) الوعد بالهداية والتوفيق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

(ط) الوعد بعدم تسليط الأعداء عليهم: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[2].

(ى) الوعد بالأمن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3].

(ك) الوعد بحفظ سعي المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[4].

(ل) الوعد بازّديادهم من العلم والفهم: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[5].

النوع الثاني: الترغيب بذكر سنة الله تعالى فيمن مضى من عباده المخلصين:

من حكمة القول مع عُصاة المؤمنين في دعوتهم إلى الله ـ عز وجل ـ أن يبين لهم أن سنة الله لا تتخلّف في نصرة عباده المؤمنين ورحمته بهم حين يتجهون إليه ـ سبحانه ـ بإظهار كمال العبودية له، والافتقار إليه، وهم في حالة من الكرب أو الضّيق أو الحاجة، فتدركهم رحمته سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

---

(١) سورة الحج، الآية ٥٤ .
(٢) سورة النساء، الآية ١٤١ .
(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٢ .
(٤) سورة الكهف، الآية ٣٠ .
(٥) سورة التوبة، الآية ١٢٤ .
(٦) سورة الأعراف، الآية ٥٦ .

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾(١).

وفي ذكر الداعية إلى الله سنة الله فيمن مضى من عباده المؤمنين إطماع لعباد الله في الحصول على أمثالها للمؤمنين إذا اتجهوا إلى الله ـ تعالى ـ بقلوب صادقة، وترغيب للمعرضين في انقيادهم لأمر الله ـ تعالى ـ حتى يكونوا من المحسنين، فتصيبهم رحمة الله ـ تعالى ـ(٢)، وهذا النوع له أمثلة كثيرة جدًّا، منها ما يلي:

١ ـ إجابة الله لدعوة آدم وحواء بعد أن وقعا في المعصية ثم تابا إلى الله ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٣)، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ. . .﴾(٤).

٢ ـ إجابته ـ تعالى ـ لنبيه أيوب بعد أن بلغ به الضرّ منتهاه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ. فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾(٥).

٣ ـ استجابته تعالى ليونس: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ. فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦)، ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِى

---

(١) سورة النمل، الآية ٦٢ .
(٢) انظر: معالم الدعوة للديلمي ١/ ٥٠٠ .
(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٣ .
(٤) سورة البقرة، الآية ٣٧ .
(٥) سورة الأنبياء، الآيتان ٨٣، ٨٤ .
(٦) سورة الأنبياء، الآيتان ٨٧، ٨٨ .

بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

٤ ـ إنجاؤه تعالى لأنبيائه وعباده المؤمنين عند حلول العذاب بأقوامهم المكذبين، وهذا باب واسع، ومن ذلك إنجاء نوح[2]، وهود[3]، وصالح[4]، وإبراهيم ولوط[5]، وشعيب[6]، وموسى وهارون[7]، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من بني إسرائيل[8]، وغيرهم، فقد أنجى سبحانه هؤلاء ومن تبعهم وأهلك أعداءهم.

النوع الثالث: التّرغيب بالوعد بالخير الآجل الأعظم في الآخرة:

جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ، وفي سنة رسوله ﷺ الوعد بالخير الآجل، والنعيم المقيم والرضوان، والأمن التامّ، والرحمة والمغفرة وتكفير السيئات، كل ذلك لمن تحقّق فيه شرط الإيمان والعمل الصّالح، وهذا باب واسع يزخر به بحر الكتاب والسنة، ولا يتّسع المقام لذكر الأمثلة على ذلك.

فعلى الداعية العناية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يقدم للناس القول الحكيم الذي يرضي الربّ الحكيم[9].

النوع الرابع: التّرغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة وما أعد الله لهم:

وهذا النوع من التّرغيب يزخر به كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ،

---

(١) سورة الصافات، الآيتان ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٢) انظر: سورة يونس، الآية ٧٣.
(٣) انظر: سورة هود، الآية ٥٨.
(٤) انظر: سورة هود، الآية ٦٦.
(٥) انظر: سورة الأنبياء، الآيتان ٧٠، ٧١.
(٦) انظر: سورة هود، الآية ٩٤.
(٧) انظر: سورة الصافات، الآيات ١١٤ ـ ١١٦.
(٨) انظر: سورة الأعراف، الآيات ١٦٤ ـ ١٦٦.
(٩) انظر: سورة الأنعام، الآية ٨٢، وطه، الآيات ٨٠-٨٢، والفرقان، الآية ٧٠، والبينة، الآيتان ٧، ٨.

ولا يحصر ما أعد الله لعباده المؤمنين في جنات النعيم من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، ولهذا قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ: «**قال الله: أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**»[1]، وهذا مما يجعل العاقل يشمِّر عن ساعد الجدّ؛ ليسعد بهذا الفوز العظيم، والسّعادة الأبدية، والنّعيم الدائم الذي يعجز دونه الوصف، ومن هذا النعيم على سبيل المثال[2]:

ما ذكر الله من نعيم أهل الجنة وصفاتهم، ومن ذلك: رضوانه تعالى؛ فإنه أكبر النعيم[3]، وأنهار الجنة[4]، ومساكن أهلها[5]، وزوجاتهم[6]، وحُليِّهم[7]، وطعامهم[8]، وشرابهم[9]، وصفاتهم[10]، وأطوالهم[11]،

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٦/ ٣١٨، ومسلم، كتاب الجنة، ٤/ ٢١٧٥ برقم ٢٨٢٥.
والآية من سورة السجدة، الآية ١٧.

(٢) انظر صفة الجنة ونعيمها وأحوال أهلها، وبعض ما أعد الله لهم، في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٦/ ٣١٧ـ٣٢٩، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها ٤/ ٢١٧٤ـ٢٢٠٦، وجامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، فقد ذكر عشرة أنواع من صفة الجنة ونعيمها ١٠/ ٤٩٤ـ٥١٢، ثم ١٠/ ٥٢٠ـ٥٢٣، ثم ذكر عشرة أنواع من صفات أهل الجنة ونعيمهم ١٠/ ٥٢٣ـ٥٣٧، ثم ١٠/ ٥٤٤ـ٥٥٦، فكان ذكره لنعيم الجنة وعذاب أهل النار ١٠/ ٤٩٤ـ٥٦٤، وانظر أعظم كتاب ألف في الجنة، هو: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم ـ رحمه الله ـ، ذكر فيه سبعين بابًا.

(٣) انظر: سورة التوبة، الآية ٧٢.

(٤) انظر: سورة محمد، الآية ١٥.

(٥) انظر: سورة التوبة، الآية ٢٣.

(٦) انظر: سورة الصافات، الآيات ٤٠ ـ ٤٨.

(٧) انظر: سورة الكهف، الآية ٣١.

(٨) انظر: سورة الطور، الآيتان ٢٧، ٢٨، والواقعة الآيات ١٠ ـ ٤٠.

(٩) انظر: سورة الإنسان، الآيات ٥ ـ ٢٢.

(١٠) انظر: البخاري مع الفتح ٦/ ٣١٨، ٣٦٢، ومسلم ٤/ ٢١٨٠.

(١١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ٦/ ٣٦٢.

وفواكههم[1] ، ولباسهم[2] ، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم[3] ، فالداعية إذا استخدم هذا النوع من الترغيب يجذب قلوب الناس إلى الرغبة في هذا النعيم الدائم.

القسم الثاني : **الترّغيب في أنواع الطاعات** :

وهذا القسم مُهِمٌّ جدًّا لا يقل أهمية عن القسم الأول، والناس يحتاجون إليه؛ ليشمّروا عن ساعد الجدّ في عمل أنواع الطاعات، فينبغي للداعية إلى الله أن لا يغفل هذا الجانب، ويهتم بترغيب الناس بالأقوال الحكيمة في أنواع البر والإحسان، وجميع أنواع الطاعات: كحثهم على تحقيق كلمة الإخلاص، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد لإعلاء كلمة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإصلاح ذات البين، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وغير ذلك.

وكذلك ينبغي ترغيب الناس في أنواع الفضائل النفسية: كالشجاعة، والعفة، والصدق، والوفاء، والأمانة، والإخلاص، والحلم، والتواضع، والكرم، والصبر، وطهارة الضمير، وحبّ الخير للناس، والعدل والإحسان، وغير ذلك مما ينفع الأمة في العاجل والآجل بذكر ما جاء فيها من الترغيب من الكتاب والسنة الصحيحة والحسنة والآثار الثابتة مع شرح ذلك شرحًا وافيًا حسبما تدعو إليه الحاجة[4].

ومن أمثلة الترّغيب في هذه الأنواع: قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(1) انظر : سورة الرحمن، الآيات ٥٢ ـ ٦٨، والواقعة، الآيات ١٩ ـ ٣٣ .
(2) انظر : سورة الكهف، الآية ١٥، وسورة الحج، الآية ٢٣ .
(3) انظر : سورة يونس، الآية ٢٦، وسورة ق، الآية ٣٥، وسورة القيامة، الآيتان ٢٢، ٢٣ .
(4) انظر: هداية المرشدين ص ١٩٩ .

ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ: ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ. وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ..﴾[3]، وغير ذلك كثير من كتاب الله تعالى[4].

وكذا قد جاء عن النبي ﷺ التّرغيب في أنواع الطّاعات من الأحاديث ما لا يُحصى، ومن ذلك قوله ﷺ لعبدالله بن عمرو: **«أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحُسنُ خليقةٍ، وعفةٌ في طعمةٍ»**[5].

ومن هذا النوع حديث معاذ بن جبل حينما سأل النبي ﷺ عما يدخله

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ١٦، ١٧.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٤، ١٣٥.

(٤) انظر: سورة النساء، الآية ١١٤، والتوبة، الآية ٧١، والمؤمنون، الآيات ١-١١، والفرقان، الآيات ٦٣-٧٧، ولقمان، الآيات ١٣-١٩، والأحزاب، الآية ٣٥، والصف، الآيات ١٠-١٣، وغير ذلك من الآيات في الترغيب في أنواع الطاعات.

(٥) أخرجه أحمد في المسند بإسناد جيد ٢/ ١٧٧، وانظر: صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٠١ برقم ٨٨٦.

الجنة ويباعده عن النار، فعدّ له النبي ﷺ اثنتي عشرة خصلة من أنواع الطّاعات[1].

فالداعية إذا استخدم هذه الأنواع وُفِّقَ بإذن الله ـ عز وجل ـ للصواب[2].

المسلك الثاني : الترهيب والانـذار :

من حكمـة القـول أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك الأمور النافعة المفيدة في حمل الناس على ترك الجرائم والذنوب، والتحذير والإنذار من كل المعاصي، والإصرار عليها.

والترهيب قسمان :

القسم الأول : الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس المعاصي والذنوب.

القسم الثاني : الترهيب بذكر الوعيد والعقوبات على أنواع الذنوب وآحادها.

القسم الأول : التّرهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس المعاصي والذنوب:

وهذا القسم له أنواع وصور متعدّدة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

النوع الأول : التّرهيب بذكر الوعيد بالحرمان من الخير العاجل، أو الأخذ بالعذاب العاجل:

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ٥/ ١١، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، ٢/ ١٣١٤، وأحمد ٥/ ٢٣١، وانظر صحيح الترمذي، وانظر أحاديث أخرى في الترغيب في أنواع الطاعات في البخاري مع الفتح ٦/ ١١، ١٠/ ٤١٥، ومسلم ٤/ ١٩٨٢.

(٢) ويفيد الداعية في هذا القسم الترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي، ورياض الصالحين للنووي.

الإصرار على المعاصي والسّيئات من أسباب الابتلاء بالفقر، والضّيق في العيش، والإصابة بالأمراض والأسقام، والحرمان من الخيرات العاجلة والآجلة، وهي أعظم الأسباب في إهلاك الأمم والجماعات والأفراد بالدمار والهلاك[1]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[2].

وهو سبحانه يعفو عن كثير من السيئات فلا يُجازي عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾[3].

وكل ما يحدث في الأرض من المصائب، وقلّة الثمار، وقحط الأمطار، فإنما هو من عقوبة بعض ما عمل الناس من الذنوب[4]: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[5].

ويمكن للداعية أن يستخدم هذا النوع في دعوته على ضربين:

الضّرب الأول: ذكر ما حلّ بالقرى من الأخذ بالدّمار أو الحرمان من الخيرات التي كانت بين أيديهم بسبب ظلمهم أنفسهم واستكبارهم، وعدم شكرهم لله الرزّاق، ومن ذلك ما حل بفرعون وقومه: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٣٣، ٢٣٤.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٣) سورة فاطر، الآية ٤٥.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٤، ٤/ ١١٧.

(٥) سورة الروم، الآية ٤١.

جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾[1]، وغير ذلك كثير مما حلّ بالقرى المكذبة للرسل، **عليهم الصلاة والسلام**[2].

الضّرب الثاني : الترهيب بذكر ما وقع لجماعات أو أفراد من الأخذ العاجل أو الحرمان من الخيرات، ومن ذلك ما حلّ بالجماعات والأفراد الآتي ذكرهم :

١ ـ ما ذكره الله عن قوم سبأ، وما كانوا فيه من النعم والغبطة والسرور، فلم يشكروا الله، فحلّ بهم الدمار والخراب والحرمان[3].

٢ ـ وما ذكر الله في قصة قارون[4].

٣ ـ وصاحب الجنتين الذي تكبرّ على صاحبه الفقير[5].

٤ ـ وأصحاب الجنة الذين تعاهدوا أن يحرموا الفقراء والمساكين فحرمهم الله جنتهم ودمّرها[6]، وغير ذلك من الأمثلة كثير.

النوع الثاني : الترهيب بالإنذار من حلول العذاب العاجل :

هذا النّوع يُوجهه الداعية إلى المعرضين عن طاعة الله إذا ظلّوا على إصرارهم وعنادهم واستكبارهم عن قبول الحقّ بعد وضوحه، ولزوم الحجّة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ . . ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا

---

(١) سورة الدخان، الآيات ٢٥ ـ ٢٧ .

(٢) انظر: سورة الأنعام، الآيات ٤٢ ـ ٤٥ ، والأعراف، الآيات ٩٤ ـ ١٠٠ ، والنحل، الآية ١١٢ ، والقصص، الآية ٥٨.

(٣) انظر: سورة سبأ، الآيات ١٥ ـ ١٩ .

(٤) انظر: سورة القصص، الآيات ٧٦ ـ ٨١، وتفسير البغوي ٣/ ٤٥٤ ، وابن كثير ٣/ ٩٩ .

(٥) انظر: سورة الكهف ٣٣ ـ ٤٣ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٨٤ .

(٦) انظر: سورة القلم، الآيات ١٧ ـ ٢٧ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٠٧ .

﴿ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[3].

وغير ذلك كثير في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ[4].

النّوع الثالث: الترّهيب بذكر مصير الأمم التي كذبت رسلها:

وهذا النوع له أعظم الأثر والوقع في النفوس؛ لأنه من أعظم العبر لمن اعتبر؛ ولأنه يُبيّن سنة الله ـ عز وجل ـ فيمن كذّب الرسل **عليهم الصلاة والسلام** أو وقَفَ من دعوتهم موقف الإعراض والاستكبار، ثم بعد إقامة الحّجة عليهم وقع بهم الدمار والهلاك، وهذا باب واسع لا يمكن حصره، ومن ذلك قوله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ. فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ الآية[5]، ﴿. . . وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٤٦، ٤٧.

(٢) سورة النور، الآية ٦٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٦٥.

(٤) انظر: سورة الأنفال، الآيتان ٢٤، ٢٥، وفصلت الآية ١٣، والسجدة، الآية ٢٢، والبخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة هود، باب: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾، ٨/ ٣٥٤، ومسلم، البر والصلة، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧، والبخاري مع الفتح ٨/ ٢٩٥، ٣٠١، ٩/ ٣١٩، ١٣/ ٣٨٣، ومسلم ٤/ ٢١١٤.

(٥) سورة الحج، الآيات ٤٢ ـ ٤٥.

أَخَـذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

ومن أنواع عذاب بعض هؤلاء المكذبين على سبيل المثال:

١ ـ قوم نوح: أهلكهم الله ـ عز وجل ـ بالغرق ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[2].

٢ ـ عاد قوم هود: سلط الله عليهم الريح فألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ، خاوية، فدمّرت الريح كل شيء بأمر ربها[3].

٣ ـ ثمود قوم صالح: أرسل الله عليهم الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتُوا عن آخرهم فأصبحوا في دارهم جاثمين[4].

٤ ـ قوم لوط: رفع الله قراهم إلى السماء، ثم قلبها عليهم فجعل عالِيَهَا سافلها، ثم أتبعهم بحجارة أمطرها عليهم، ولإخوانهم أمثالها[5].

٥ ـ مدين قوم شعيب: أظلتهم سحابة وأمطرت عليهم شررًا من نار، ولهبًا ووهجًا، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض من أسفل منهم[6].

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان ٣٩، ٤٠.
(٢) انظر: سورة القمر، الآيتان ١١ ـ ١٢.
(٣) انظر: سورة الأحقاف الآيتان ٢٤، ٢٥، والحاقة الآيات ٦ـ٨، والقمر، الآيتان ١٩، ٢٠.
(٤) انظر: سورة الأعراف، الآية ٧٨، والذاريات، الآيات ٤٣ـ٤٥، والقمر، الآيات ٢٩ـ٣١، والحاقة، الآية ٥.
(٥) انظر: سورة هود، الآية ٨١، والحجر، الآية ٨٢، والذاريات، الآية ٣٣.
(٦) انظر: سورة الشعراء، الآية ١٧٨، وهود، الآية ٩٤، والأعراف، الآية ٩١.

٦ ـ فرعون وقومه: أغرقهم الله في البحر[1].

٧ ـ قارون: خسف الله به وبداره الأرض[2].

النوع الرابع: التّرهيب بالوعيد بالعذاب الآجل في الآخرة:

الوعيد بالعذاب الآجل يوم القيامة هو من الأقوال العظيمة الحكيمة التي تَلِينُ لها قلوب أهل العقول حين تُذكّر ببطش الله ونقمته وعذابه الأليم لمن حادّ الله ورسوله وتعدى حدوده، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[4]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[5].

وهذا النوع كثير في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ[6].

النوع الخامس: التّرهيب بوصف حال الكفار والمجرمين وما أعد الله لهم من عذاب في الآخرة:

من المعلوم يقينًا أن وَصْف الداعية الحكيم أحوال الكفار والمنافقين والعُصاة وهم يتلقّون أنواعًا من العذاب الأليم، وذكره لبعض ما أعد الله

(١) انظر: سورة يونس، الآيات ٨٨ ـ ٩١، والزخرف، الآيات ٥١ ـ ٥٦.

(٢) انظر: سورة القصص، الآية ٧٦، وانظر التفصيل في ذلك في كتاب الجواب الكافي لابن القيم، ص ٨٤ ـ ٨٦، وسورة الأعراف، الآيات ٥٩ ـ ١٤١، وهود، ٢٥ ـ ١١٠.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤.

(٤) سورة الجن، الآية ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية ١١٥.

(٦) انظر كتاب: التخويف من النار لابن رجب ص ١٣.

لهم في الآخرة من أصناف العذاب والعقاب، مما يُثير الخوف والرعب والفزع في النفوس، ويحملها على أن تفر إلى الله ربها فتُخْلِصُ له العبودية وتتوب إليه؛ لتنجو من عذابه، ومن خِزْيِ هذا اليوم العظيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2]، ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ. وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[3].

وقد ذكر سبحانه لباسهم في النار وشرابهم[4]، وطعامهم[5]، وسلاسلهم وأغلالهم، وأنكالهم، ومقامعهم، وعظم أجسادهم[6]، وهذا لهم من أعظم الخسران المبين: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[7].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان ٧١، ٧٢.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٠.

(٣) سورة الحج، الآيات ١٩ - ٢١.

(٤) انظر: سورة محمد، الآية ١٥، وإبراهيم، الآية ٩، والكهف، الآية ٢٩.

(٥) انظر: سورة الدخان، الآية ٤٣، والمزمل، الآية ١٢، والحاقة، الآية ٣٥.

(٦) انظر: سورة غافر، الآيتان ٧١، ٧٢، والحاقة، الآية ١٢، والمزمل، الآيتان ١٢، ١٣، والحج، الآيتان ٢١، ٢٢. وانظر عظم أجسادهم وأضراسهم في البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ١١/ ٤١٥، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ٤/ ٢١٨٩، ٢١٩٠.

(٧) سورة الزمر، الآية ١٥.

النوع السادس : الترّهيب بالعذاب النفسي يوم القيامة :

من الحكمة القولية التي توجه إلى الغافلين والمعرضين والمصرّين على الجرائم والذنوب ذكر بعض ما بينه الله ـ عز وجل ـ من العذاب النفسي لأهل النار أعاذنا الله منها، ومن هذا النوع على سبيل المثال:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ. قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ. قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ. ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ. لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٠٦ ـ ١٠٨ .

(٣) سورة غافر، الآيات ١٠ ـ ١٢ .

(٤) سورة الزخرف، الآيتان ٧٧، ٧٨ .

وغير ذلك من أنواع العذاب النفسي، فإنهم عندما يَسأَلون الخروج من النار، ثم تُردُّ عليهم مسألتهم تتقطع قلوبهم همًّا وغمًّا[1].

القسم الثاني: التّرهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على أنواع الذنوب وآحادها

هذا قسم مهمٌّ، والناس بحاجة إليه، ليبتعدوا عن آحاد المعاصي، ويُقلعوا عما تلبسوا به منها، ويُظهروا توبتهم الصّادقة.

فينبغي للداعية إلى الله ـ تعالى ـ أن يهتمّ بهذا القسم، ويذكر ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد بالعذاب والعقوبات والنّقم على آحاد الذنوب وأنواعها كالتهاون ببعض أمور العقيدة الإسلامية، وكالتهاون بالصلاة والزكاة والصوم والحج عند الاستطاعة، والتحذير من عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتهاجر بين المسلمين، والشّحناء، والإنذار من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا، واللواط، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والسّرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والقذف، والغيبة، والنميمة، وأعظم من ذلك التحذير من الشّركيات والبدع المحدثة في الدين والسّحر، وإتيان الكهنة والعرافين، والتعلق بالأولياء والصّالحين، وغير ذلك من أنواع المعاصي.

ويلزم الداعية أن يحذر الناس بالقول الحكيم من أنواع الرذائل الخلقية: كالجبن، وعدم العفّة، والكذب، ونقض العهد، والغدر، والخيانة، والنّفاق، والرّياء، والغضب، والكبر، والبخل، والشحّ، والجزع عند

---

(١) انظر: أنواع وأصناف عذاب أهل النار وصفاتهم وبعض ما أعد الله لهم في جامع الأصول لابن الأثير ١٠/ ٥١٢ـ٥٢٣، ثم ١٠/ ٥٣٧ـ٥٦٤، والتخويف من النار لابن رجب ص ٦٤ـ٢٨٣.

المصائب، والحقد، والحسد، والتّحذير من كل ما يضرّ الأمة في دينها ودنياها[1].

فإذا ذكر الداعية ما ورد في ذلك من التّحذير بالقول الحكيم أثمر ذلك مجتمعًا مستقيمًا - بإذن الله تعالى -.

ونظرًا لسعة هذا القسم وكثرة أنواعه فسأكتفي بالأمثلة التالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[4].

أما الأمثلة من السنة فمنها قوله ﷺ: «اجتنبوا السَّبع المُوبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: «الشرك بالله، والسّحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتّولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[5].

وقال ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلا فشَا فيهم

---

(1) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم ص ١٨٠ - ٣٠٥، وهداية المرشدين ص ٢١٥.

(2) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(3) سورة النساء، الآية ٩٣.

(4) سورة الرعد، الآية ٢٥.

(5) البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا..﴾ ٥/ ٣٩٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وكبرها ١/ ٩٢.

الطّاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا الزّكاة إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

وهذا من أعلام نبوته ﷺ، فقد وقع ذلك كله بمن وقع في هذه المعاصي، ومن الأدلّة المحسوسة على ذلك مرض الإيْدْز، الذي وقع بمن أباحوا الفواحش.

وقد لعن ﷺ من لعن والديه، ومن ذبح لغير الله، ومن آوى محدثًا، ولعن على فعل ذنوب كثيرة غير ذلك[2].

وذكر الداعية ذلك مما يدفع العصاة على الفرار من الذنوب والرجوع إلى الله ـ تعالى ـ، والنّدم على ما مضى، والله الموفق سبحانه[3].

---

(١) ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات ٢/ ٣٣٣، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٤/ ٥٤٠، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٧، برقم ١٠٦.

(٢) انظر أنواعًا من المعاصي التي لعن عليها رسول الله ﷺ في الجواب الكافي لابن القيم، ص ١١٥-١١٩.

(٣) انظر في الترهيب بالوعيد بالعذاب على أنواع الذنوب وآحادها: كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب الكبائر للذهبي، وكتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الهالكين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، للإمام محيي الدين أبي زكريا، أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي، المتوفى سنة ٨١٤هـ.

المطلب الثالث : حكمة القول التصويرية :

من حكمة القول في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ استخدام الأساليب التصويرية التي تدخل على القلوب مباشرة فتؤثّر فيها، وتشدّ أذهان المدعوّين، وتشوقهم إلى الاستماع والاستفادة، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

المسلك الأول : القصص الحكيم :

القصة من خير ما يتوصّل به الداعية الحكيم لإبلاغ دعوته إلى أعماق القلوب؛ لأن النفس تميل إليها، وترغب فيها، يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «مما لا شك فيه أن للقصص طريقته الخاصّة في عرض الحقائق وإدخالها إلى القلوب في صورة حية عميقة الإيقاع بتمثيل هذه الحقائق في صورتها الواقعية، وهي تجري في الحياة البشرية، وهذا أوقع في النفس من مجرّد عرض الحقائق عرضًا تجريديًا»[1].

وأفضل القصص ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، فقد بيّن الله ـ عز وجل ـ في كتابه العزيز أخبار الأُمم الماضية أحسن بيان، ومن ذلك قصص الأنبياء وأقوامهم، وأثنى على أنبيائه ومن تبعهم من المؤمنين، وبيّن سنته في نصرتهم وتأييدهم، وذمّ الأمم التي كذّبت رسلها، وبين سنته فيهم، وما أوقع بهم من العذاب والدمار، وغير ذلك من القصص العظيم الحسن كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[2]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَـٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ . . .﴾[3].

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٣٩٠ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٣ .

(٣) سورة يوسف، الآية ١١١ .

أما القصص من السنة فإن قدوة الداعية في ذلك رسول الله ﷺ، فقد كان يقصّ على أصحابه القصص الذي ينفعهم، ويرغبهم في الخير، ويخوفهم من الوقوع في ضدّه، ومن ذلك: قصة الأبرص والأعمى والأقرع[1]، ففي هذه القصة التحذير من كفران النعم والبخل، والتشويق إلى شكر النعم، والاعتراف بها للخالق، والإحسان إلى الناس[2].

وقصّة الغلام مع الملك والسّاحر والرّاهب[3]، وفيها تشويق الناس في الثّبات على دين الله، والتّضحية بكلّ غالٍ ورخيصٍ في سبيل نصرة دين الله وإظهاره.

وقصة الرجل الذي قتل مائة ثم تاب فتاب الله عليه[4]، فإن في هذه القصّة الإيضاح للناس أن من تاب تاب الله عليه، وأن البيئة لها تأثير على الشّخص، فلا بدّ للتائب أن يلتمس الجليس الصّالح، وغير ذلك كثير في السنّة النبويّة.

المسلك الثاني: التشبيه وضرب الأمثال:

في القرآن الكريم كثير من الأمثال المضروبة، والداعية لابد له من ذلك في دعوته، ومن ذلك أن الله - تعالى - شبه المنفق في سبيله بمن بذر بذرًا فأنبتت كل حبّة سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبّة، والله يُضاعف فوق ذلك لمن يشاء بحسب حال المنفق وإخلاصه[5].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع من بني إسرائيل، ٦/ ٥٠٠، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٦٤، ٤/ ٢٢٧٥.

(٢) انظر: فتح الباري ٦/ ٥٠٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والغلام، ٤/ ٢٢٩٩.

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، ٤/ ٢١١٨.

(٥) انظر: سورة البقرة، الآية ١٦٢.

ومثل المنفق رياء وسمعة وبطلان عمله كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه مطر شديد، فتركه أملسا لا شيء عليه[1].

وشبه سبحانه الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها بالماء الذي ينزل من السماء فأنبت الكلأ والعشب، ثم صار بعد هذه النّضرة هشيمًا[2]، وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى[3].

وضربَ النبي ﷺ الأمثال في دعوته، ومن ذلك تشبيهه الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير[4]، وهذا من حكمة النبي ﷺ لأنه جمع بين التّرغيب والحثّ على مجالسة من يُستفاد من مجالسته في الدين والدنيا، وحذّر من مجالسة من يتأذّى بمجالسته فيهما[5]، وهذا كثير في السنة[6].

المسلك الثالث: لفت الأنظار والقلوب إلى الصور المعنوية وآثارها:

من حكمة القول التصويرية لفت أنظار الناس إلى الأوصاف الحميدة المعنوية، وبيان آثارها العملية التي تحصل بسبب تطبيقها والعمل بها، ومن

---

(١) انظر: سورة البقرة، الآية ٢٦٤.
(٢) انظر: سورة الكهف، الآية ٤٥.
(٣) انظر: أمثال القرآن لابن القيم ص ٥٠ ـ ٥٢.
(٤) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ٩/ ٦٦٠، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين ٤/ ٢٠٢٦.
(٥) انظر: فتح الباري ٤/ ٣٢٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٧٨.
(٦) انظر كثيراً من الأمثال في السنة في صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، ١/ ٥٤٩ برقم ٧٩٧، وكتاب الزكاة، باب مثل البخيل، ٢/ ٧٠٨، برقم ١٠٢١، وكتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ٣/ ١٤٩٨، برقم ١٨٧٨، وكتاب الفضائل، ٤/ ١٧٨٧ ـ ١٧٩١، بأرقام ٢٢٨٢ ـ ٢٢٨٧، وكتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ٤/ ٩٩٩ ـ ٢٠٠٠، برقم ٢٥٨٥ ـ ٢٥٨٦، وكتاب صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٦، برقم ٢٧٨٤، و ٤/ ٢١٦٣ ـ ٢١٦٦، بأرقام ٢٨٠٩ ـ ٢٨١٢، وكتاب الأمثال للرامهرمزي، وسنن الترمذي، كتاب الأمثال ٥/ ١٤٤ ـ ١٤٨، ومسند الإمام أحمد، ١/ ٤٣٥، ٤٦٥، ٤/ ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٢.

هذه الصور المعنوية ذكر الداعية أوصاف المؤمنين، وآثار هذه الأوصاف، وهذا كثير في كتاب الله ـ تعالى ـ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ. ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ. ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

وهذه أوصاف تجذب القلوب الحية، وتلفت الأنظار إلى هذه الصفات العالية وآثارها الحميدة، ومن أعظم آثارها الفوز بالفردوس الأعلى في الجنة، وكتاب الله يزخر بأوصاف عباد الله المؤمنين، وآثار هذه الأوصاف في الدنيا والآخرة[2].

فحري بالداعية أن لا يغفل هذا الجانب؛ فإن له الأثر الحميد بتوفيق الله تعالى.

المسلك الرابع: لفت الأنظار والقلوب إلى الآثار المحسوسة:

من حكمة القول التصويرية لفت أنظار الناس إلى آثار الأمم الماضية، والأفراد والجماعات الظّالمة، والقُرى والأمصار المكذّبة المجرمة، وقد تكون الآثار في الأزمان القريبة أو الأماكن والأزمان المعاصرة المتأخرة؛ فإن في

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١ ـ ١١.

(٢) انظر كثيراً من هذه الأوصاف وآثارها في سورة البقرة، الآية ١٧٧، وآل عمران، الآيات ١٥-١٧، ١٣٢-١٣٦، والتوبة، الآية ٧١، والفرقان، الآيات ٦٣-٧٤، والأحزاب الآية ٣٥، والذاريات، الآيتان ١٥، ١٦، والمعارج، الآيات ٢٢-٣٥.

النظر فيما حلّ بهم من الهلاك والدّمار والزّلازل والمحن والأمراض، أعظم العبر لمن اعتبر وتفكرّ، ونظر واتّعظ، والنّظر في مساكنهم وديارهم، وكيف أبادهم وأهلكم وأذلهم، وخذلهم الملك الجبار، وجعل أخبارهم عبرة لأولى الأبصار[1]؟!

وقد أمر الله عباده بالسير والنظر والتأمل في هذه الآثار في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

والأمر بالسّير يشمل السّير بالأبدان، والتّفكر بالقلوب للنظر والتأمل في عواقب المكذبين والمجرمين، والنّظر بالأبصار والبصيرة في آثار هؤلاء من المساكن الخاوية، والدّيار المهجورة، والسّماع بالآذان الأخبار المفزعة، وإلا فمجرد نظر العين الجامدة، وسماع الأذن المسدودة، وسير البدن الخالي من القلب المتفكر المعتبر غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب[4].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٥، ٣/ ٥٦٣، ٤٢٨، والسعدي ٢/ ٣٧٧، ٦/ ١١٤، ١٣٥، ٣٣٠، ٥١٩، ٥٥٤، ٧/ ٦٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١١ .

(٣) سورة الروم، الآية ٩ .

(٤) انظر: تفسير السعدي ٦/ ١٣٥، ٣٣٠ .

الفصل الرابـع
حكمـة القوة الفعلية مع المدعـوين

تمهيـــــــد : مراتب الدعـوة .

المبحث الأول : حكمة القوة الفعلية مع جميع الكفار .

المبحث الثاني : حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسـلمين .

تمهيد : مراتب الدعوة إلى الله تعالى :

قد دلّ كتاب الله على أن مراتب الدعوة ـ بحسب مراتب البشر ـ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ . . .﴾[2]، فاتضح بذلك أن مراتب الدعوة إلى الله أربع مراتب كالتالي :

المرتبة الأولىٰ : الحكمة .

المرتبة الثانية : الموعظة الحسنة .

المرتبة الثالثة : الجدال بالتي هي أحسن .

المرتبة الرابعة : استخدام القوة .

ولا بد أن تكون مرتبة الحكمة ملازمة لجميع المراتب التي بعدها، فالموعظة لابد أن توضع في موضعها، والجدال في موضعه، واستخدام القوة في موضعه مع بيان الحق بدليله والإصابة في الأقوال والأفعال، وكل ذلك بإحكامٍ وإتقان .

وبهذا تكون مراتب المدعُوِّينَ بحسب هذه المراتب كالتالي :

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

١ ـ المستجيب الذّكي، القابل للحقّ، الذي لا يعاند ولا يأباه، وهذا يُبيّن له الحق علمًا وعملًا واعتقاداً، فيقبله ويعمل به.

٢ ـ القابل للحقّ المعترف به؛ لكن عنده نوع غفلة وتأخر، وله أهواء وشهوات تصدّه عن اتّباع الحقّ، فهذا يُدعى بالموعظة الحسنة المشتملة على التّرغيب في الحقّ والتّرهيب من الباطل.

٣ ـ المعاند الجاحد، فهذا يُجادل بالتي هي أحسن[١].

٤ ـ فإن ظلم المعاند ولم يرجع إلى الحقّ انتُقِلَ معه إلى مرتبة استخدام القوّة إن أمكن.

واستخدام القوّة يكون بالكلام، وبالتّأديب لمن له سلطة وقوّة، وبالجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ تحت لواء ولي أمر المسلمين بالشّروط التي دلّ عليها الكتاب والسنة[٢]، وهذا ما يقتضيه مفهوم الحكمة الصحيح؛ لأنها وضع الشيء في موضعه اللائق به بإحكام وإتقان وإصابة.

ويزيد ذلك وضوحًا وبيانًا ما كان عليه رسول الله ﷺ وهو الذي أعطاه ربه من الحكمة ما لم يعط أحدًا من العالمين، فقد كان يضع العلم والتعليم

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/ ٤٤، ٤٥، ١٥/ ٢٤٣، ١٩/ ١٦٤، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٤، ١٩٥، والتفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤، ومعالم الدعوة في القصص القرآني للديلمي ١/ ٥٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦، ٤/ ٣١٥، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب ص ٨٩، وفتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ١/ ٩٠، وزاد الداعية إلى الله، لفضيلة العلاّمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١٥، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

والتّربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، والقوّة والغلظة والسّيف في مواضعها، وهذا من أحكم الحكم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، وهذا عين الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى[2].

وقد تقدّمت حكمة القول مع المراتب الثلاث الأولى من مراتب البشر السّابقة، أمّا المرتبة الرابعة: وهم المعاندون الظّالمون الذين لم يرجعوا إلى الحقّ، فهؤلاء من الحكمة في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ استخدام القوّة الفعليّة معهم في المباحث التالية:

المبحث الأول: حكمة القوّة الفعليّة مع جميع الكفار الظالمين.

المبحث الثاني: حكمة القوّة الفعليّة مع عُصاة المسلمين.

---

(١) سورة التحريم، الآية ٩.

(٢) انظر: تعليق الشيخ محمد حامد الفقي على التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤.

المبحث الأول : حكمة القوة الفعلية مع الكفار

المطلب الأول : أسباب استخدام القوة الفعلية مع الكفار .

المطلب الثاني : قوة الجهاد في سبيل الله تعالى .

المطلب الثالث : أسباب النصر .

المطلب الأول: أسباب استخدام القوة الفعلية مع الكفار:

أصناف المدعوّين: من الملحدين، والوثنيّين، وأهل الكتاب، وغيرهم من الكفّار إذا لم يؤثر فيهم ما تقدّم من حكمة القول في دعوتهم، ولم يستفيدوا من حكمة القول العقليّة، والحسيّة، والنقليّة، والبراهين المعجزة، والجدال بالتي هي أحسن، وأعرضوا وكذّبوا فحينئذٍ يكون آخر الطبِّ الكي: وهو استخدام القوّة؛ فإنّ لها الأثر العظيم في نشر الدعوة، وقمع الباطل وأهله، ونصر الحقّ وأهله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

فبيّن ـ سبحانه ـ أنه أرسل الرّسل، **عليهم الصلاة والسلام**، بالبيّنات وهي: المعجزات، والحُجج الباهرات، والبراهين السّاطعات والدلائل القاطعات، التي يوضّح الله بها الحقّ ويدفع بها الباطل، وأنزل مع الرّسل الكتاب الذي فيه البيّنات والهدى والإيضاح، وأنزل معهم الميزان: وهو العدل في الأقوال والأفعال الذي يُنصَف به المظلوم من الظالم، ويقام به الحق، ويعامل الناس على ضوئه بالحقّ، وأنزل الحديد فيه قوّة وردع وزجر لمن خالف الحقّ، فالحديد لمن لم تنفع فيه الحجّة والبرهان وتؤثر فيه البيّنة، فهو الملزم بالحق والقامع للباطل بإذن الله ـ تعالى ـ. ولقد أحسن من قال في مثل هذا:

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٥ .

وما هُوَ إلَّا الوحْيُ أَوْحَدُّ مُرْهَفٍ تُمِيلُ ظُبَاه أخدَعَيْ كُلِّ مائِلِ
فهَذا دَواءُ الدَّاءِ مِن كلِّ عَالـم وهذا دواءُ الدّاءِ مِن كُلِّ جَاهِلِ
هُوَ الحَقُّ إنْ تَسْتَيْقِظُوا فيهِ تَغْنَمُوا وَإنْ تَغْفُلُوا فالسَّيْفُ لَيْسَ بِغَافِلِ![1]

وقال آخر : يعني رسول الله ﷺ :

قالوا غَزَوْتَ ورُسْلُ اللهِ ما بُعِثوا لِقتْلِ نفسٍ ولا جاءُوا لسفكِ دم
جهلٌ وتضليلُ أحلامٍ وسفسطـةٌ فتحتَ بالسـيفِ بعد الفتح بالقلم
لما أَتى لكَ عفـواً كلُّ ذي حَسَبٍ تكفَّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَم[2]

وما أحكم ما قاله الآخـر :

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف صلت بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا[3]

فالعاقل ذو الفطرة السّليمة ينتفع بالبيّنة والبرهان ويقبل الحقّ بدليله، أما الظّالم المتّبع لهواه فلا يردّه إلا السّيف وأنواع السلاح[4]، ولهذا يكون الجهاد في سبيل الله أعظم حكمة القوّة في الدعوة إلى دين الله تعالى.

---

(١) ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، ٣/ ٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) الشوقيات : شعر أحمد شوقي، ١/ ٢٠١ ، ومعنى العَمَم : اسم جمع للعامة.

(٣) انظر : فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، ٣/ ١٨٤ ، ٢٠٤ .

(٤) انظر الإمام محمد بن عبدالوهاب : دعوته وسيرته للعلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ص ٢٨ ، وفتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٣٧، ٢٦٤ وتفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦، ٤/ ٣١٥، وتفسير السعدي، ٧/ ٣٠١.

المطلب الثاني : قوة الجهاد في سبيل الله تعالى :

الجهاد في سبيل الله[1] من أعظم ما تقرّب به العباد بعد الفرائض إلى الله ـ تعالى ـ؛ لما يترتّب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدّين وقمع الكافرين المعاندين الظّالمين والمنافقين وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة، وله أهداف، وأطوار، وأنواع، ومراتب إذا علمها المجاهدون وعملوا بها فقد أحرزوا حكمة القوّة الفعليّة في الدّعوة إلى الله.

وسأتناول ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ في المسالك الآتية :

المسلك الأول : أهداف الجهاد وغايته.

المسلك الثاني : أطوار الجهاد.

المسلك الثالث : الإعداد للجهاد.

المسلك الرابع : ضوابط قوة الجهاد.

المسلك الخامس : مراتب الجهاد وأنواعه.

---

(١) الجهاد في اللغة : بذل واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. وفي الشرع : بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار، والبغاة، والمرتدين ونحوهم. وهو فرض كفاية. ويكون فرض عين في ثلاث حالات :

١ ـ إذا حضر المسلم صف القتال.

٢ ـ إذا حضر العدو بلدًا من بلدان المسلمين.

٣ ـ إذا طلب إمام المسلمين النفير.

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، باب الجيم مع الهاء، والمصباح المنير، مادة «جهد» ١/ ١١٢، والمغني لابن قدامة ٣/ ٥ـ٨، والقتال في الإسلام، ص ١١، وذكر ابن القيم أن جنس الجهاد فرض عين : إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد. فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله بنوع من هذه الأنواع حسب الحاجة والقدرة؛ ولهذا قال ﷺ : «جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم»، رواه أبو داود والنسائي والدارمي، وأحمد واللفظ له. ٣/ ١٥٣، وانظر زاد المعاد ٣/ ٦، ١٠، ١٢.

المسلك الأول : أهداف الجهاد وغايته :

الجهـاد جهادان: جهاد الطّلب وجهاد الدّفاع، والمقصود منهما جميعًا والهدف هو:

١ ـ إعلاء كلمة الله، وتبليغ دينه، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظّلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[(١)].

٢ ـ نصر المظلومين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْـمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[(٢)].

٣ ـ ردّ العدوان، وحفظ الإسلام، وحماية عقيدة التّوحيد، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْـمُتَّقِينَ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣ .
(٢) سورة النساء، الآية ٧٥ .
(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٤ .
(٤) سورة الحج، الآية ٤٠ .

المسلك الثاني : أطوار قوة الجهاد :

قد كان الجهاد في الإسلام على أطوار ثلاثة :

الطّور الأول : الإذن للمسلمين بالجهاد من غير إلزامهم به وفرضه عليهم كما في قوله سبحانه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(1).

الطور الثاني : الأمر بقتال من قاتل المسلمين والكفّ عمن كفّ عنهم كما قال تعالى : ﴿. . . فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا . .﴾(2).

الطور الثالث : جهاد الكفّار والمشركين كافّةً، وغزوهم في بلادهم وقتالهم بعد البلاغ والدعوة إلى الإسلام وإصرارهم على الكفر، فيجاهَدوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . وليعم الخير أهل الأرض، وتتسع رقعة الإسلام، ويزول من طريق الدعوة دُعاة الكفر والإلحاد، ويَنْعَمَ العباد بحكم الشّريعة العادل وليخرجوا بهذا الدين من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق سبحانه، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشّريعة الإسلامية وأحكامها الرّشيدة.

---

(1) سورة الحج، الآية ٣٩ .

(٢) سورة النساء، الآيات ٨٩ ـ ٩١، وانظر سورة الكهف، الآية ٢٩ ، وسورة البقرة، الآيتان ١٩٠، ٢٥٦ .

ويستمرّ القتال حتى يدخلوا في دين الله أو يلتزموا بالجزية بشروطها إذا كانوا من أهلها[1]، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[2].

وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام وتوفي عليه نبينا محمد ﷺ وأنزل الله فيه آية السّيف وهي من آخر ما نزل: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[4]. وقوله ﷺ: «**أُمِرت أن أُقاتِل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ ويُؤتُوا الزّكاة، فإذا فعلوا ذلك عصمُوا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقِّ الإسلام وحسابهم على الله**»[5].

وهذا إذا استطاع المسلمون بدء عدوهم بالقتال وجهاده في سبيل الله. أما إذا لم يستطيعوا فعليهم أن يُقاتلوا من قاتلهم واعتدى عليهم، ويكفُّون

---

(١) انظر التفصيل فيمن تؤخذ منهم الجزية ومن لا تؤخذ منهم في زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٥٣، وفتاوى ابن باز ٣/ ١٩٠، وفضل الجهاد والمجاهدين لابن باز ص ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١/ ٧٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله محمد رسول الله ١/ ٥٣

عمن كفَّ عنهم عملاً بآية النساء وما ورد في معناها في الطور الثاني من أطوار الجهاد[1]، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، ولا تعارض بين هذه الآية وآية التَّوبة وما جاء في معناها، لأن آية التَّوبة فيها الأمر بقتال الكفَّار إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدوّ كثيفًا فإنَّه يجوز مهادنتهم كما دلَّت عليه آية الأنفال، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحُديبية، فلا مُنافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم[3].

ويكون الأمر لوليّ الأمر إن شاء قاتل، وإن شاء كفّ، وإن شاء قاتل قومًا دون قوم على حسب القّوة والقدرة والمصلحة للمسلمين لا على حسب هواه وشهواته. فإذا صار عندهم من القّوة والقدرة، والسّلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفّار أعلنوها حربًا للجميع وأعلنوا الجهاد للجميع[4].

المسلك الثالث: الاعداد لقوة الجهاد:

ولا يمكن أن يكون الجهاد قويًا إلا بإعداد قوتين عظيمتين.

١ ـ قوّة الإيمان والعمل الصّالح، كما قال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ. وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[6]، ﴿إِنَّا

---

(١) قال العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ـ حفظه الله ـ: وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وبهذا يُعلَم أن قول من قال من كتّاب العصر: إن الجهاد شرع للدفاع لا للطلب قول غير صحيح ومخالف للنصوص. انظر فضل الجهاد لابن باز ص ٢٦، وفتاوى ابن باز أيضًا ٣/ ١٧١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢٤.

(٤) انظر فتاوى ابن باز ٣/ ١٩٣، وفتاوى ابن تيمية ١٣/ ١٦.

(٥) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٦) سورة محمد، الآيتان ٧، ٨.

﴿لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1]، فالقيام بجميع الواجبات والابتعاد عن جميع المحرّمات من أعظم أسباب النّصر والتمكين.

٢ ـ قوّة الحديد وما استطاعه المسلمون من قوّة مادّية، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]، والإعداد يكون على حسب الظروف والأحوال ويتناول كل وسيلة يستطيعها المسلمون، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قُوَّةٍ ألا إن القوَّة الرّمي، ألا إن القوّة الرّمي، ألا إنّ القوّة الرّمي**»[3]، فيجب إعداد القوات البرية، والجوية، والبحرية إذا استطاع المسلمون ذلك[4]، ويجب عليهم أن يأخذوا حذرهم ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[5].

وهذا يدلّ على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان، وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة، وكيفية استعمالها وتوجيههم إلى ما يُعينهم على جهاد عدوّهم والسلامة من مكائده، والله ـ عز وجل ـ أطلق الأمر بالإعداد وأخْذ الحذر ولم يذكر نوعًا دون نوع ولا حالاً دون حال، وما ذلك إلا لأن الأوقات تختلف، والأسلحة تتنوع، والعدوّ يقل ويكثر، ويضعف ويقوى، فلهذا ينبغي على قادة المسلمين وأعيانهم ومفكريهم إعداد ما يستطيعون من قوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك وقد قال

---

(١) سورة غافر، الآية ٥١ .
(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠ .
(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه ٣/ ١٥٢٢ .
(٤) انظر: عناصر القوة في الإسلام، للسيد سابق، ص ٢٢٣ ، وتفسير السعدي، ٣/ ١٨٣ .
(٥) سورة النساء، الآية ٧١ .

ﷺ: «الحرب خَدْعة»[1]، ومعناه أن الخصم قد يُدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب ما لا يُدركه بالقوّة والعدد، وذلك مُجرّب ومعروف[2].

المسلك الرابع: ضوابط قوة الجهاد:

ومع أن ما تقدّم هو مفهوم القوّة الصّحيح في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، فإن قوّة الجهاد في سبيل الله لها ضوابط ينبغي أن يلتزم بها المجاهدون في سبيل الله ـ تعالى ـ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ**﴾، فيدخل في ذلك ارتكاب المناهي: من المثلة والغلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال، والرُّهبان، والمرضى، والعُمي، وأصحاب الصّوامع؛ لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفّار برأيه قتل[3].

ويدخل في ذلك قتل الحيوان لغير مصلحة، وتحريق الأشجار، وإفساد الزّروع والثّمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت[4]، ولهذا كان ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سريّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: **اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا وليدًا وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال...**»[5]، ثم بينها ﷺ كالآتي:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

---

(١) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، ٣/ ١٣٦١، وانظر: شرح النووي، ١٢/ ١٥.

(٢) فضل الجهاد والمجاهدين ص ٢٨، وفتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٢٥٣.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ١٧٥ ـ ١٧٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٧ وعناصر القوة في الإسلام ص ٢١٢.

(٥) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ٣/ ١٣٥٧.

(ب) فإن أبوْا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية .

(جـ) فإن امتنعوا عن ذلك كلّه استعان بالله وقاتلهم[1] .

ومن هذه الضوابط قوله تعالى : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[2] .

فإذا كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد ، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانةً ، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة ، فحينئذٍ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوي علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك .

ودلت الآية على أنه إذا وُجدَت الخيانة المحققة من الأعداء لم يحتج أن يُنبذ إليهم عهدهم ؛ لأنه لم يُخَف منهم بل عُلم ذلك .

ودل مفهوم الآية أيضًا أنه إذا لم يُخف منهم خيانة ؛ بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك ، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم ، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته[3] .

ولهذا قال سليم بن عامر: كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى عهدهم غزاهم ، فجاء رجل على فرس أو بِرْذَوْنٍ وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر فنظروا فإذا عمرو بن عبسة ، فأرسل إليه معاوية ـ رضي الله عنه ـ فسأله ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قوم ٍ عهدٌ فلا يشدُّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضِيَ**

---

(١) انظر المرجع السابق ٣/ ١٣٥٧ ، وزاد المعاد ٣/ ١٠٠ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٥٨ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٢١ ، وتفسير السعدي، ٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤ .

أَمَدُها أو ينبذ إليهم على سواء» فرجع معاوية[1].

وهذا هو عين الحكمة في دعوة من ظلم وتجبرّ وصدّ عن سبيل الله تعالى.

المسلك الخامس: مراتب قوة الجهاد وأنواعه:

الجهاد له أربع مراتب: جهاد النّفس، والشّيطان، والكفّار والمنافقين، وأصحاب الظّلم والبدع والمنكرات.

١ ـ جهاد النفس له أربع مراتب:

(أ) جهادها على تعلّم أمور الدين والهُدى الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

(ب) جهادها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

(ج) جهادها على الدعوة إليه ببصيرة، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه ولا يُنجيه من عذاب الله.

(د) جهادها على الصبر على مشاقّ الدّعوة إلى الله، وأذى الخلق، وأن يتحمّل ذلك كلّه لله. فمن علم وعمل، وصبر فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السّمٰوات. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ. إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ. إِلَّا ٱلَّـذِينَ ءَامَنُـواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَـوَاصَـوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[2].

---

(١) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، ٣/ ٨٣، وانظر: صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٥٢٨.

(٢) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

٢ ـ جهاد الشّيطان وله مرتبتان :

(أ) جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشّبهات والشّكوك القادحة في الإيمان.

(ب) جهاده على دفع ما يلقي إليه من الشّهوات والإرادات الفاسدة، فالجهاد الأول بعد اليقين، والثاني بعد الصبر. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

والشّيطان من أخبث الأعداء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[2].

٣ ـ جهاد الكفّار والمنافقين :

وله أربع مراتب :

(ا) بالقلب. (ب) باللسان. (ج) بالمال. (د) باليد.

وجهاد الكفار أخصّ باليد، وجهاد المنافقين أخص باللّسان.

٤ ـ جهاد أصحاب الظّلم والعدوان، والبدع والمنكرات :

وله ثلاث مراتب :

(أ) باليد إذا قدر المجاهد على ذلك.

(ب) فإن عجز انتقل إلى اللسان .

(ج) فإن عجز جاهد بالقلب. قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليُغيرّه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ**»[3].

---

(١) سورة السجدة، الآية ٢٤ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٦ .

(٣) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩ .

فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد وأكمل الناس عند الله من كمل مراتب الجهاد كلّها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله محمد خاتم أنبيائه ورسله؛ فإنه كمّل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده[1]، **فصلوات الله وسلامه عليه ما تتابع الليل والنهار**.

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال ﷺ: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**»[2]. كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدوّ في الخارج وأصلاً له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرها الله به وتترك ما نهاها الله عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوّه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوّه والانتصار عليه، وعدوه الذي بين جنبيه غالب له وقاهر له؟ ولا يمكنه الخروج إلى عدوّه حتى يُجاهد نفسه على الخروج. فهذان عدوان[3] وبينهما عدوّ ثالث لا يمكن للعبد أن يجاهدهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يثبّط الإنسان عن جهادهما ويخوّفه ويخذله، ولا يزال يخوّفه ما في جهادهما من المشاقّ، وفوات اللذات، والشّهوات، فلا يمكنه أن يُجاهد هذين العدوّين إلا بجهاد هذا العدوّ الثالث وهو الأصل لجهادهما وهو الشّيطان[4].

ويتضح مما تقدّم أن ميادين أو أنواع القتال في الجهاد كالآتي:

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٠، ١٢.

(٢) أحمد بسند جيد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ١١.

(٣) النفس والعدو في خارجها.

(٤) انظر: زاد المعاد ٣/ ٦.

١ ـ جهاد الكفّار، والمنافقين، والمرتدين[١].

٢ ـ جهاد البغاة المعتدين.

٣ ـ جهاد الدفاع عن: الدين، والنفس، والأهل، والمال. ويدخل في هذا النوع جهاد قُطّاع الطّرق أو المحاربين. قال ﷺ: **«من قُتِلَ دون ماله فهو شهيدٌ، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيدٌ، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيدٌ، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيدٌ»**[٢].

---

(١) انظر: التفصيل في ذلك، زاد المعاد ٣/ ١٠٠، ٦-١١، والمغني لابن قدامة ١٢/ ٢٦٤، والقتال في الإسلام لمحمد الجعوان ص ١١٣.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب في قتال اللصوص، ٤/ ٢٤٦ والترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، ٤/ ٢٨ والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب من قتل دون ماله، ٧/ ١١٤، وأحمد برقم ١٦٥٢-١٦٥٣.

المطلب الثالث : أسباب النصر :

من المعلوم يقينًا أنّ النّصر على الأعداء له أسباب تُحقّقه للمسلمين على أعدائهم بإذن الله ـ تعالى ـ، وسأذكر معظم هذه الأسباب بإيجاز في أربعة عشر مسلكًا كالتالي:

المسلك الأول : الإيمان والعمل الصالح :

وعد الله المؤمنين بالنّصر المبين على أعدائهم، وذلك بإظهار دينهم، وإهلاك عدوّهم وإن طال الزّمن قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ. يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ. أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[5].

---

(١) سورة غافر، الآيتان ٥١، ٥٢ .

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧ .

(٣) سورة الأنفال، الآيات ٢ ـ ٤ .

(٤) سورة النور، الآية ٥٥ .

(٥) سورة النساء، الآية ١٤١.

المسلك الثاني : نصر دين الله تعالى :

ومن أعظم أسباب النّصر: نصر دين الله ـ تعالى ـ والقيام به قولاً، واعتقادًا، وعملاً ودعوة. قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ. وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[3].

المسلك الثالث : التوكل على الله والأخذ بالأسباب:

التوكّل على الله مع إعداد القّوة من أعظم عوامل النّصر لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[6]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[7].

---

(١) سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١ .
(٢) سورة محمد، الآيتان ٧، ٨ .
(٣) سورة الصافات، الآيات ١٧١ ـ ١٧٣ .
(٤) سورة المائدة، الآية ١١ .
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٦٠ .
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .
(٧) سورة الأحزاب، الآية ٣ .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (١). وقال، ﷺ: «لو أنكم كنتم توكّلون على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا» (٢). ولا بدّ مع التوكّل من الأخذ بالأسباب، لأن التوكّل يقوم على ركنين عظيمين:

(أ) الاعتماد على الله والثّقة بوعده ونصره تعالى.

(ب) الأخذ بالأسباب المشروعة.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٣). وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل» (٤).

المسلك الرابع: المشاورة بين المسئولين:

كما كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه مع كمال عقله وسداد رأيه امتثالاً لأمر الله تعالى وتطييبًا لنفوس أصحابه قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٥). ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (٦).

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٨.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله ٤/ ٥٧٣، وانظر صحيح الترمذي ٢/ ٢٧٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٤) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا عمرو بن علي ٤/٦٦٨، وانظر صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٦) سورة الشورى، الآية ٣٨.

المسلك الخامس: الثبات عند لقاء العدو:

من عوامل النّصر الثّبات عند اللقاء وعدم الانهزام والفرار، فقد ثبت النبي ﷺ في جميع معاركه التي خاضها، كما فعل في بدر، وأُحد وحُنين. وكان يقول في حنين حينما ثبت وتراجع بعض المسلمين: **أنّا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب. اللهم نزِّل نصرك**[1] وثبتَ أصحابه من بعده. وهو قدوتنا وأسوتنا الحسنة ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا**﴾[2].

وقال ﷺ: «**يَا أيُّها الناسُ لا تمنوا لقاءَ العدوِّ واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السّيوف**»[3].

المسلك السادس: الشجاعة والبطولة والتضحية:

من أعظم أسباب النّصر: الاتصاف بالشّجاعة والتّضحية بالنفس والاعتقاد بأنّ الجهاد لا يُقدِّم الموت ولا يُؤخِّره؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾[4].

قال الشاعر:

من لم يمت بالسّيف مات بغيره تعددّت الأسباب والموت واحد

ولهذا كان أهل الإيمان الكامل هم أشجع الناس، وأكملهم شجاعة هو إمامهم محمد ﷺ، وقد ظهرت شجاعته في المعارك الكبرى التي قاتل فيها ومنها على سبيل المثال:

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ٦/ ١٠٥، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ٣/ ١٤٠١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٣) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، ٣/ ١٣٦٢.

(٤) سورة النساء، الآية ٧٨.

(أ) شجاعته البطوليّة الفذّة في معركة بدر، قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: (لقد رأيْتُنَا يوم بدرٍ ونحن نلوذُ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدوّ وكان من أشد الناس يومئذٍ بأسًا)[1]. وقال ـ رضي الله عنه ـ: «كُنا إذا حَمِيَ البأْسُ ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه»[2].

(ب) في معركة أحد قاتل قتالاً بطوليًا لم يُقاتله أحد[3].

(جـ) في معركة حنين: قال البراء: كنّا إذا احمر البأس نتقي به وإن الشّجاع منا للذي يُحاذي به يعني النبي ﷺ[4].

وهكذا أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان فينبغي للمجاهدين أن يقتدوا بنبيهم ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّـمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾[5].

المسلك السابع : الدعاء وكثرة الذكر :

من أعظم وأقوى عوامل النصر الاستغاثة بالله وكثرة ذكره، لأنه القَويّ القادر على هزيمة أعدائه ونصر أوليائه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[6]. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٨٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الإمام الذهبي ٢/ ١٤٣ .

(٣) انظر زاد المعاد ٣/ ١٩٩ .

(٤) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ٣/ ١٤٠١ .

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

(٦) سورة البقرة، الآية ١٨٦ .

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[2]. وقد أمر الله بالذّكر والدعاء عند لقاء العدوّ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]. لأنه سبحانه النصير فنعم المولى ونعم النصير. وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[4]. ولهذا كان النبي، ﷺ يدعو ربه في معاركه ويستغيث به، فينصره ويمدّه بجنوده، ومن ذلك أنه نظر ﷺ يوم بدر إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل ﷺ القبلة ورفع يديه واستغاث بالله، وما زال يطلب المدد من الله وحده مادًّا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: (يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك)، فأنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[5] فأمدّه الله بالملائكة. وهكذا كان ﷺ يدعو الله في جميع معاركه، ومن ذلك قوله: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب [مُجْرِيَ السَّحابِ] [هازِمَ الأحزابِ] اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم»[6]. وكان يقول عند لقاء العدوّ: «اللهم أنت عَضُدِي، وأنت نَصِيرِي، بك أحول، وبك أَصُول، وبك أقاتل»[7]. وكان إذا خاف

---

(١) سورة غافر، الآية ٦٠ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٩ .

(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٥ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٦ .

(٥) سورة الأنفال، الآية ٩ .

(٦) مسلم، كتاب، الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ٣/ ١٣٦٣ .

(٧) أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء، ٣/ ٤٢ والترمذي، كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا، ٥/ ٥٧٢، وانظر صحيح أبي داود ٢/ ٤٩٩ .

قومًا قال: «**اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم**»(١).

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين أُلقِيَ في النار، وقالها محمد حين قال له الناس: «**إن الناس قد جمعوا لكم**»(٢). وهكذا ينبغي أن يكون المجاهدون في سبيل الله ـ تعالى ـ لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم.

ولهذا قال ﷺ: «**لا يردّ القضاء إلا الدّعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»(٣).

المسلك الثامن: طاعة الله ورسوله ﷺ:

طاعـة الله ورسوله من أقوى دعائم وعوامل النصر، فيجب على كل مجاهـد في سبيل الله ـ تعالى ـ بل على كل مسلم أن لا يعصي الله طرفة عين، فما أمر الله ـ تعالى ـ به وجب الائتمار به، وما نهى عنه تعالى وجب الابتعاد عنه. ولهذا قال تعالى: ﴿**وأَطِيعُوا ٱللَّهَ ورَسُولَهُۥ**﴾(٤). وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ**﴾(٥). ﴿**وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَـهُۥ فَقَـدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًـا**﴾(٦). وقال تعالى: ﴿**فَلْيَحْـذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ**

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا خاف قومًا، ٢/ ٨٩ وأحمد ٤/ ٤١٤، وانظر: صحيح أبي داود، ١/ ٢٨٦.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾، ٨/ ٢٢٩.

(٣) الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء ٤/ ٤٤٨، وانظر صحيح الترمذي ٢/ ٢٢٥، والأحاديث الصحيحة برقم ١٥٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٥) سورة النور، الآية ٥٢.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

أليم﴾[1]. وقال ﷺ: «... وجُعِلَ الذلُّ والصّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم»[2].

المسلك التاسع: الاجتماع وعدم النزاع:

يجب على المجاهدين أن يُحقِّقوا عوامل النّصر ولا سيما الاعتصام بالله والتّكاتف، وعدم النزاع والافتراق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3]. وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[5].

المسلك العاشر: الصبر والمصابرة:

لا بدّ من الصّبر في الأمور كلّها ولا سيما الصّبر على قتال أعداء الله ورسوله. والصّبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله التي هي من عوامل النصر، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6]. ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[7]. وجاء عنه ﷺ «واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣.
(٢) أحمد، ٢/ ٩٢، والبخاري مع الفتح معلقًا ٦/ ٩٨، وانظر صحيح الجامع الصغير ٣/ ٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
(٥) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.
(٧) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

يسرًا»[1]. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ. فَـَٔاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

المسلك الحادي عشر: الإخلاص لله تعالى:

لا يكون المقاتل والغازي مجاهدًا في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[3] الآية. وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]. وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! الرجل يُقاتل للمغنم، والرّجل يُقاتل للذِّكْر[5]. والرجل يُقاتل ليُرىَ مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العُليا فهو في سبيل الله»[6]، وقد ثبت عنه ﷺ أن أول من يُقضى عليه يوم القيامة ثلاثة، وذكر منهم من قاتل ليُقال: هو جرىء ـ أي شجاع[7].

---

(١) مسند الإمام أحمد، ١/ ٣٠٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٥) أي ليذكر بين الناس ويشتهر بالشجاعة. انظر فتح الباري ٦/ ٢٨.

(٦) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمته هي العليا، ٦/ ٢٨، ومسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ٣/ ١٥١٣.

(٧) انظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ٣/ ١٥١٤.

مما يُعين على النّصر على الأعداء هو الطّمع في فضل الله وسعادة الدنيا والآخرة، ولهذا نصر الله نبيه ﷺ وأصحابه من بعده، ومما يدلّ على الرغبة فيما عند الله تعالى ما يأتي:

(أ) ما فعل عُمير بن الحمام في بدر حينما قال ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض**». فقال يا رسول الله جنّة عرضها السمٰوات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بَخٍ بَخٍ[1] فقال ﷺ: «**ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ؟**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**». فأخرج تمرات من قرنه[2] فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[3].

(ب) ما فعل أنس بن النضر ـ عمّ أنس بن مالك ـ يوم أحد. تأخر ـ رضي الله عنه ـ عن معركة بدر، فشقّ عليه ذلك وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، وإن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع[4]. فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فاستقبل سعد ابن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو واهًا لريح الجنة[5] أجده دون أحد فقاتلهم حتى قُتل، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فما عرفته أخته ـ الربيع بنت النّضر ـ إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ

---

(١) كلمة تُقال لتعظيم الأمر وتفخيمه في الخير. انظر شرح النووي ١٣/ ٤٥.

(٢) أي جعبة النشاب. انظر شرح النووي ١٣/ ٤٦.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/ ١٥١٠.

(٤) أي ليرى الله ما أصنع. انظر شرح النووي، ١٣/ ٤٨.

(٥) كلمة تحنن وتلهف، انظر: شرح النووي، ٣/ ٤٨.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾[1]. فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه[2].

والمسلم المجاهد في سبيل الله ـ تعالى ـ إذا رغب فيما عند الله، فإنه لا يُبالي بما أصابه رغبة في الفوز العظيم.

فلست أُبالي حين أُقتل مسلمًا على أيِّ جنب كان في الله مَصْرَعِي

المسلك الثالث عشر: إسناد القيادة لأهل الإيمان:

من أسباب النصر تولية قيادة الجيوش، والسّرايا، والأفواج والجبهات لمن عرفوا بالإيمان الكامل والعمل الصّالح والشّجاعة الحكيمة، ثم الأمثل فالأمثل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللهِ أَتْقَـٰكُمْ﴾[3]. والله ـ عز وجل ـ يُحبُّ أهل التَّقوى، ومحبّته ـ سبحانه ـ للعبد من أعظم الأسباب في توفيق عبده وتسديده ونصره على أعدائه قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْـمُتَّقِينَ﴾[4].

المسلك الرابع عشر: التحصن بالدعائم المنجيات:

إنّ العباد لهم منجيّات، ودعائم تُنجّيهم من المهالك والهزائم إذا حلّت بهم، وهذه الأمور هي من أعظم العلاج لمن أُصيب بالمهلكات أو الحروب والأوبئة، وهي كذلك وقاية من حلول المصائب قبل نزولها، وتتلخصّ في اتّباع الدعائم المنجيّات الآتية:

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب قول الله ـ عز وجل ـ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، ٦/ ٢١، و٧/ ٣٥٥، ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/ ١٥١٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧٦.

(أ) التوبة والاستغفار من جميع المعاصي والذنوب كبيرها وصغيرها، ولا تقبل التوبة إلا بشروط:

١ ـ الإقلاع عن جميع الذنوب وتركها.

٢ـ العزيمة على عدم العودة إليها.

٣ ـ النّدم على فعلها. فإن كانت المعصية في حقّ آدمي فلها شرط رابع وهو التّحلل من صاحب ذلك الحقّ. ولا تنفع التوبة عند الغرغرة، أو بعد طلوع الشمس من مغربها. ولا شكّ أن التّوبة النّصوح والاستغفار من أعظم وسائل النّصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

(ب) تقوى الله تعالى وهي أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من ربه ومن غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك. وهي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

(ج) أداء جميع الفرائض وإتباعها بالنوافل، لأن محبّة الله لعبده تحصل بذلك.

(د) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر أو ليُوشِكَنّ الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ثم لتدْعُنّه فلا يستجيب لكم**»[3]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

(٣) الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤/ ٤٦٨، وأحمد واللفظ له، ٥/ ٣٨٨، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٣٣.

ذُكِّرُواْ بِهِ أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[1].

(هـ) الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع الاعتقادات، والأقوال والأفعال.

(و) الدعاء والضّراعة إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٥ .

المبحث الثاني :
حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسلمين

المطلب الأول : أسباب استخدام القوة مع عصاة المسلمين .

المطلب الثاني : الكلمة القوية والفعل الحكيم .

المطلب الثالث : التهديد الحكيم والوعيد بالعقوبة .

المطلب الرابع : حكمة القوة بالعقوبات الشرعية .

المطلب الأول : أسباب استخدام القوة مع عصاة المسلمين :

كما أنّ من الحكمة في الدعوة إلى الله استخدام القوّة مع الكفّار عند الحاجة إليها، فكذلك تستخدم مع من يحتاجها من المسلمين الذين لم ينتفعوا بالمواعظ من التّرغيب والتّرهيب، ولم يستفيدوا من حكمة القول التصويرية : من ضرب الأمثال، ولفت الأنظار إلى الصور المعنويّة كصفات المؤمنين وآثارها، ولفت الأنظار والقلوب إلى الآثار المحسوسة، كالأمر بالسّير في الأرض، والنّظر فيما حلّ بالمكذبين من الدّمار والهلاك.

فإذا لم يُؤثّر ما تقدّم في عُصاة المؤمنين فإن استخدام القوّة حينئذٍ من الحكمة، لأنّ القوّة كالعمليّة الجراحية للمريض إذا لم ينفع في علاج مرضه غيرها، فتستخدم عند الحاجة إليها بشرط الالتزام بالشروط والضّوابط الشّرعيّة.

واستخدام القوة في هذه المرحلة يتنوع ويختلف باختلاف الداعية والمدعو، والأحوال والأزمان والأماكن، وإمكانية استخدام القوة مع أمن الوقوع في المفاسد؛ فإن النبي ﷺ شرع لأمته الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، وإيجاب إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله؛ فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شرٍ وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا : أفلا نقاتلهم؟ فقال : **«لا ما**

أقاموا الصلاة»[1]، وقال: **«من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر [ولا ينزعنّ يدًا من طاعة]»**[2] ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته، فتولَّد منه ما هو أكبر منه وأنكر؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يترك بعض الأمور المختارة، ويصبر على بعض المفاسد خوفًا من أن يترتب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولهذا لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على نقض بناء البيت وردِّه على قواعد إبراهيم، ولكن منعه من ذلك ـ مع قدرته عليه ـ خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لَمْ يأذن في قتل عبدالله ابن أبيّ، ولم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد، لما يترتب على ذلك من وقوع ما هو أعظم منه[3].

(١) مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، ٣/ ١٤٨٢، وأحمد بلفظه، ٣/ ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ٣/ ١٤٧٧، وباب خيار الأئمة وشرارهم، ٣/ ١٤٨٢، واللفظ من الموضعين.

(٣) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم، ٣/ ١٥ ـ ١٦، وشرح النووي، ١٦/ ١٣٩ .

المطلب الثاني : الكلمة القوية والفعل الحكيم :

١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ[١].

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ مرّ على صُبْرَةِ طعـام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «**ما هذا يا صاحب الـطعـام؟**» قال: أصـابته السماء يا رسول الله، قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس مِنِّي**»[٢].

٣ ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها اشترت نمرقة[٣] فيها تصاوير فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله ماذا أذنبت؟ قال: «**ما هذه النمرقة؟**» قلت: لتجلس عليها وتوسدّها قال: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيُوا ما خلقتم! وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة**»[٤].

٤ ـ وعنها ـ رضي الله عنها: قدم رسول الله، ﷺ من سفر وقد سترت بقرامٍ لي[٥] على سهوةٍ[٦] فيها تماثيل[٧] فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه، وقال:

---

(١) مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ٣/ ١٦٥٥.
(٢) مسلم. كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: من غشنا فليس منا ١/ ٩٩.
(٣) النّمْرُقه: قيل: هي الوسائد التي يضم بعضها إلى بعض، وقيل: هي الوسائد التي يجلس عليها. انظر: الفتح ١٠/ ٣٣٩، وشرح النووي ١٤/ ٩٠.
(٤) البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، باب من كره القعود على الصورة، ١٠/ ٣٨٩.
(٥) القرام: ستر فيه رقم ونقش. انظر: شرح النووي ١٤/ ٨٨، وفتح الباري ١٠/ ٣٨٧.
(٦) قيل بيت صغير علقت عائشة ـ رضي الله عنها ـ الستر على بابه، وقيل: الكوة، وقيل: الرف. ورجح القول الأول الحافظ في فتح الباري ١٠/ ٣٨٧. وانظر شرح النووي ١٤/ ٨٨.
(٧) التصاوير. انظر: الفتح ١٠/ ٣٨٧، وشرح النووي ١٤/ ٨٨.

«إن أَشَـدّ الناس عذابًا يومَ القيامةِ الذين يُضَاهُون بخلق الله». قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين[1].

٥ ـ وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينما النبي ﷺ يصلِّي رأى في قبلة المسجد نُخامةً فحكّها بيده، فتغيَّظ ثم قال: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنَّ الله حيال وجهه فلا يتنخمنَّ حيال وجهه في الصلاة»[2]

فهذه كلمات حكيمة قوية مُؤثّرة تصحبها الحكمة الفعلية، وما ذلك إلا لأن النبي ﷺ أسوة الدعاة إلى الله، فقد قال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3].

٦ ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أنْ تُنتهك حُرمةُ الله فينتقم لله بها»[4].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، باب ما وُطىء من التصاوير، ١٠/ ٣٨٧، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم صور الحيوان وما فيه صور غير ممتهنة ٣/ ١٦٦٧.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ١٠/ ٥١٧.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ٦/ ٥٦٦، ١٢/ ٨٦، ١٨٦.

المطلب الثالث: التهديد الحكيم والوعيد بالعقوبة:

قال ﷺ: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتُقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأُحرِّق عليهم بيوتهم بالنار»[1].

وفي هذا الحديث التّخويف بتقديم الوعيد والتّهديد على العقوبة، والسرّ في ذلك - والله أعلم - أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزّجر اكتُفِيَ به عن الأعلى من العقوبة[2]، وهذا من حكمته ﷺ فقد خوّف وزجر عن التّخلُّف عن صلاة الجماعة بهذا الوعيد والهَمّ بالتّعذيب، فللداعية الحكيم القادر أن يستخدم التّخويف بالعقوبة الجائزة شرعًا، أما التّعذيب بالنار فقد نسخ[3].

ولا بد في التهديد والوعيد بالعقوبة من مراعاة الشروط والضوابط الشرعية، والأصول التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذه الشروط والضوابط والأصول تجعل الداعية في سلامة من الزلل، فلا ينكر منكرًا ويقع ما هو أنكر منه، ولا يسعى في جلب مصلحة ويفوّت ما هو أعظم منها؛ فإن من أعظم الحكم في الدعوة إلى الله دفع المفاسد وجلب المصالح، فإن تعارضت المصالح والمفاسد دُفعت أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما وجُلبت أعظم المصلحتين بترك أيسرهما[4].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، ٢/ ١٢٥ ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ١/ ٤٥١.

(٢) انظر: فتح الباري ٢/ ١٣٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٣٠، قال ﷺ: «إن النار لا يعذب بها إلا الله» البخاري مع الفتح ٦/ ١٤٩.

(٤) انظر: فتح الباري، ١/ ٣٢٥، وشرح النووي، ٣/ ١٩١، وإعلام الموقعين لابن القيم، ٣/ ١٥ - ١٧.

المطلب الرابع : حكمة القوة بالعقوبات الشرعية :

توطئـــة :

قرّر الإسلام العقوبات الشرعيّة على ارتكاب الجرائم؛ ليستوفي المجرم جزاءه، ويُطهَّر من هذه الجريمة، ويرتدع أمثاله من ناحية أخرى، وهذا من أبلغ الحكم، ومن أعـدل الأحكام، ومن أعظم وسائل حفظ الأمن والاستقـرار، وبهـذا حفظ الإسلام لأهله: الدّين، والنّفس، والنّسب، والعرض، والعقل، والمال[1].

والـدعوة إلى الله ـ تعالى ـ. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم ذلك كلّه إلا بتطبيق وتنفيذ العقوبات الشرعيّة، فإن الله يَزَعُ بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن، وذلك واجب على وُلاة الأمور، وذلك يحصل بالعقوبات على ترك الواجبات وفعل المحرمات، ولا يجوز لهم التّهاون في تنفيذها؛ لأنّها من شرع الله، وتعـطيلهـا يُؤدي إلى سخط الله كما يؤدي إلى فساد المجتمـع، فإذا أُقيمت الحـدود ظهـرت طاعـة الله، ونقصت معصيته، وحصل الخير والنّصر، والتّمكين[2]، وتطبيق هذه العقوبات كما أمر الله من حكمة القوة في الدعوة إلى الله ونصر دينه. وسأذكر معظم هذه العقوبات الشرعيّة الحكيمة في عشرة مسالك بإيجاز كالتالي:

المسلك الأول : عقوبة الهجر الحكيم :

من حكمة القوّة في الدّعوة إلى الله هجر من يظهر المنكرات على وجه التّأديب حتي يتوب، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى أنزل الله توبتهم.

---

(١) وهذا يعرف عند أهل الأصول بالضروريات. انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

(٢) انـظر: الحسبة في الإسلام، لابن تيمية، ص ٥٠، وأصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ص ٢٧٢، وعناصر القوة في الإسلام، ص ٥١.

وهـذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم؛ فإنّ المقصود به زجرُ المهجورِ وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كان هجره يضعف الشرّ كان مشروعًا، وإن كان المهجور لا يرتـدع بذلك ولا يرتدع به غيره، بل يزيد الشرّ والهاجر ضعيف وتكون مفسـدة الهجـر راجحـة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض النـاس أنفـع من الهجر، كما كان الهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا ويهجر آخرين[1]، وينبغي أن يُفرّق بين الهجر لِحَقِّ الله وبين الهجر لحق النفس، فالهجر لِحَقِّ الله ـ تعالى ـ مأمور به والثاني منهي عنه.

ولا شك أن الهجـر لحق الله من العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله[2]، وهذا يُفعَل؛ لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله. وهذا يدلّ على أن حكمة القوّة لها الأثر الكبير عند وضعها في موضعها.

ولهذا يجب على وليّ أمر المسلمين ـ وهو الذي ينبغي أن ينصر الدعوة بعد النبي ﷺ ـ أن يعلم بأن إقامة الحدود والعقوبات الشرعيّة رحمة من الله بعباده، وأن يكون قويًا في إقامة الحد لا تأخذه في الله لَوْمَة لائمٍ، ويكون قصـده رحمـة الخلق بكفّ الناس عن المنكرات، ويكون بمنزلة الطبيب الـذي يسقي المريض الدّواء الكريه، فيُدخِل المريض على نفسه المشقّة ويشرب الدواء لينال به الرّاحة والشّفاء[3].

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٢٠٤ ـ ٢٠٧.
(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٨/ ٢٠٨.
(٣) انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٣٢٩.

المسلك الثاني: عقوبة التعزير:

التّعزير هو العقوبة المشروعة على جناية لا حد فيها[1]، وقد اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن التّعزير مشروع في كل معصية ليس فيها حدّ. والمعصية نوعان: ترك واجب أو فعل محرم[2] كما يُستتاب المرتدّ حتى يسلم، فإن تاب وإلا قتل، وكما يُعاقب تارك الزّكاة وحقوق الآدميين حتى يؤدوها[3].

والتعزير أجناس: فمنه ما يكون بالتّوبيخ والزّجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنّفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضّرب؛ فإن كان ذلك لترك واجب مثل الضّرب على ترك الصلاة، أو ترك أداء الحقوق الواجبة مثل: ترك وفاء الدين مع القدرة عليه، أو على ترك ردّ المغصوب، أو أداء الأمانة إلى أهلها فإنه يضرب مرة بعد مرة حتى يُؤدي الواجب ويفرَّق عليه الضرب يومًا بعد يوم، وإن كان الضّرب على ذنب ماضٍ جزاء بما كسب ونَكَالاً من الله له فهذا يفعل منه بقدر الحاجة فقط، وليس لأقله حدّ. أما أكثر التعزير ففيه ثلاثة أقوال وأعدلها أنه لا يتقدّر بحدّ، لكن إن كان التّعزير فيما فيه مقدّر لم يبلغ به ذلك المقدّر مثل التّعزير على سرقة دون النّصاب لا يبلغ به القطع، والتّعزير على المضمضة بالخمر لا يبلغ به حدّ الشّرب، والتّعزير على القذف بغير الزنا واللواط لا يبلغ به الحدّ[4]. أما حديث **«لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حدّ من حدود الله»**[5] فقد فسره طائفة من أهل العلم بأن المراد بحدود الله ما حُرِّم لحق

(١) انظر: المغني لابن قدامة، ١٢/ ٥٢٣.
(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٣٥/ ٤٠٢.
(٣) انظر: المرجع السابق، ٢٨/ ٣٤٧، والحسبة في الإسلام لابن تيمية، ص ٥٠.
(٤) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ١٠٨، والحسبة في الإسلام لابن تيمية، ص ٥٢.
(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب التعزير والأدب ١٢/ ١٧٥، ومسلم، كتاب الحدود، باب قدر أسواط التعزير ٣/ ١٣٣٢.

الله، ومراد الحديث أن من ضَرَبَ لحق نفسه كضرب الرجل امرأته في النّشوز وكتأديب الأب ولده الصّغير فلا يزيد على عشر جلدات في التأديبات[1]، ثم من لم يندفع فساده في الأرض إلا بالقتل قُتِلَ مثل: المفرِّق لجماعة المسلمين، والداعي إلى البدع في الدين[2].

المسلك الثالث: القصاص:

أوجب الله - تعالى - القصاص في جريمة قتل العمد والاعتداء على الأطراف، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

المسلك الرابع: حد الزنا واللواط:

(أ) الزّاني إن كان مُحصنًا؛ فإنّهُ يُرجم بالحجارة حتى يموت كما رَجَم النبي ﷺ ماعزَ بن مالك الأسلمي، ورجم الغامدية، ورجم اليهوديَّيْن ورجم غير هؤلاء، ورجم المسلمون بعده[6].

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/٣٤٨، وفتح الباري ١٢/١٧٨ .

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/١٠٨، ١١٢، ١١٣، ٣٤٨، والحسبة في الإسلام لابن تيمية أيضًا، ص ٥٢ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٨ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٤٥ .

(٥) سورة البقرة، الآية ١٧٩ .

(٦) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣٣٣ .

(ب) وإن كان الزّاني غير مُحصَن؛ فإنه يُجلد مائة جلدة بكتاب الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ويُغَرَّبُ عامًا بسنَّة رسول الله ﷺ[2].

(ج) وأما اللواط فالصّحيح الذي اتفق عليه الصحابة أنه يقتل الإثنان: الأعلى والأسفل. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[3]، ولم يختلف الصّحابة في قتله ولكن تنوعوا فيه[4].

المسلك الخامس: حد القذف:

حفظ الإسلام الأعراض من الاعتداء عليها، وجعل عقوبة القاذف ثمانين جلدة. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ. إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

وهذا الحدّ جاء به الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون؛ فإذا قذف

---

(١) سورة النور، الآية ٢ .

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣٣٣ .

(٣) أخرجه أصحاب السنن: أبو داود، كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، ٤/ ١٥٨، والترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللواط، ٤/ ٥٧، وابن ماجه، كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط، ٢/ ٨٥٦، وانظر: صحيح أبي داود ٣/ ٨٤٤، وصحيح الترمذي، ٢/ ٧٦، وصحيح ابن ماجه، ٢/ ٨٣.

(٤) انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٣٣٥ .

(٥) سورة النور، الآيتان ٤، ٥ .

المحصن بالـزّنا أو اللواط وجب الحدّ على قاذفه، والمحصن هنا هو الحرّ العفيف، وفي باب حدّ الزّنا هو الذي وطيء وطئًا كاملاً في نكاح تامّ[1].

المسلك السادس : حد شرب الخمر :

وحدّ الشرب ثابت بسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنـه ضرب في شرب الخمـر بالجريد والنعال أربعين، وضرب أبـو بكر - رضي الله عنه - في خلافته أربعين، وضرب عمر - رضي الله عنه - في خلافته ثمانين، وكان علي - رضي الله عنه - يضرب مرة أربعين ومرة ثمانين. فمن العلماء من يقول يجب ضرب الثمانين، ومنهم من يقول: الواجب أربعون والزيادة يفعلها الإمام عند الحاجة إذا أدْمَنَ الناس الخمر أو كان الشارب ممن لا يرتدع بدونها، ورجّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[2].

المسلك السابع : حد السرقة :

السّرقـة اعتداء على مال معصوم لا شُبهة له فيه يأخذه خفيةً بشروط معينة منها: أن يكون المال محرزًا، ولا تقلّ قيمته عن ربع دينار، وحينئذ يجب عليه حدّ السّرقة بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

ولا يجوز بعد اكتمال شروط القطع وثبوت الحدّ عليه بالبينة أو بالإقرار

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٨/٣٤٢ .
(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٨/٣٣٦.
(٣) سورة المائدة، الآيتان ٣٨، ٣٩ .

تأخيره لا بحبس ولا مال يُفتدى به ولا غيره بل تُقطع يده اليمنى في الأوقات المعظمة وغيرها[(1)].

المسلك الثامن : حد المحاربين قطاع الطريق :

قُطّاع الطريق هم المحاربون الذين يتعرّضون للناس بالسلاح في الصحراء والطّرقات؛ ليغصبوهم المال مجاهرة بالقوة والقهر وسواء ارتكب هذه الجريمة فرد أو جماعة فإنه يُسمّى بالمحارب[(2)].

والأصل في عقوبتهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَآؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(3)].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في قُطّاع الطّريق: (إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصُلبُوا، وإذا قَتلُوا ولم يأخذوا المال قُتِلوُا ولم يُصْلَبُوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقْتلُواْ قُطّعَت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافُوا السّبيل ولم يأخذوا مالاً نُفُوا من الأرض)[(4)]، وهذا قول كثير من أهل العلم كالشّافعي وأحمد، أما من كان من المحاربين قد قتل فإنه يقتل حدًّا لا يجوز العفو عنه بحال بإجماع العلماء ولا يكون أمره إلى ورثة المقتول بخلاف ما لو قتل رجل رجلاً لعداوة بينهما.

---

(1) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣٢٩ .

(2) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣٠٩، والمغني لابن قدامه ١٢/ ٤٧٤ .

(3) سورة المائدة، الآيتان ٣٣، ٣٤ .

(4) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السرقة، باب قطاع الطريق، ٨/ ٢٨٣، وانظر المغني ١٢/ ٤٧٥، وفتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣١٠ .

أما غير القاتل فمنهم من قال للإمام أن يجتهد فيهم فيقتل من رأى في قتله مصلحة، والقول الأول قول الأكثر[1].

المسلك التاسع: عقوبة المرتد:

المرتدّ هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر بفعل، أو قول، أو اعتقاد، أو شكّ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[2]، وقال ﷺ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[3]، وقال، ﷺ: «**لا يحل دم امرىءٍ مسلم يشهد أن لا إلـه إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيبّ الزّاني، والنّفس بالنّفس، والتّارك لدينه المفارق للجماعة**»[4]، فمن ارتدّ عن الإسلام من الرّجال والنّساء وكان بالغًا عاقلاً استُتِيبَ ثلاثة أيام فإن رجع وإلا قتل بالسّيف[5].

المسلك العاشر: قتال أهل البغي:

جريمة البغي هي خروج جماعة ذات قوّة وشوكة على الإمام يُريدون خلعه بالقوّة والعنف، فعلى الإمام أن يراسلهم فيسألهم ما ينقمون منه فإن ذكروا مظلمة أزالها، وإن ادعوا شبُهة كشفها، فإن رجعوا وإلا قاتلهم وعلى المسلمين القتال مع إمامهم والأصل في هذه الجريمة[6] وعقوبتها قوله

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله، ٦/ ١٤٩، وفي كتاب حكم المرتد ١٢/ ٢٦٧.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿أن النّفس بالنفس﴾، ١٢/ ٢٠١، ومسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، ٣/ ١٣٠٢.

(٥) انظر: المغني لابن قدامة، ١٢/ ٢٦٤، وفتاوى ابن تيمية، ٣٥/ ٩٩-٢٠٦.

(٦) انظر المغني، ١٢/ ٢٣٧، وفتاوى ابن تيمية، ٣٥/ ٥، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص ٢٧٩.

تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وقال، ﷺ: «... ستكون هنّاتٌ وهنّات[2] فمن أراد أن يُفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسّيف كائنًا من كان»[3]. وقال: «من أتاكم وأمْرُكمُ جميع على رجل واحد يُريد أن يشقّ عصاكم أو يُفرِّق جماعتكم فاقتلوه»[4].

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان ٩، ١٠.

(٢) الفتن والأمور الحادثة. انظر شرح النووي ١٢/ ٢٤١.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، ٣/ ١٤٧٩.

(٤) مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، ٣/ ١٤٨٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة على هذه الصّورة، فالفضل والمنّة له أولاً وآخرًا، و ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

بعد هذه الرّحلة المباركة ـ إن شاء الله تعالى ـ التي طُفت من خلالها بمفهوم الحكمة الصّحيح في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وأنواعها، ودرجاتها، وأركانها التي تقوم عليها، ومعاول هدمها، وطرق ومسالك اكتسابها، ومواقف الحكمة في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، التي أعزّ الله بها الإسلام وأهله، وأذلّ بها الكفر والعصيان والنّفاق وأعوانها، وحكمة القول مع أصناف المدعوين على اختلاف عقائدهم وعقولهم وإدراكاتهم ومنازلهم، وحكمة القوة الفعلية مع المدعوين: الكفار، ثم عصاة المسلمين، أقول:

هذا ما منّ الله به، ثم ما وسعه الجهد، وسمح به الوقت، وتوصّل إليه الفهم المتواضع، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن فيه خطأ أو نقص فتلك سنة الله في بني الإنسان، فالكمال لله وحده، والنقص والقصور واختلاف وجهات النظّر من صفات الجنس البشري، ولا أدعي الكمال، وحسبي أني قد حاولت التسّديد والمقاربة، وبذلت الجهد ما استطعت

(١) سورة القصص، الآية ٧٠ .

(٢) سورة سبأ، الآية ١ .

بتـوفيق الله ـ تعـالى ـ، وأسـأل الله أن ينفعني بذلـك، وينفـع به جميع المسلمين؛ فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

أما أهم النتائج التي أعانني الله ويسّر لي التوصل إليها في هذا البحث فمنها ما يلي:

١ ـ إن الحكمة في الدّعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللّين والتّرغيب والرّفق والحلم والعفو والصّفح، بل تشمل جميع الأمور التي عُملت بإتقان وإحكـام، وذلك بأن تنزل في منازلها اللائقة بها، فيوضع القول الحكيم والتّعليم والتّربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظّالم المعاند، والمستكبر في موضعها، والزّجر والغلظة والقوّة في مواضعها، وكلّ ذلك بإحكام وإتقان، ومراعاة لأحوال المدعوين، والواقع والأزمان والأماكن، في مختلف العصور والبلدان، مع إحسان القصد والرّغبة فيما عند الكريم المنان.

٢ ـ إنّ الـدّاعية الحكيم هو الذي يدرس ويعرف أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية والاقتصادية، والاجتماعية، والعلميّة، ويعرف مراكز الضّـلال ومـواطن الانحـراف، وعـاداتهم ولغتهم ولهجاتهم، والإحاطة بمشكـلاتهم، ومستـواهم الجدلي، ونزعاتهم الخلقية، والشّبه التي تعلق بأذهانهم، ثم ينزل الناس منازلهم ويدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم، ويُعْطِي الدّواء على حسب الداء.

٣ ـ إن النبي ﷺ هو القدوة الحسنة للدُّعاة الحكماء، فقد كان يُلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ، وهذا من فضل الله عليه وعلى أتباعه، فقد أرسل جبريل ففرج صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم أفرغ في صدره طستًا من ذهب ممتلىءٍ حكمةً وإيمانًا[(١)]، وأقبل

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، ١/ ٤٥٨، ومسلم ١/ ١٤٨، وتقدم تخريجه.

النـاس، ودخلوا في دين الله أفـواجًـا بفضـل الله ثم بحكمة هذا النبي الكريم، وما من خلق كريم ولا سلوك حكيم إلا كان له منه أوفر الحظّ والنصيب.

٤ ـ إنّ أحسن الطّرق في دعوة الناس ومخاطبتهم ومجادلتهم طريقة القرآن الكـريم، وطريقة النبي ﷺ، وسوق النصّ القرآني والحديث النبوي في ألصق الأمور مساسًا بها من أعظم الحكم التي من أوتيها فقد أوتِيَ خيرًا كثيرًا.

٥ ـ إن الحكمة تجعل الدّاعي إلى الله يُقدّر الأمور ويعطيها ما تستحقه، فلا يزهد في الدنيا والناس في حاجة إلى النّشاط والجدّ والعمل، ولا يدعو إلى الانقطاع والانعزال عن الناس، والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم وأعراضهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصـيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم.

٦ ـ إن البصيرة في الدعوة إلى الله هي أعلى درجات الحكمة والعلم، وهذه الخاصيّة اختصّ بها النبي ﷺ، ثم أصحابه، والمخلصين من أتباعه، وهي أعـلى درجـات العلماء، وحقيقتهـا الدّعوة إلى الله على علم ويقين وبُرهان عقلي وشرعي، وترتكز البصيرة في الدعوة إلى الله على ثلاثة أمور:

(أ) أن يكون الدّاعية على بصيرة، وذلك بأن يكون عالمًا بالحكم الشّرعيّ فيما يدعو إليه.

(ب) وأن يكون على بصيرة في حال المدعو حتى يُقدّم له ما يُناسبه.

(جـ) وأن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة.

٧ ـ إن العلم النافع المقرون بالعمل الصّالح، والحلم والأناة من أعظم

الأسس التي تقوم عليها الحكمة في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، ولهذا فقد يكون المرء عالمًا أو حليمًا، ولا يكون حكيماً حتى يجمع هذه الأسس الثلاثة.

٨ ـ إن العلم والحِلْم والأناة لها أسباب تُؤدي وتوصل إليها، وأسباب تعين على التمسك بها، والمحافظة عليها.

٩ ـ إنّ العلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا باقترانه بالعمل الصالح، وقد كان علم الصّحابة مقرونًا بالعمل والإخلاص والمتابعة، ولهذا كانت أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم ـ في دعوتهم إلى الله وأمورهم ـ تزخر بالحكمة.

١٠ ـ إن العجلة وعدم التّثبت والتأني والتبصر أو التباطؤ والتّقاعس، كل ذلك يؤدي إلى كثير من الأضرار والمفاسد، والداعية أولى الناس بالابتعاد عن ذلك كله، فمقتضى الحكمة أن يعطي كل شيء حقّه، ولا يعجّله عن وقته، ولا يؤخّره عنه، فالأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ونهايات تصل إليها ولا تتعداها، ولها أوقات لا تتقدّم عنها ولا تتأخّر.

١١ ـ إن الحلم من أعظم ركائز الحكمة ومبانيها العظام، وقد كان خلقًا من أخلاق النبوة والرّسالة، فالأنبياء **عليهم الصلاة والسلام** هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله، والصّالحين في أخلاقهم كافة، وعلى رأسهم محمد ﷺ وأتباعه.

١٢ ـ إن الأناة عند الداعية تسمح له بأن يحكم أموره، فلا يُقدم على أي عمل إلا بعد النظر والتأمل ووضوح الغاية الحميدة التي سيجنيها، ولا يَتعجّل بالكلام قبل أن يُديره على عقله، ولا بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمد عليه وبنى عليه فتواه.

فالداعية بحاجة ماسّة إلى الأناة، لما يحصل بذلك من الفوائد الكثيرة،

والكفّ عن شرور عظيمة، وهذا يجعل الداعية بإذن الله ـ تعالى ـ في سلامة عن الزلل.

١٣ ـ إنّ الدّاعية لا يكون حكيمًا في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته وأفكاره وموافقًا للصّواب في جميع أموره إلا بتوفيق الله ـ تعالى ـ له، ثم بسلوك طرق الحكمة، وذلك بالتزام السّلوك الحكيم، والسّياسة الحكيمة مع مراعاة التّسديد والمقاربة والأساليب الحكيمة، وفقه أركان الدعوة، وأن يكون عاملاً بما يدعو إليه مخلصًا متخذًا في ذلك محمدًا ﷺ قدوةً وإمامًا.

١٤ ـ إنّ الخبرات والتّجارب والمران من أعظم ما يُعين الدّاعية على التزام الحكمة واكتسابها، فهو بتجارِبه بالسّفر ومعاشرة الجماهير سيكون له الأثر الكبير في نجاح دعوته، وابتعاده عن الوقوع في الخطأ في منهجه ودعوته إلى الله؛ لأنه إذا وقع في خطأ مرة لا يقع فيه أخرى، فيستفيد من تجاربه وخبراته.

١٥ ـ إن تحرّي أوقات الفراغ والنّشاط والحاجة عند المدعوين وتخولهم بالموعظة والتّعليم من أعظم ما يُعين الدّاعية على استجلاب الناس وجذب قلوبهم إلى دعوته.

١٦ ـ إن المصالح إذا تعارضت أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذّر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهمّ، فيدفع أحد المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما.

١٧ ـ إنّ لتأليف القلوب بالمال والعفو والصّفح والرّفق واللّين والإحسان بالقول أو الفعل أعظم الأثر في نفوس المدعوين.

١٨ ـ إنّ من أعظم الأساليب البالغة في منتهى الحكمة عدم مواجهة الدّاعية أحدًا بعينه عندما يُريد أن يؤدّبه أو يُعاتبه أو يزجره ما دام يجد في

الموعظة العامة كفاية، وذلك إذا كان المدعو المقصود بين جمهور المخاطبين أو يبلغه ذلك، كأن يقول الدّاعية: ما بال أقوام، أو ما بال أناس، أو ما بال رجال يفعلون كذا، أو يتركون كذا.

١٩ ـ إنّ الدّاعية لا يكون حكيمًا في دعوته إلا بفقهه لركائز الدعوة، وذلك: بمعرفة ما يدعو إليه، وما هي الصفات والأخلاق والآداب التي ينبغي أن يلتزم بها الداعية، ومعرفة المدعوين وأصنافهم، والوسائل والأساليب التي تستخدم في نشر الدعوة وتبليغها.

٢٠ ـ إنّ الدّعوة بالمواقف الحكيمة المشرّفة، لها الأثر البالغ في قلوب المدعوين؛ لأنها تدفعهم إلى التّفكرّ والتأملّ، ثم تكون نقطة التحوّل في نظام حياتهم بإذن الله تعالى.

٢١ ـ إن اطلاع الداعية على مواقف النبي ﷺ الحكيمة في عفوه وصفحه، ورفقه وحلمه وأناته، وشجاعته، وجوده وكرمه، وإصلاحه، من أعظم ما يُفيد الدّاعية في حياته، وخاصّة في دعوته إلى الله ـ تعالى ـ.

٢٢ ـ إنّ للصحابة وأتباعهم ومن سار على نهجهم مواقف حكيمة في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ، تدلّ على صدقهم ورغبتهم فيما عند الله ـ تعالى ـ، وتبينّ مدى جهودهم، وتغذّي وتربيّ من اطلع عليها من الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ.

٢٣ ـ إن من أعظم الحكمةِ في دعوة الملحِدين أن تقدّم لهم الأدلّة الفطريّة على وجود الله ـ تعالى ـ وربوبيته، والبراهين العقليّة القطعيّة بمسالكها التفصيليّة، والأدلّة الحسيّة المشاهدة، ثم يختم ذلك بالأدلة الشّرعيّة.

٢٤ ـ إنّ من الحكمة في دعوة الوثنيين بالحكمة القولية أن يُقدِّم لهم الدّاعية الحُجَجَ والبراهين العقليّة على إثبات ألوهيّة الله ـ تعالى ـ، وأنّ

الكمال المطلق له من كل الوجوه، وما عُبِدَ من دونه ضعيف من كل وجه، وأن التّوحيد الخالص دعوة جميع الرّسل **عليهم الصلاة والسلام** والغلوّ في الصّالحين سبب كفر بني آدم، والشّفاعة لا تنفع إلا بإذن الله للشّافع ورضاه عن الشّافع والمشفوع له، وأن البعث ثابت بالأدلّة العقليّة والنقليّة القطعيّة، وأن الله الذي سخّر جميع ما في هذا الكون الفسيح لعباده فهو في الحقيقة المستحقّ للعبادة وحده.

٢٥ ـ إنّ دعوة اليهود بالحكمة القولية إلى الله ـ تعالى ـ ترتكز على إثبات نسخ الإسلام لجميع الشّرائع، وإظهار وإثبات وقوع التّحريف في التّوراة، واعتراف المنصفين من علمائهم، وإثبات رسالة عيسى ومحمد، **عليهما الصلاة والسلام**.

٢٦ ـ إنّ دعوة النّصارى بالحكمة القوليّة إلى الإسلام تَقومُ على إبطال عقيدة التّثليث، وإثباتِ وحدانية الله ـ تعالى ـ، وتقديم الأدلّة العقليّة والبراهين القطعيّة على إثبات بشريّة عيسى ﷺ، وأنه عبد الله ورسوله، ثم تقديم البراهين على إبطال قضيّة الصّلب والقتل، وإثبات وقوع النّسخ والتّحريف في الأناجيل، وتتويج ذلك بالاعترافات الصّادقة من المنصفين من علماء النّصارى.

٢٧ ـ إنّ من حكمة القول مع أهل الكتاب وغيرهم من الكُفّار أن تُقدَّم لهم الأدلّة والبراهين القطعيّة على صدق رسالة النبي محمد ﷺ، وذلك ببيان معجزات القرآن الكريم التي عجز عنها جميع الجنّ والإنس، ومعجزات النبي ﷺ الحسيّة المشاهدة، ثم تتويج ذلك بالأدلّة القطعيّة على عموم رسالة الإسلام في كل زمانٍ ومكانٍ إلى قيام السّاعة.

٢٨ ـ إنّ من مُقتضى العقولِ السليمةِ والحكمة السّديدة أن لا يُخاطب المسلم ـ في توجيهه وإرشاده وحثّه على الالتزام بدينه ـ كما يخاطب الملحد، أو الوثني، أو الكتابي، وأو غيرهم من الكفّار.

٢٩ ـ إنّ من الدّعوة إلى الله بالحكَمة أن يبدأ الدّاعية بالمهم، ثم الذي يليه، وأن يجعل للمدعو من الدروس ما يسهل عليه حفظها وفهمها، والتفكرّ التام فيها، وأن يُعلّم العوامّ ما يحتاجون إليه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم تناسب مستواهم مع مراعاة التنويع في الأسلوب والتشويق.

٣٠ ـ إن مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر، فالقابل للحق يُدعى بالحكمة، فيبيَّن له الحق بدليله: علمًا وعملاً واعتقادًا، فيقبله ويعمل به. وهذا هو القسم الأول من المسلمين، والقابل للحق الذي عنده شهوات تصده عن اتباع الحق يُدعى بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، ويُغَذَّى بالحكمة التصويرية: من القصص الحكيم، وضرب الأمثال، ولفت القلوب والأنظار إلى الصور المعنوية وآثارها، والآثار المحسوسة. وهذا هو القسم الثاني من المسلمين وهم العصاة.

والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن.

والظالم الذي عاند وجحد ولم يقبل الحق بل وقف في طريقه، فهذا يُدعى بالقوة إن أمكن.

فهذه مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر، ويلاحظ أن مرتبة الحكمة ملازمة لجميع المراتب الأخرى، وذلك؛ لأن الحكمة في الحقيقة هي وضع الشيء في موضعه والإصابة في الأفعال والأقوال والاعتقادات إصابة محكمة متقنة.

٣١ ـ إن استخدام القوة الفعلية في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ من أعظم الحكم عند الحاجة إليها، وهي تكون بقوة الكلام، والتأديب، وبالضرب، وبالجهاد في سبيل الله تعالى.

ومفهوم القوة الحكيمة في الدعوة إلى الله تعالى ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : حكمـة القـوَّة مع جميع الكفَّـار: من الملحـدين، والوثنيين، وأهل الكتاب، وغيرهم من الكفار، فهؤلاء إذا لم ينفع فيهم جدالهـم بالتي هي أحسن، ولم يستفيدوا من حكمـة القـول: العقلية والحسية، والنقلية، والبراهين والمعجزات، وأعرضوا وكذبوا، فحينئذٍ يكون آخـر الطب الكي: وهو استخدام القوة بالجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ: بالسيف، والسنان، والحجة، والبيان، وبجميع ما يستطيع المسلمون من قوة، بشرط مراعـاة الشروط والضـوابط الشرعية، مع الإعـداد المعنوي والحسي للجهاد، والعمل بأسباب النصر على الأعداء.

القسم الثاني : حكمة القوَّة مع عصاة المسلمين، فهؤلاء، إذا لم ينفع فيهم الوعظ، والترغيب، والترهيب، والقصص الحكيم، وضرب الأمثال، ولم يؤثر فيهم ما يُلقى إليهم من الحكمة التصويرية، ولفت أنظارهم إلى الصور المعنوية والآثار المحسوسة، فحينئذٍ يكون من الحكمة في دعوتهم إلى الله استخدام القوة: بالكلمة القوية مع الفعل الحكيم، وبالتهديد الحكيم والوعيد بالعقوبة، وبالتعزير، والهجر لله ـ تعالى ـ، وإقامة الحدود الشرعية بالشروط والضوابط التي دل عليها الكتاب والسنة.

أما التوصيات والمقترحات :

١ ـ فإني أوصي نفسي وإخواني الباحثين والدعاة بتقوى الله ـ تعالى ـ، فهي وصية الله للأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ . . .﴾[1].

٢ ـ التزام الحكمة في جميع الأمور، وخاصّة في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ قولاً وفعلاً، وتفكيراً، ومنهجًا، وسلوكًا، صدقًا وإخلاصًا ورغبةً فيما عند الله ـ عز وجل ـ، وهذا من أعظم العطايا وأجلّ الهبات، ولا يكون ذلك إلا بالتزام أحكام القرآن الكريم والسنة المطهّرة الشّريفة، والعناية بهما حفظًا وفهمًا وعملاً، وتعليمًا للناس ودعوة، فهما المنبعان الصّافيان، من أخذ بهما سعد وفاز في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنهما وعن هديهما خاب وخسر وضلّ مسعاه، وتشتّتَ شمله.

٣ ـ أقترح عقد دورات تدريبيّة علميّة وميدانيّة للعاملين في مراكز الدّعوة ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لرفع مستواهم العلمي وتدريسهم كيفية دعوة الناس بالحكمة.

وأسأل الله ـ عز وجل ـ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلني وإياهم وجميع المسلمين من القائلين بالحقّ وبه يعملون، وأن يُحسن لنا جميعًا النيّة والقصد والعاقبة، إنه حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٣١ .

الفهـارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

سورة النساء

سـورة المـائـدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

ســورة الأنفــال

ســورة التــوبــة

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

ســورة الأنبيــاء

ســورة الحــج

ســورة المؤمنــون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

ســـورة الـــروم

ســـورة لقمـــان

ســـورة الســـجدة

ســـورة الأحـــزاب

ســورة فصــلت

ســورة الشــورى

ســورة الـزخــرف

ســورة الدخـــان

ســورة الجاثيــة

ســورة الأحقــاف

ســورة الصـف

ســورة الجمعـة

ســورة المنافقــون

ســورة التغـابـن

ســورة الطــلاق

ســورة التحــريم

ســورة الملـك

ســورة القـلـم

ســورة نــوح

٢ ـ فهـرس الأحـاديث والآثـار

طـرف الحـديث أو الأثـر | **الصفحة**

- ب -

- ت -

- ج -

- ح -

- ق -

- ك -

- لا -

- ي -

٣ ـ فهـرس الأبيـات الشـعريـة

- ن -

- و -

- م -

- ي -

٤ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	الصفحة
ـ أ ـ	
١ - أحمد بن إبراهيم بن النحاس	٥٠٦
٢ - أحمد بن أبي دؤاد	٢٩١
٣ - أحمد بن عبدالحليم (شيخ الإسلام ابن تيمية)	٣٠٧
٤ - أحمد بن علي بن أحمد ابن الرفاعي	٣١٥
٥ - أحمد بن محمد بن حنبل (الإمام)	٢٨٩
٦ - إسحاق بن إبراهيم	٢٩٢
٧ - إسماعيل بن يحيى المزني	٢٨٨
٨ - أيوب ابن الملك الكامل (الملك الصالح)	٣٠٦
ـ ج ـ	
٩ - جعفر بن محمد (المتوكل)	٢٩٤
ـ ح ـ	
١٠- الحجاج بن يوسف الثقفي	٢٦٦
١١- الحسن بن يسار البصري	٢٦٨
ـ ز ـ	
١٢- زيد الخيل بن مهلهل الطائي	٥٨
ـ س ـ	
١٣- سعيد بن المسيب	٢٦٦
١٤- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	١٢٢
١٥- سفيان بن عيينة	٤٨
١٦- سليمان بن عبدالملك	٢٧٢
ـ ص ـ	
١٧- صبيغ بن عسل الحنظلي	٢٨٧

- ع -

- غ -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

٥ ـ فهرس المصادر والمراجع

ـ أ ـ

١ ـ *القرآن الكريم* .

٢ ـ *أثر تطبيق الحدود في المجتمع*،
من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٣٩٦هـ ، طبع وتوزيع جامعة الإمام.

٣ ـ *أحكام القرآن*،
لأبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي، ت ٥٤٣هـ ، تحقيق علي بن محمد البجاوي، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤ ـ *أدب الدنيا والدين* ،
لأبي الحسن الماوردي، ت ٤٥٠هـ ، طبعة ١٣٧٤هـ، ميدان الأزهر، مكتبة ومطبعة محمد بن علي صبيح وأولاده.

٥ ـ *الأدب المفرد* ،
للإمام البخاري: محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية.

٦ ـ *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم* ،
لأبي السعود، بدون تاريخ، دار الفكر.

٧ ـ *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل* ،
محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

٨ ـ *أسس الدعوة وأدب الدعاة*،
الدكتور/ محمد الوكيل، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، دار الوفاء، ودار المجتمع، جدة.

٩ ـ *أصول الدعوة* ،
الدكتور/ عبدالكريم زيدان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ، مكتبة المنار الإسلامية.

١٠ ـ *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن* ،
محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ت ١٣٩٣هـ، الطبعة ١٤٠٣هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

١١ ـ *إظهار الحق* ،
رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني، ت ١٣٠٨هـ، بتحقيق عمر الدسوقي، بدون تاريخ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٢ ـ *أعلام المسلمين* ،
خالد البيطار، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة المنار.

١٣ ـ *أعلام المسلمين* ،
«أبو حنيفة النعمان»، تأليف/ وهبي سليمان غاوجي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، دار القلم، دمشق.

١٤ ـ *أعلام المسلمين* ،
«مالك بن أنس، إمام دار الهجرة»، لعبد الغني الدقر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، دار القلم.

١٥ ـ *أعلام المسلمين* ،
«الإمام الشافعي»، لعبد الغني الدقر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، دار القلم.

١٦ ـ *أعلام المسلمين*،
«سعيد بن المسيب ـ سيد التابعين»، الدكتور/ وهبة الزحيلي، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار القلم.

١٧ ـ *إعلام الموقعين عن رب العالمين* ،
شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة ١٤٠٧هـ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٨ ـ *أعلام النبوة* ،
لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ت ٤٥٠هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩ ـ *إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان* ،
لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم، ت ٧٥١هـ، بتحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، مكتبة حميدو، الإسكندرية.

٢٠ - *إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الدعوة والدولة*،
أحمد القطان، ومحمد الزين، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، بمراجعة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، مكتبة السندس، الكويت.

٢١ - *أمثال القرآن الكريم*،
محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، تحقيق الدكتور/ ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، دار مكة للطباعة والنشر.

٢٢ - *أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية*،
محمد بن إبراهيم الشيباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

٢٣ - *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*،
لأبي بكر جابر الجزائري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، بدون دار نشر.

٢٤ - *الأجوبة المفيدة لمهات العقيدة*،
الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، مكتبة دار الأرقم، الكويت.

٢٥ - *الأخلاق الإسلامية وأسسها*،
عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار القلم، دمشق، بيروت.

٢٦ - *الإسلام يتحدى*،
وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، بدون تاريخ، دار المختار الإسلامي.

٢٧ - *الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية*،
لعبدالعزيز بن محمد السلمان، الطبعة العاشرة، ١٤٠٠هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٨ - *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد*،
للدكتور/ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

٢٩ - *الإصابة في تمييز الصحابة*،
لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ، دار صادر، وبهامشه الاستيعاب لمعرفة الأصحاب، لابن عبدالبر، ت ٤٦٣هـ.

٣٠ - *الأعـلام العلية في مناقب ابن تيمية*،
لعمر بن علي البـزار، ت ٧٤٩هـ، تحقيق زهـير الشـاويش، الـطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي.

٣١ - *الأعـلام*،
خير الدين الزِرِكْلي، بدون تاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٣٢ - *الإمام محمد بن عبدالوهاب، دعوته وسيرته*،
عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

٣٣ - *الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر*،
لأبي بكر الخلال، بتحقيق، عبدالقادر أحمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٣٤ - *الإنجيل دراسة وتحليل*،
الدكتور/ محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

٣٥ - *الإيمـــان*،
عبدالمجيد بن عزيز الزنداني، ومجموعة من العلماء، بدون تاريخ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

- ب -

٣٦ - *بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب*،
الطبعة الأولى، بدون تاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٧ - *البداية والنهـايـة*،
لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت ٧٧٤هـ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

٣٨ - *البرهان في علوم القرآن*،
بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، ت ٧٩٤هـ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار الفكر.

- ت -

٣٩ - *تاج العروس من جواهر القاموس*،
محمد مرتضى الزبيدي، بدون تاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٤٠ - *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*،
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ٧٤٨هـ، (قسم السيرة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين)، تحقيق الدكتور/ عمر بن عبدالسلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي.

٤١ - *تاريخ الأمم والملوك*،
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٢ - *تاريخ الخلفاء*،
لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بدون تاريخ، وبدون دار نشر.

٤٣ - *تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس*،
عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي ابن الفارض، توفى عام ٤٠٣هـ، بدون تاريخ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٤٤ - *تاريخ نجد، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام*،
لحسين بن غنام، بتحقيق الدكتور/ ناصر الدين الأسد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، مطابع شركة الصفحات الذهبية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٥ - *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*،
لأبي العُلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، ت ١٣٥٣هـ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٤٦ - *تذكرة الدعاة*،
البهي الخولي، الطبعة السادسة، ١٣٩٩هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

٤٧ - *تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار*،
محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، بيروت، لبنان.

٤٨ - *تفسير القرآن العظيم*،
لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ، الطبعة ١٤٠٧هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤٩ - *تفسير البغـوي، المسمى معالم التنزيل*،
لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦هـ، تحقيق خالد بن عبدالرحمن العك، ومروان سوار، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٠ - *تفسير البحر المحيط*،
لأبي عبـدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، ت ٧٥٤هـ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، دار الفكر.

٥١ - *تفسـير المراغـي*،
أحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، دار الفكر.

٥٢ - *تفسـير النسـفي*،
عبـدالله بن أحمـد بن محمـود النسفي، ت ٧٠١هـ، بدون تاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٣ - *تقـريب التهـذيب*،
أحمـد بن علي بن حجـر العسقـلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد عوامة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الرشيد، سوريا، حلب.

٥٤ - *تنبيـه الغافلـين* ،
أحمد بن إبراهيم النحاس، ت ٨١٤هـ، تحقيق عماد الدين عباس، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥ - *تهـذيب التهـذيب*،
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، دار الفكر.

٥٦ - *تيسـير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*،
عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، الطبعة ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥٧ ـ *التاريخ الإسلامي*،
محمود شاكر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٨ ـ *التخويف من النار*،
لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، ٧٩٥هـ، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، مكتبة المؤيد، ومكتبة دار البيان.

٥٩ ـ *الترغيب والترهيب من الحديث الشريف*،
عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ت ٦٥٦هـ، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ، دار إحياء التراث العربي.

٦٠ ـ *التفسير القيم لابن القيم*،
محمد بن أبي بكر، ت ٧٥١هـ، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦١ ـ *التفسير الكبير*،
لمحمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، ت ٦٠٤هـ، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢ ـ *التفسير والمفسرون*،
الدكتور/ محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ، دار الكتب الحديثة بمصر.

٦٣ ـ *التوراة ، دراسة وتحليل* ،
الدكتور/ محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

ـ ج ـ

٦٤ ـ *جامع البيان في تفسير القرآن* ،
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦٥ ـ *جامع بيان العلم وفضله* ،
لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، ت ٤٦٣هـ، بدون تاريخ، المكتبة العلمية، بيروت.

٦٦ - *جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ*،
لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، ت ٦٠٦هـ، بتحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، دار الفكر.

٦٧ - *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم*،
لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٦٨ - *الجامع لأحكام القرآن الكريم*،
لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٩ - *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*،
لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٧٠ - *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*،
لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، بتحقيق يوسف بن علي بدوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

- ح -

٧١ - *حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح*،
الإمام محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، طبعة ١٤٠٨هـ، المكتبة العصرية، لبنان.

٧٢ - *حاشية ثلاثة الأصول*،
لمحمد بن عبدالوهاب، بقلم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ت ١٣٩٢هـ، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ، بدون دار نشر.

٧٣ - *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*،
لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ت ٤٣٠هـ، بدون تاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٤ - *حياة شيخ الإسلام ابن تيمية*،
محمد بهجة البيطار، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

٧٥ - *حياة الصحابة*،
محمد بن يوسف الكاندهلوي، بتحقيق نائف العباس ومحمد علي دولة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ، دار القلم، دمشق، بيروت.

٧٦ - *الحسبة في الإسلام*،
لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، توفى ٧٢٨هـ، بتحقيق سيّد بن محمد، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

٧٧ - *الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية*،
عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية.

٧٨ - *الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى*،
الدكتور/ محمد ربيع المدخلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة لينة.

- د -

٧٩ - *درء تعارض العقل والنقل*،
لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، ت ٧٢٨هـ، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٨٠ - *دقائق التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية*،
جمع الدكتور/ محمد السيد الجليند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، مؤسسة علوم القرآن الكريم، بيروت، ودار القبلة، جدة، المملكة العربية السعودية.

٨١ - *دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية*،
عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، مطابع الفرزدق التجارية، بالرياض، المملكة العربية السعودية.

٨٢ - *ديوان أبي تمام*،
بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار المعارف بمصر.

٨٣ - *ديوان الشافعي*،
ت ٢٠٤هـ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة المعارف.

٨٤ - *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*،
جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ت ١٣٩٢هـ، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٨٥ - *الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية*،
المحامي صبحي محمصاني، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار الملايين، بيروت.

٨٦ - *الدعوة إلى الله*،
توفيق الواعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

- ر -

٨٧ - *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*،
لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، ت ١٢٧٠هـ، الطبعة ١٤٠٨هـ، بدون تاريخ، دار الفكر.

٨٨ - *الرحيق المختوم*،
صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار القلم، بيروت، لبنان.

٨٩ - *الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة*،
عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، طبعة ١٤٠٥هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- ز -

٩٠ - *زاد المسير في علم التفسير*،
لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، ت ٥٩٦هـ، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ، المكتب الإسلامي.

٩١ - *زاد الداعية إلى الله*،
محمد بن صالح العثيمين، بدون تاريخ، مطابع المدينة بالرياض، المملكة العربية السعودية.

٩٢ - *زاد المعاد في هدي خير العباد*،
للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

٩٣ ـ *الزهـــــد* ،
للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، تحقيق محمد السعيد بسيوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ س ـ

٩٤ ـ *سبل السلام شرح بلوغ المرام*،
لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، ت ١١٨٢هـ، بدون تاريخ، مكتبة عاطف، بجوار الأزهر.

٩٥ ـ *سلسلة مدرسة الدعاة*،
عبدالله ناصح علوان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، دار السلام، القاهرة، وحلب.

٩٦ ـ *سلسلة الأحاديث الصحيحة*،
محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

٩٧ ـ سنن *أبي داود*،
سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بدون تاريخ، دار الفكر.

٩٨ ـ سنن *النسائي*،
أحمد بن شعيب، ت ٣٠٣هـ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، وحاشية السندي، ت ١١٣٨هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، بيروت، ومكتبة المطبوعات الإسلامية، بحلب.

٩٩ ـ سنن *الترمذي*،
لأبي عيسى بن سورة، ت ٢٧٩هـ، بتحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

١٠٠ـ سنن *ابن ماجه*،
محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي.

١٠١ـ سنن *الدارمي*،
عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ت ٢٥٥هـ، طبعة ١٤٠٤هـ، بتحقيق عبدالله بن هاشم اليماني، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٢- *سنن البيهقي*،
أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، ت ٤٥٨هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٠٣- *سنن الدارقطني*،
علي بن عمر الدارقطني، ت ٣٨٥هـ، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لمحمد شمس الحق العظيم أبادي، تحقيق عبدالله هاشم يماني، بدون تاريخ، دار المحاسن للطباعة والنشر، القاهرة، والمدينة المنورة.

١٠٤- *سير أعلام النبلاء*،
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٦هـ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٠٥- *سيرة النبي ﷺ*،
لأبي محمد عبدالملك بن هشام، ت ٢١٣هـ، وقيل ٢١٨هـ، راجعه وضبطه محيي الدين عبدالحميد، بدون تاريخ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٦- *سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الزاهد*،
لعبدالرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٧هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٧- *السيرة النبوية دروس وعبر*،
الدكتور/ مصطفى السباعي، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

١٠٨- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*،
لأبي الفلاح عبدالحيّ ابن العماد الحنبلي، توفى ١٠٨٩هـ، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ش -

١٠٩- *شرح السنة للبغوي*،
لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦هـ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، وزهير الشاويش، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، المكتب الإسلامي.

١١٠- *شرح الإمام النووي على صحيح مسلم*،
تأليف يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١١١- *شـرح العقـيدة الطحـاوية*،
علي بن علي الدمشـقي، ت ٧٩٢هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
١١٢- *شـرح أصـول الإيمـان*،
محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١١٣- *شـرح لمعـة الاعتقـاد*،
عبـدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ، بقلم الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار ابن القيم.
١١٤- *شيخ الإسلام ابن تيمية : جهاده ودعوته وعقيدته*،
أحمد القطان ومحمد الزين، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، مكتبة السندس، الكويت.
١١٥- *الشيخ محمد بن عبدالوهاب : عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية*،
أحمد بن حجر بن محمد آل بو طامي، تقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، الـرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١١٦- *الشـوقيـات*،
شعر أحمد شـوقي، بدون تاريخ، دار العودة، بيروت.

- ص -

١١٧- *صحيح البخـاري*،
أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ، مطبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، سنة ١٣١٥هـ، المكتب الإسلامي، استانبول، تركيا.
١١٨- *صحيـح مسـلم*،
أبـو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١هـ، بدون تاريخ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١١٩- *صحيح سنن أبي داود باختصار السند*،
محمد ناصر الدين الألبـاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.
١٢٠- *صحيح سنن النسائي، باختصار السند*،
محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.

١٢١- *صحيح سنن الترمذي باختصار السند*،
محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي.

١٢٢- *صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند*،
محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

١٢٣- *صحيح الجامع الصغير*،
محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

١٢٤- *صحيح الترغيب والترهيب للمنذري*،
محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي.

١٢٥- *صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العزُّ بن عبدالسلام*، ت ٦٦٠هـ،
بقلم: سليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

١٢٦- *صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم*،
عبدالرحمن بن محمد الدوسري، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، مكتبة دار الأرقم، الكويت.

- ط -

١٢٧- *طبقات الشافعية الكبرى*،
لعبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢٨- *طبقات الحنابلة*،
للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت.

١٢٩- *الطبقات الكبرى*،
لمحمد بن سعد، ت ٢٣٠هـ، بدون تاريخ، تصوير بيروت، دار صادر.

- ع -

١٣٠- *عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين*،
صالح بن إبراهيم البليهي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، مكتبة ابن تيمية.

١٣١- *عقيدة المؤمن*،
لأبي بكر جابر الجزائري، بدون تاريخ، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٣٢- *علماء نجد خلال ستة قرون*،
عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

١٣٣- *عناصر القوة في الإسلام*،
السيد سابق، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣٤- *عنوان المجد في تاريخ نجد*،
عثمان بن عبدالله بن بشر، بتحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية.

١٣٥- *عون المعبود شرح سنن أبي داود*،
لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، مع شرح ابن القيم بتحقيق عبدالرحمن بن محمد بن عثمان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

- ف -

١٣٦- *فتاوى ورسائل، سماحة الشيخ محمد بن إبرهيم بن عبداللطيف آل الشيخ*،
جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

١٣٧- *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*،
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، مكتبة الرياض.

١٣٨- *فتح القدير الجامع بين فنَّيْ الرواية والدراية من علم التفسير*،
محمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٣٩- *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*،
عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ت ١٢٨٥هـ، بتحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، مكتبة دار البيان، دمشق، بيروت.

١٤٠- *فضل الصلاة على النبي ﷺ*،
إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي، ت ٢٨٢هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي.

١٤١- *فضل الجهاد والمجاهدين*،
للعلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الوطن للنشر.

١٤٢- *فقه الدعوة في إنكار المنكر*،
لعبد الحميد البلالي، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، دار الدعوة، الكويت.

١٤٣- *فقه السيرة*،
لمحمد الغزالي، الطبعة السابعة، ١٩٧٦م، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة.

١٤٤- *فيض القدير بشرح الجامع الصغير*،
محمد بن عبدالرَّءُوف المناوي، ت ١٠٣١هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت لبنان.

١٤٥- *في ظلال القرآن*،
سيد قطب، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

١٤٦- *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*،
أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت ٧٢٨هـ، بتحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.

١٤٧- *الفصل في الملل والأهواء والنحل*،
لأبي محمد علي بن أحمد، ابن حزم الظاهري، ت ٤٥٦هـ، تحقيق الدكتور محمد ابن إبراهيم نصر، والدكتور/ عبدالرحمن بن عميرة، بدون تاريخ، دار الجيل، بيروت.

١٤٨- *الفوائد*،
لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، بتحقيق بشر بن عيون، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.

- ق -

١٤٩- *القاموس المحيط*،
لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٧هـ، بتحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٥٠- *القتال في الإسلام: أحكامه وتشريعاته*،
محمد بن ناصر الجعوان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، بدون دار نشر.

١٥١- *القرآن دراسة وتحليل*،
الدكتور/ محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، مكتبة دار الفلاح، الكويت.

١٥٢- *القول السديد في مقاصد التوحيد (حاشية على كتاب التوحيد لابن عبدالوهاب)*،
لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- ك -

١٥٣- *كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم*،
ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم الحنبلي، ت ٦٣٤هـ، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٥٤- *كتاب أمثال الحديث*،
لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي، ت ٣٦٠هـ، بدون تاريخ، مطبعة الحيدري، حيدر أباد، باكستان.

١٥٥- *كتاب التوحيد*،
عبدالمجيد بن عزيز الزنداني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

١٥٦- *كتاب الداعي إلى الإسلام*،
لكمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي، ت ٥٧٧هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

١٥٧- *كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة*،
عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار القلم، دمشق.

١٥٨- *كيف ندعو الناس*،
لعبد البديع صقر، الطبعة التاسعة، ١٤٠٤هـ، دار التوفيق النموذجية، القاهرة.

١٥٩- *كيف يدعو الداعية*،
لعبدالله بن ناصح علوان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، دار السلام: القاهرة، وحلب.

١٦٠- *الكامل في التاريخ*،
لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- ل -

١٦١- *لسـان العـرب*،
لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ت ٧١١هـ، الطبعة بدون تاريخ، دار صادر.

١٦٢- *لقمـان الحكيم وحكمـه* :
محمد خير الدين رمضان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، دار المصحف.

١٦٣- *اللؤلـؤ والمرجـان فيما اتفق عليه الشيخان*،
محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

- م -

١٦٤- *مجموع فتاوى ابن تيمية*،
شيـخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ، جمع عبدالرحمن بن قاسم، بدون تاريـخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٦٥- *مجمـوع فتاوى ومقالات متنوعـة*،
للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٦٦- *مجمـوعـة مؤلفـات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب*،
الطبعة الأولى، بدون تاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٦٧- *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*،
لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٦٨- *مجموعة الرسائل الكبرى*،
لأحمـد بن عبـدالحليم، ابن تيميـة، ت ٧٢٨هـ، بدون تاريـخ، إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٩- *مختـار الصحـاح*،
محمد بن أبي بكر الرازي، بدون تاريخ، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت.

١٧٠- *مختصـــر سيرة الرسول ﷺ* .
للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ت ١٢٠٦هـ، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٧١- *مختصـــر منهاج القاصـدين* ،
أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، بتعليق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط، طبعة ١٣٩٨هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.

١٧٢- *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*،
للإمام محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، بتحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، دار السنة المحمدية للطباعة، القاهرة.

١٧٣- مسند *الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني*،
ت ٢٤١هـ، بدون تاريخ، المكتب الإسلامي ، دار صادر.

١٧٤- مسند *الإمام أحمد بن محمد بن حنبل*،
ت، ٢٤١هـ، بترتيب أحمد محمد شاكر، طبع ١٣٧٧هـ، دار المعارف، بمصر.

١٧٥- *معالم الدعوة في القصص القرآني*،
الدكتور عبدالوهاب بن لطف الديلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار المجتمع، جدة.

١٧٦- *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*،
لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم، ت ٧٥١هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٧٧- *مقاييس اللغـة*،
لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥هـ، بتحقيق عبدالسلام بن محمد ابن هارون، طبعة ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

١٧٨- *مقدمة في علم الأخـلاق*،
الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، دار القلم، الكويت.

١٧٩- من *مشاهير المجددين في الإسلام*،
الـدكتـور/ صالـح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٨٠- *مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه*،
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، ت ٥٩٦هـ، بتحقيق زينب بنت إبراهيم القاروط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨١- *مناقب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل*، ت ٢٤١هـ،
لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٦هـ، بتحقيق الدكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، مكتبة الخانجي، مصر.

١٨٢- *مناهل العرفان في علوم القرآن*،
محمد بن عبدالعظيم الزرقاني، بدون تاريخ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وأولاده.

١٨٣- *مناظرة بين الإسلام والنصرانية*،
الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٨٤- *مناهج الجدل في القرآن الكريم*،
الدكتور/ زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثالثة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٨٥- *مناهج الدعوة وأساليبها*،
الدكتور/ علي جريشة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، بجدة، المملكة العربية السعودية.

١٨٦- *منهاج أهل السنة النبوية*،
لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨هـ، الطبعة التي بهامشها موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٨٧- *موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان*،
لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، تحقيق محمد بن عبدالرزّاق حمزة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٨٨- *موسوعة أخلاق القرآن الكريم*،
الدكتور/ أحمد الشرباصي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

١٨٩- *موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ*،
أحمد العوايشة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة.

١٩٠- *المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح*،
عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي، ت ٧٠٥هـ، تحقيق عبدالملك بن دهيش، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، الناشر: المحقق.

١٩١- *المستدرك على الصحيحين*،
لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥هـ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٩٢- *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي*،
لأحمد بن محمد الفيومي، ت ٧٧٠هـ، بدون تاريخ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

١٩٣- *المعجم الوسيط*،
مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

١٩٤- *المغني*،
لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار هجر، القاهرة.

١٩٥- *المفردات في غريب القرآن*،
لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، بتحقيق محمد سيد كيلاني، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٩٦- *الملل والنحل*،
لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت ٥٤٨هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، الطبعة ١٤٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٩٧- *المناظرة الكبرى بين رحمت الله الهندي والدكتور القسيس فندر*،
بتحقيق الدكتور محمد عبدالقادر خليل، الطبعة الثانية، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٩٨- *الموسوعة الميسرة في علم الأديان والمذاهب المعاصرة*،
الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، الندوة العالمية.

١٩٩- *الموطأ*،
للإمام مالك بن أنس، ت ١٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وأولاده.

- ن -

٢٠٠- *النبأ العظيم*،
للدكتور/ محمد بن عبدالله دراز، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ، دار القلم، الكويت.

٢٠١- *النهاية في غريب الحديث والأثر*،
لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، ت ٦٠٦هـ، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود ومحمد الطناحي، بدون تاريخ، المكتبة العلمية، بيروت.

- هـ -

٢٠٢- *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*،
لمحمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، الطبعة المطبوعة ضمن الجامع الفريد، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٠٣- *هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة*،
للشيخ علي محفوظ، الطبعة التاسعة، ١٣٩٩هـ، دار الاعتصام.

٢٠٤- *هذا الحبيب يا محب*،
لأبي بكر جابر الجزائري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة لينة، دمنهور.

٢٠٥- *هكذا علمتني الحياة*،
للدكتور/ مصطفى السباعي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، المكتب الاسلامي.

- و -

٢٠٦- *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*،
شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت ٦٨١هـ، تحقيق الدكتور/ محمد إحسان عباس، بدون تاريخ، دار صادر، بيروت.

٢٠٧- *اليهودية والمسيحية*،
للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

٦ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني : مواقف الحكمة

الفصل الثالث : حكمة القول مع المدعوين

الفصل الرابع : حكمة القوة الفعلية مع المدعوين

كتب للمؤلف

١ - الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة — نشر مكتبة الرشد بالرياض
٢ - الربا أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة — نشر مكتبة الرشد بالرياض
٣ - آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة — توزيع الجريسي
٤ - الدعاء من الكتاب والسنة — توزيع الجريسي
٥ - حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة — توزيع الجريسي
٦ - شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة — توزيع الجريسي
٧ - التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال — توزيع الجريسي
٨ - شرح العقيدة الواسطية — توزيع الجريسي
٩ - من أحكام سورة المائدة — توزيع الجريسي
١٠- الجهاد في سبيل الله : فضله وأسباب النصر على الأعـداء — توزيع الجريسي
١١- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى — توزيع الجريسي

خمسة عشر ريالًا سعوديًا

توزيع مؤسسة الجريسي
الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ • جدة : ت ٦٨٢٦١٠٥
الدمام : ت ٨٢٧١٨١١ • المدينة : ت ٨٣٨٠٥٢٩
القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ • أبها : ت ٢٢٢٠٤٨٥

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض